بسم الـلـه الرحمن الرحيم

امبراطورية المغول

(دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول
وتكوين الامبراطورية والصراعات السياسية على السلطة)
(603-766هـ/1206-1365م)

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2012/2/844)

النجار، رغد عبد الكريم

امبراطورية المغول / دراسة تحليلية عن تاريخ المبكر وتكوين امبراطورية

رغد عبد الكريم النجار عمان : دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012

( ) ص

ر.أ: (2012/2/844).

الواصفات:/ تاريخ المغول//

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله - مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+ - خلــوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن - E-mail: darghidaa@gmail.com

امبراطورية المغول

(دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول
وتكوين الامبراطورية والصراعات السياسية على السلطة)

(603-766هـ/1206-1365م)

الدكتورة
رغد عبد الكريم أحمد النجار

الطبعة الأولى
1433 هـ 2012م

الفهرس

الفصل الثالث

صراع الأسرة الملكية الحاكمة على خانية مغول القفجاق

الفصل الرابع

الايلخانيون والصراع على السلطة

المقدمة

يعد العصر المغولي واحداً من أكثر العصور التأريخية التي مرت بها البشرية فزعا ورعباً، وغطت تداعياته حضارات متعددة وكان أكثرها ايلاماً ما وقع من تدمير على بلاد الصين وبلاد ما وراء النهر وايران والعراق واسيا الصغرى وشرق أوربا وغدت هذه البلدان تشكل الجزء الأكبر من مساحة الإمبراطورية التي كونها جنكيزخان واتخذ من قراقورم في منغوليا عاصمة لها.

وموضوع هذه الإمبراطورية يعد من الموضوعات المهمة في تأريخنا الإسلامي ومما هو مؤسف ان المكتبة العربية المعاصرة قليلة الدراسات والمصادر ذات القيمة حولها، فموضوعات هذه الإمبراطورية ليست أدنى مكانة من موضوعات الحروب الصليبية، وقد ارتبط جزء من تأريخنا العربي والإسلامي بهذه الإمبراطورية فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالاحتلال المغولي لبلاد الإسلام، واسقاط الخلافة العباسية واحتلال بغداد ثم محاولة احتلال بلاد الشام ومصر وهزيمة المغول في عين جالوت وقيام الدولة الايلخانية في ايران والعراق وتحول مغول هذه الدولة وبلاد القفجاق من الوثنية إلى الإسلام.

هذا الارتباط جعل من الأهمية فهم ماهية هذه الإمبراطورية وهذا استوجب طرح اسئلة لفهمها منها من هم المغول ؟ وما أصلهم ؟ وقبائلهم وكيف وحدهم جنكيزخان وأقام إمبراطوريته ؟ وكيف قسم إمبراطوريته بين ابنائه وما تمخض عن ذلك من صراعات سياسية بين الأبناء ومن بعدهم الاحفاد على منصب الخانية التي قلما خلا عهد من عهودها من مشاكل حول من يخلف الخان المتوفى.

وغدت مسألة موت الخان تعني انقسام العائلة الحاكمة حول المتنافسين على المنصب واحياناً كان يؤدي ذلك إلى حرب أهلية كما حدث بين قوبلاي وأريق بوقا وذهب عشرات الآلاف من جند المغول بسبب ذلك ولم تكن تلك الصراعات محصورة على منصب الخان الأعظم بل سادت كذلك في ممالك الإمبراطورية كخانية مغول القفجاق وايلخانية ايران والعراق أو بين الممالك المغولية بعضها مع البعض الاخر، وكانت الحرب هي في الغالب تحسم المواقف لمصلحة أحد الأمراء من الأسرة الحاكمة

على الآخر وأحياناً التسويات السياسة التي تحدث في المؤتمرات العامة ((القوريلتاي)) هي التي ترجح كفة أحد المتنافسين على الآخر.

هذا التنافس والصراع والتسويات السياسية حول منصب الخانية للأسرة الحاكمة في الإمبراطورية المغولية هي موضوع الدراسة التي قسمت إلى تمهيد وأربعة فصول.

تضمن التمهيد أولاً دراسة التأريخ المبكر للمغول وفيه تمت الإجابة عن أصل المغول وهجرتهم وكفاحهم من اجل البقاء وسبب تحول آسمهم من الشيواي إلى المغول والزمن التقريبي لظهور مصطلح المغول.

وتضمن المبحث الثاني دراسة بداية نهوض المغول وتكوين دولتهم الأولى قبل ظهور جنكيز خان وفيه أحاطت الأسطورة الضاربة بالخيال الكثير من الروايات التأريخية التي تناولت كيف نهض الشيواي ((المغول)) بعد محنة هجرتهم الثانية وعن اسطورة الميلاد العجيب الذي فيه تتعقب الروايات عن مغول ارغون كون وكيف اسسوا دولتهم الأولى وما توفر من معلومات وهي قليلة عن نشاطها حتى انهيارها على يد قبيلة التتار سنة (555هـ / 1160م).

وجاء الفصل الأول بعنوان ((تيموجين وتكوين إمبراطوريته)) وفيه أوضحنا الخارطة القبلية للقبائل التي كانت منتشرة في منغوليا وعن نشأة تيموجين والكفاح من أجل الزعامة وكيف وحّدَ القبائل المغولية وأقام إمبراطوريته ونظمها وسن القوانين لها، التي سميت بالياسا واختتم الفصل بمبحث تمرد جوجي بن جنكيزخان على سلطة والده وكان هذا التمرد أول صراع أُسري في أُسرة جنكيزخان على السلطة والذي انتهى بدس السم لجوجي مما أدى إلى وفاته.

اما الفصل الثاني الذي جاء بعنوان ((صراع الأُسرة الملكية الحاكمة على منصب الخان الأعظم)). ففيه تعقبنا بالدراسة الصراع بين أبناء الأسرة الجنكيزخانية على خلافة اوكتاي وتنصيب كيوك خاناً أعظم واجراءات كيوك العقابية تجاه من شك في ولائه ثم الصراع على خلافته وكيف حسم الأمر لمصلحة منكوخان وإقدام منكو على تصفية من أتهم بالتآمر عليه ثم تطرقنا إلى الحرب الاهلية التي نشبت أثر الصراع على منصب الخانية بين أريق بوقا وقوبلاي وحسمها لمصلحة قوبلاي ومعركة الدم بين قوبلاي ونايان ثم

النزاع بين تيمور وأخيه كملا على منصب الخانية ليختتم الفصل بانهيار حكم أسرة قوبلاي خان في بلاد الصين.

وخصص الفصل الثالث الذي جاء بعنوان ((صراع الأُسرة الملكية الحاكمة على خانية مغول القفجاق)) وفيه بينا من هم القفجاق وقيام دولة خانية مغول القفجاق وعن الصراع الذي نشب في أعقاب وفاة باتو بن جوجي وحسمه لمصلحة بركة خان الذي كان له دور كبير في انتشار الإسلام بين مغول القفجاق والذي على عهده استقلت خانية مغول القفجاق عن الإمبراطورية المغولية وتقربت إلى دولة المماليك في مصر وبلاد الشام بتحالفات سياسية ضد الدولة الايلخانية في ايران والعراق ولنواصل بعد ذلك دراسة الصراعات الأسرية بين أبناء العائلة الملكية على الخانية والذي استغرق باقي عهد الخانية باستثناء عهد اوزبك خان حيث اتسم عهده بالاستقرار والازدهار الاقتصادي وقد أثنى المؤرخون على سيرته ودوره في نشر الإسلام وتسامحه تجاه الديانة المسيحية وأختتم الفصل بما ارتكبه جاني بك بحق اخويه تني بك وخضر بك كي يتخلص من منافستهما له على الخانية لتدخل البلاد بعد وفاته في حرب أهلية ابتدأها بردي بك بقتل جميع اخوته وعدد كبير من أقاربه وما تمخض عن ذلك من فوضى سياسية لتكون وفاته سنة (762هـ /1361م) نهاية حكم أسرة جوجي لدولة خانية مغول القفجاق التي قدر لها ان تحكم لما يزيد عن قرن وربع من الزمان.

أما الفصل الرابع الذي جاء بعنوان ((الايلخانيون والصراع على السلطة)) ففيه تناولنا بالدراسة قيام الدولة المغولية الايلخانية التي اسسها هولاكو أخو منكوخان في أعقاب حملته على بلاد ايران والعراق ليتوارث من بعده أبناؤه وأحفادُهُ الحكم عليها وهذا التوارث تخللته صراعات عنيفة بين أبناء الأسرة الحاكمة على منصب الايلخانية وكان أخطرها الصراع بين تكودار وأرغون في أعقاب وفاة أباقا سنة (680هـ / 1282م) وليشكل هذا الصراع بداية لمراحل متلاحقة من الصراعات السياسية بحيث لم تنعم الايلخانية في عهود كل من تولى منصب الايلخانية في أعقاب وفاة الايلخان ارغون بالاستقرار، فالتآمر كان صفة ملازمة لتلك العهود، فبايدو أطاح بالايلخان كيخاتو وليلقى بايدو نفس مصير سلفه كيخاتو وغازان يوقع بالأمير نوروز الذي أوصله لمنصب

الايلخانية وتدهور أحوال الايلخانية على عهد أولجايتو وفي عهد ابنه أبي سعيد يشتد الصراع ليذهبَ ضحيتَهُ أميرُ الأمراء جوبان وأبناؤه ولتنهار الدولة بوفاة ابي سعيد المأساوية سنة (736هـ/ 1335م) وحرب الأمراء التي أعقبت ذلك والتي أدت إلى قيام الدولتين الجوبانية في ايران والجلائرية في العراق.

تحليل المصادر والمراجع:

تأريخ فاتح العالم جهانكشاي لمؤلفه عطا ملك الجويني بن بهاء الدين محمد بن علي والكتاب يتضمن سيرة حياة المؤلف المولود عام (623هـ/1225م) وهو من أسرة فارسية عريقة ربطت مصيرها بخدمة الأسرة الحاكمة المغولية، والمؤلف اشتغل في شبابه في ديوان منكو خان وكان من كتاب الديوان المقربين لهذا الخان، والتحق بتكليف من الخان منكو بجيش هولاكو في حملته على ايران والعراق.

وتأريخ حياة الجويني حافلة بالخبرة السياسية والمعرفة التأريخية، فقد وفرت له اسفاره في بلاد ما وراء النهر وتركستان وبلاد الايغور ومنغوليا وبلاد الخطا ((الصين الشمالية)) والماجين ((الصين الجنوبية)) اضافة إلى بلاد ايران والعراق، وتقلده المناصب الادارية ولاسيما منصب ديوان العراق ولفترة طويلة واستمرار ملازمته لعظماء المغول وأمرائهم وأشرافهم كل هذه العوامل جعلته يقف على الكثير من المعلومات والحقائق كشاهد عيان أو ان يجمع الروايات والحكايات عن المغول، ولهذا لم يتردد عطا ملك الجويني في الموافقة على اقتراح أصحابه عندما أشاروا عليه تأليف كتاب جامع عن تأريخ المغول، فقيّدَ ما شاهده وما سمعه وما جمعه بعد تدقيق وتمحيص وألف به كتابه هذا الذي وقف فيه عند حوادث سنة (655 هـ/ 1257م).

ولم تذكر الأسباب التي جعلته يقف عند هذا التأريخ مع أنه عاش حتى سنة (681 هـ/ 1282م)، وعلى ما يبدو انه اراد ان يتجنب الوقوف عند المجازر التي ارتكبها هولاكو في بغداد كي لا يستفز زعيمه هولاكو وكي لا يلوث نفسه بما دنسه المغول في بغداد مع انه شهد بأم عينه احتلال هولاكو بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة (656هـ/1258م).

قسم المؤلف كتابه إلى جزئين : الجزء الأول تضمن احوال المغول قبل ظهور جنكيزخان، وفي تأريخ ظهور جنكيزخان وتكوين دولته وحروبه في بلاد ما وراء النهر وخراسان والصين وخانية أوكتاي وكيوك وأحوال جوجي وجغتاي وفي تأريخ سلاطين الخوارزميين والقراخطاي.

والثاني فيه استكمل تأريخ الدولة الخوارزمية وتضمن احوال خراسان على عهد الأميرين المغوليين كركوز وأرغون وتفاصيل عن فترة حكم منكوخان وحملة هولاكو على إيران وشرح تأريخ الاسماعيلية حتى سقوط دولتهم.

والكتاب أعطى لموضوعنا تفاصيل ومعلومات دقيقة عن المجموعات القبلية في منغوليا وصراعاتهم السياسية وعن تيموجين ((جنكيزخان)) وحياته وكفاحه من أجل الزعامة وصراعاته وحروبه القبلية وتوحيده منغوليا وقيام إمبراطوريته وعن الياسا وعن تقسيم إمبراطوريته بين أولاده الأربعة وعن فترة حكم أوكتاي.

وزودنا بمعلومات لا تضاهى اعتمد عليها الكثير من المؤرخين عن دقائق من اسرار المغول فيما يتعلق بالصراع بين أبناء الأسرة الحاكمة على خلافة اوكتاي وكيوك وما جرى فيها من دسائس ومؤامرات واغتيالات واضطرابات وقرارات وكان آخرها ما أرسله منكو خان من جيوش للقضاء على المتآمرين ومؤيديهم من اسرتي أخويه جغتاي وأوكتاي وفيه قدم معلومات قيمة كان مطلعا عليها شخصيا، كما أفادنا بمعلومات عن حملات المغول على بلاد القفجاق بقيادة باتو سنة (633هـ/ 1335م).

جامع التواريخ لمؤلفه رشيد الدين فضل الله الهمذاني المولود في حدود سنة (638هـ /1240م) و المنحدر في الاصل من عائلة يهودية لكنه اعتنق الإسلام، اشتغل بمهنة الطب ومكنته تلك المهنة من الالتحاق بخدمة المغول على عهد أرغون (683- 690هـ / 1284- 1291م) وفي زمن السلطان كيخاتو (690 - 694هـ/1291- 1294م).

وقع الاختيار على رشيد الدين الهمذاني ليتولى منصب الوزارة ولكنه كان يمتنع لانه رأى من الصالح ان لا يقبل هذا المنصب في ذلك الوقت ومعنى هذا ان رشيد الدين كان يتمتع بنفوذ كبير لدرجة ان السلطان رأى ان يعهد اليه بهذا المنصب الكبير وبقي يخدم عنده وعند خلفه بايدو بالطب ولما اعتلى غازان السلطة قرب اليه أصحاب الخبرة

والعلم والثقافة وكان رشيد الدين الهمذاني واحداً منهم وعلى اثر قتل الوزير صدر الدين قلد غـازان رشـيد الدين منصب الوزارة وذلك في 3 من ذي الحجة سنة (697هـ / 1297م) وهكذا أتاح هـذا المنـصب الفرصـة ليؤديَ دوراً هاماً في إدارة دولة المغول الايلخانية وليساهم بنصيب في أحداثها حتى صار تأريخه قطعة من تأريخ هذه الدولة إذ ارتبطت حياته بثلاث إيلخانات هم غازان وأولجايتو وأبو سعيد فكان وزيرا لهم عـلى التوالي إلى ان قتل على عهد الأخير سنة (718هـ / 1318م).

وفكرة كتاب جامع التواريخ برزت للوجود على عهد غازان الذي كان رجلاً بعيد النظـر، كـان يريـد ان يخلد تأريخ آبائه وأجداده قبل ان يعفى عليها النسيان وان المغول كـانوا يحفظـون في خـزائنهم وثـائق مدونة باللغة المغولية عن تأريخهم الا انها لم تكن مرتبة وخوفا عليها من الـضياع جالـت بخـاطره البحـث عن كاتب متمكن يستطيع ان يعكف على دراستها ليصوغ منها كتاباً شاملاً يضم شتاتها، فلم يجد في بلاطه رجلا يصلح للقيام بهذا العمل سوى وزيره رشيد الدين الهمذاني، إذ كان ينظر اليه على انه الرجـل المثقـف الذي له دراية واسعة وإطلاع كامل على جميع العلوم، أما رشيد الـدين فقـد رأى في هـذا التكليـف واجبـاً عليه ان يؤديه بعناية فائقة فيقول ((فلما صدر الامر المبارك - لا زال نافذا ومطاعاً - بأن أقوم بأتمـام هـذا الامر الهام، لم أجد مفراً من الامتثال لأمره، ووقفت كـل جهـودي وخـاطري وضـميري عـلى معرفـة تـواريخ المغول ورواياتهم وحكاياتهم، وبذلت في هذا السبيل غاية السعي والاجتهاد.

وبعد ان عكفت على مطالعة مضمون تلك الأجزاء المبعثرة الموجودة في الخزينـة، قمـت بتحقيقهـا وترتيبها وتبويبها وضممت اليها كل ما سمعته بالتفصيل من حكماء الدولة الملازمين للحضرة ومن العلـماء والمؤرخين من كل صنف، وذلك بعد فحصه وتدقيقه، ولكي تستطيع الافهام المختلفة إدراكه بسهولة، فسوف اكتبه بعبارة واضحة فصلاً فصلاً إن شاء الـلـه تعالى حتى يقع موقع القَبول من تلك الحضرة، فيكون موجبـاً لإدراكي الـسعادة في الدنيا ونيلي كل ما آمله وأتمناه والـلـه المستعان)) م2، جـ1، ص216 - 217.

انجز رشيد الدين كتابه بحدود سنة (710هـ / 1310م) باللغة الفارسية، وقد تـرجم الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد جزءاً منه، الجـزء الأول باسـم جـامع التـواريخ ((تـأريخ

خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، وفيه يتناول تأريخ أبناء جنكيزخان وأحفاده الذين حكموا في غير ايران وهم اوكتاي وجوجي وجغتاي وتولوي وكيوك ومنكو وقوبلاي ثم تيمور.

والجزء الثاني اشترك بترجمته محمد صادق نشأت مع الصياد وقسم إلى مجلدين الأول تناول تأريخ هولاكو والثاني تأريخ أبناء هولاكو حتى السنوات الأولى من حكم أولجايتو.

اما القسم الخاص بالتأريخ المبكر للمغول وتأريخ جنكيزخان الذي فيه يتنأول تأريخ الشعوب المغولية والتركية وتأريخ جنكيزخان والمكتوب باللغة الفارسية، اشير في مقدمة الجزء الأول بأن الدكتور الصياد عاكف على ترجمته نأمل ان شاء اللـه ان يتم إخراجه إلى لغتنا العربية، وقد اعتمدنا على معلومات هذا الجزء من النص الفارسي المطبوع في موسكو.

وكتاب جامع التواريخ خص موضوعنا بالكامل ولولاه لما كان بالامكان تغطية الموضوع فقد انفرد بذكر الكثير من المعلومات التفصيلية التي لم ترد في مصادر أخرى ولا مجال هنا لذكرها لأن أي مبحث من موضوعات الدراسة تضمن معلومات اعتمدت على كتاب جامع التواريخ وقسم منها كان شاهد عيان او مشارك او قريب من أحداثها ولاسيما الفترة من عهد ارغون حتى نهاية عهد أولجايتو.

ويعد تأريخ الدول السرياني لمؤلفه غريغوريوس الملطي المعروف بآبن العبري الذي اختصر هذا الكتاب في كتاب اخر سمّاه تأريخ مختصر الدول من الكتب التي أفادت الدراسة كثيرا كون المؤلف عاش في كنف الدولة المغولية الايلخانية وكان راعيا لكنيسة السريان فيها فسجل لنا الكثير من أحداثها حتى وفاته سنة (685هـ / 1286م) كما نقل لنا معلومات مهمة من مصادر اطلع عليها أو رواية له عن القبائل المغولية وعن جنكيزخان وتوحيد منغوليا وعن الصراع بين أبناء أسرة جنكيزخان على خلافة اوكتاي وكيوك ومنكوخان.

ويعد كتاب رحلات ماركو بولو المولود في مدينة البندقية سنة (652هـ / 1254م) من المصادر ذات المعلومات المهمة عن أحداث شهدتها الإمبراطورية المغولية على عهد

قوبلاي خان، وتنبثق أهمية هذه المعلومات من كون ان ماركو بولو الذي كان قد قام برحلته من البندقية وعبر بلاد ارمينيا الصغرى والكبرى وأذربيجان وفارس والتركستان إلى بكين التي وصلها سنة (673هـ / 1275م) بعد رحلة دامت ثلاث سنوات ونصف وفي بكين استقبله قوبلاي خان بالحفاوة والتكريم ولم يمض زمن طويل فيها حتى تعلم لغة المغول وعاداتهم واستخدمه الخان في الوظائف العامة وأرسله مديرا زائراً لعدة ولايات صينية وكان احياناً يصاحب الخان في تنقلاته وحروبه فكان شاهد عيان لها.

وبعد اِنقضاء سبعة عشر عاماً قضاها في خدمة قوبلاي شدَّهُ الحنين إلى موطنه فعاد إلى البندقية سنة (694هـ / 1295م) وفي الحرب التي وقعت بين البندقية وجنوه الايطاليتين وقع ماركو بولو أسيرا ليسجل في سجن جنوه ما شاهده من أحداث في أثناء رحلته وإقامته في بلاط قوبلاي خان فوصف لنا بلاط الخان والحياة الاجتماعية للمغول وتنظيماتهم الادارية والاقتصادية والعسكرية وبعض مدنهم، ولكن ما أفادنا فيه للدراسة اقتصر على أهم حدث واجهه قوبلاي خان وهو حركة التمرد التي قادها ابن عمه الأمير نايان وما اسفر عنه من وقوع اكبر معركة شهدها عهد قوبلاي التي اطلق عليها معركة الدم لكثرة ما أسيل فيها من دماء، وقد فصل لنا ماركو بولو أحداث التمرد والمعركة وعلى ما يبدو كان شاهد عيان عليها لدقة التفاصيل التي أوردها عنها، كما أعطى لنا في كتابه هذا معلومات قليلة عن الصراع بين توقتا ونوغاي في خانية مغول القفجاق وكذلك عن الصراع الذي وقع بين احمد تكودار وأرغون في دولة المغول الايلخانية ولكن ما يؤخذ على هذه المعلومات ان الاسماء التي ذكرها كانت محرفة عن مسمياتها الحقيقية فمثلا توقتا اوردها باسم توكتاي ونوغاي باسم نوجاي، وأحمد تكودار بآسم أكومات في حين ورد اسم ارغون صحيحاً، وعلى ما يبدو ان اعتماد ماركوبولو على الذاكرة في تدوين رحلته او بسبب الترجمة كانت هناك أسباب وراء ما وقع من تحريف في المسميات.

ومن المصادر الاخرى التي اعتمدت عليها الدراسة كثيرا كتاب زبدة الفكرة لمؤلفه ركن الدين بيبرس المنصوري المتوفى سنة (725هـ / 1324م) فالمؤلف كان أحد مماليك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون وتولى امره نيابة السلطنة في مصر، وموقعه أهّلهُ الاتصال بالوفود التي كانت تصل القاهرة من خانية مغول القفجاق، فأطلع منها ومن وفود مصر إلى مغول القفجاق على الكثير من المعلومات عن مغول القفجاق فيسجل لنا في كتابه هذا الكثير من المعلومات عنهم ولاسيما زوجة باتو براق جين ومحاولاتها في

تنصيب ابنها تدان منكو على خانية مغول القفجاق وعن الحروب التي وقعت بين تلابغا وتوقتا ونوغاي ومقتل نوغاي وإنهيار مملكته والبعض منها انفرد في ذكرها دون غيره.

كما ان لركن الدين بيبرس المنصوري كتاباً آخرَ بآسم التحفة المملوكية في الدولة التركية وقد استفدنا منه في موضوع الصراع بين بركة خان وهولاكو وبين تلابغا ونوغاي.

وهناك مجموعة أخرى من المصادر ذات القيمة الكبيرة لدراستنا وحسب أهميتها منها كتاب تأريخ كزيدة لمؤلفه المؤرخ الفارسي مستوفي قزويني المتوفى سنة (750هـ / 1349م) وفيه أورد معلومات عن اصل المغول وعن الصراعات السياسية على منصب الخانية في أعقاب وفاة كيوك خان وعن خانية مغول القفجاق والدولة الايلخانية.

وكتاب صبح الاعشى في صناعة الأنشا، ومآثر الأنافة في معالم الخلافة لمؤلفها القلقشندي المتوفى سنة (821هـ/ 1418م) وفيها اورد معلومات عن بعض قبائل المغول وعن تيموجين ((جنكيزخان)) وتوحيد منغوليا وعن باتو ومغول القفجاق وإسلام بركة خان وما حدث من صراعات سياسية لبعض خانات القفجاق والايلخانيين.

وكتاب تأريخ أبن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر لمؤلفه ابن خلدون المتوفى سنة (808هـ/1406م) وفيه معلومات غطت جوانب متعددة من الدراسة ولاسيما ما يتعلق منها بمنكو ووصوله لمنصب الخانية وعن مغول القفجاق وصراعاتهم السياسية وكذلك عن الايلخانيين.

ويجاري ابن خلدون في الاهمية كل من المقريزي المتوفى سنة (845هـ/ 1441م) في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك والعيني المتوفى سنة (855 هـ / 1451م) في كتابيه عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان والسيف المهند في سيرة الملك المؤيد وابن تغري بردي المتوفى سنة (874هـ / 1469م) في كتابيه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.

أما كتاب تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار لمؤلفه الرمزي، فمع ان المؤلف من المتأخرين توفي سنة (1130هـ / 1717م) ولكن الكتاب تضمن معلومات وافرة جمعها المؤلف من كتب ووثائق بعضها مغولية الأصل أو من مصادر مملوكية أو روسية أغنت الدراسة بمادة قيمة ولاسيما عن أصل المغول وعن

توسعاتهم في بلاد القفجاق وجوجي وباتو وسائر خانات مغول القفجاق وصراعاتهم السياسية وعلاقتهم مع سائر القوى المغولية الأخرى ومع المماليك.

ويجب ان لا نغفل كذلك القيمة الحقيقية لمصادر أخرى أعطت لنا معلومات مفيدة للدراسة منها الكامل في التأريخ لمؤلفه ابن الأثير المتوفى سنة (630 هـ / 1232م) الذي تضمن معلومات عن أصل المغول وحملاتهم العسكرية على بلاد خوارزم وأذربيجان وبلاد القفجاق وفارس والعراق.

وكتاب سيرة جلال الدين منكبرتي لمؤلفه النسوي المتوفى سنة (639هـ / 1241م) وفيه معلومات جيدة عن حروب المغول مع الخوارزميين على عهدي علاء الدين خوارزمشاه وجلال الدين منكبرتي، وكتاب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمؤلفه ابن بطوطة المتوفى سنة (779 هـ/1377م) الذي دوّن فيه مشاهداته لرحلته التي فيها جاب أجزاء واسعة من بلاد الإمبراطورية المغولية بما فيها العاصمة بكين، والمعلومات في الكتاب كانت قليلة بما يتعلق بموضوع دراستنا لأنها في الغالب كانت تخص جوانب اجتماعية واقتصادية وعن حياة الشعوب وما أفادنا به مشاهداته لبلاط اوزبك خان مغول القفجاق في العاصمة سراي وعن عائلة هذا الخان والصراع بين أبنائه في أعقاب وفاته سنة (742هـ/1341م).

ومن المصادر الأخرى التي أفادتنا أيضا ذيل مرآة الزمان لليونيني المتوفى سنة (726هـ/ 1325م) والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء المتوفى سنة (732هـ/ 1331م) وكنز الدرر وجامع الغرر لأبن إيبك المتوفى سنة (736هـ / 1335م) ومسالك الأبصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة (749هـ / 1348م) والعسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك للغساني المتوفى سنة (803 هـ / 1401م)، وذيل جامع التواريخ للمؤرخ الفارسي حافظ أبرو المتوفى في سنة (838هـ/1434م) الذي خص به الدراسة بمعلومات جيدة عن الايلخانيين وتأريخ روضة الصفا للمؤرخ الفارسي أيضا ميرخواند المتوفى سنة (903هـ/1497م) والذي فيه أعطى لنا معلومات عن قبائل المغول وعن جنكيزخان وكفاحه من أجل الزعامة وعن أولاده والايلخانيين.

أما بخصوص المراجع الحديثة فالبعض منها تبرز أهميتها من كون مؤلفيها اعتمدوا على الوثائق السرية لتأريخ المغول وعلى المدونات الصينية ممّا لم يكن من المتيسر الوصول اليها،ولعل في مقدمة هذه المراجع كتاب حياة تيموتشجين ((جنكيزخان)) الذي فكر في السيطرة على العالم لمؤلفه المؤرخ الروسي كيتشانوف والذي تضمن معلومات لم نجد

بعضها في مصادر او مراجع أخرى عن الجذور التأريخية للمغول وتكوين دولتهم الأولى وعن قبائل منغوليا وتيموجين وحروبه من أجل الزعامة وتوحيد منغوليا وعـن أولاده الأربعـة ودورهـم الـسياسي عـلى عهـده ولكن ما يؤخذ على هذا الكتاب ان الكثير من الاسماء التي وردت فيه كانت لا تتطابق حرفياً مـع الأسـماء التي وردت في المصادر والمراجع الأخرى ولعل مَن قام بالترجمة لا يمتلك خلفية تأريخية واسعة عن المغـول لذلك لم يجد ترجمة الأسماء بشكلها الصحيح، وقد عدلنا المـسميات بعـد مقارنتهـا بالمـسميات في المـصادر والمراجع الاخرى فمثلا أطلق على تيموجين اسم تيموتشجين وعلى زعيم قبيلة الكرايـت اسـم فـان خـان في حين ان اسمه الحقيقي طغريل ولقبه أونك خان وعلى يوسكاي والد تيموجين بأسم ايسوغاي وجوجي ابن تيموجين باسم تشجوتشي والمذهب النسطوري المسيحي بآسم المذهب النـستورياني وعـلى دشـت القفجـاق بآسم كيبتشاك وقبيلة الكرايت المغولية بآسم الكيريت.

ويأتي في الاهمية بعد كتاب حياة تيموتشجين كتـاب جنكيزخـان إمبراطـور النـاس كلهـم والكتـاب الآخر جنكيزخان وجحافل المغول وكلاهما من تأليف هارولد لامب الذي تتبع بالتفاصيل الدقيقة عن حياة جنكيزخان وتأريخ المغول وصراعاته السياسية وتوحيد منغوليا تحت زعامته.

ومن المراجع الروسية ذات القيمة الكبيرة لدراسـتنا كتـاب تركـستان مـن الفـتح العـربي إلى الغـزو المغولي وكتاب تأريخ الترك في اسيا الوسطى لمؤلفه بارتولد الذي يعد مرجعاً لا يمكن لأي باحث عـن تـأريخ الترك والمغول ان يستغني عَن دراسته في هذين الكتابين أو في دائرة المعارف الإسلامية او في مجلات عديدة.

ويعد كتاب تأريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية وتـأريخ مفـصل إيـران لمؤلفها المؤرخ الإيراني عباس إقبال من المراجع التي أفادت الدراسة كثيراً ولا تقل عنها الدراسات المستفيضة لفؤاد عبد المعطي الصياد في كتبه الثلاث المغول في التأريخ والـشرق الإسـلامي في عهـد الايلخـانيين ومـؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الـلـه الهمذاني وكتاب المغول للسيد الباز العريني.

وهناك مجموعة أخرى من المصادر والمراجع أعطـت معلومـات للدراسـة مثبتـة في ثَبْـتُ المـصادر والمراجع.

التمهيد

أولاً: التأريخ المبكر للمغول

من هم المغول؟ ومن أين جاءوا ؟ سؤالان ليس من السهل الاجابة عليهما ولكن يمكن القول إن أرض منغوليا التي يطلق عليها الان تسمية جمهورية منغوليا الشعبية كانت قد مرت على أرضها قديماً شعوب هندو - أوربية عدة، ولعل اقدم ما أشير إلى من استوطنها شعب الهون[1] الذي ينتمي عرقياً للجنس التركي، وزمن ظهورهم على أرض هذه البلاد يرجع إلى ما قبل ظهور المسيحية[2].

---

(1) اشارت الدراسات اللغوية التي قام بها مجموعة من الباحثين الغربيين بزعامة ماكس ملر بأن المجموعات البشرية التي تعرف في الوقت الحاضر بأسم الشعوب الهندو- اوربية تعود في اصولها الاولى إلى منطقة جبال الهندكوش الواقعة شمال غرب باكستان امتداداً إلى افغانستان. ولسبب مازال مجهولاً تباعدت هذه الشعوب عن موطنها لتنتشر قبل الميلاد في السهول الواقعة في الشمال الاسيوي بين جبال اورال والطاي وجنوباً حتى جبال القفقاس والبرد. وابرز من اشتهر من هذه الشعوب الهون الذين استوطنوا اولاً في منغوليا وامتد نفوذهم إلى التركستان الصينية فتصدى لهم الصينيون وهزموهم فاتجهوا غرباً هرباً من الصينيين فاجتازوا سهل اوراسيا حتى وصلوا فرنسا بقيادة اتيلا بحدود سنة 451م. كون كارلتون: القافلة قصة الشرق الاوسط ترجمة برهان دجاني، منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت نيويورك 1959م، ص104-105، 109. وللتفاصيل عن هجرة الهون غرباً ينظر: عاشور سعيد عبد الفتاح: اوربا في العصور الوسطى، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، ط3 1964 م، ص53-55 ،72-73.

(2) بروي، ادوارد: تأريخ الحضارات العام ((القرون الوسطى)) نقله إلى العربية يوسف اسعد داغر وفريدم داغر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1965 م، ج3، ص356. العريني، السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م، ص10. كتانة، محمد سعيد: الترك والعرب، انقرة، 2001 م، ص70.

ويشير المؤرخ الروسي كيتشانوف بأن ما ذهب إليه بعض المؤرخين الروس المعاصرين من أن المغول ينتمون عرقياً للهون لا يستند إلى أدلة علمية وقد لا تعدو آراؤهم ان تكون مجرد أمنية [1].

ترك الهون موطنهم في شمال منغوليا حول بحيرة بيكال بعد ان أعيتهم الغزوات الصينية ليتوجهوا غرباً نحو روسيا بحدود سنة 355م[2] وكان قبل رحلتهم قد زاحمهم بزمن على أرض منغوليا أقوام أخرى هم الجونجانيون والأوبوريون والسيانيون والاقار ((جوان - جوان)) وهؤلاء الاربعة ذوو أصول روسية[3] على ان تأريخ ظهورهم في منغوليا لم يحدد زمنياً باستثناء السيانيون الذين ترد تسميتهم احياناً بسين - بي ويبدو انها لفظة صينية وان ظهورهم يرجع إلى القرن الثالث الميلادي متزامناً مع ظهور الاقار[4].

وفي القرن السادس الميلادي استقرت مجموعة بشرية جديدة من العنصر التركي أرض منغوليا هم التو - كيو ليؤسسوا في موطنهم الجديد الامبراطورية التركية البدوية الأولى التي شملت سيادتها على اراضي منشوريا في الصين وامتداداً إلى خراسان شرقي بلاد ايران، وكانت لهذه الامبراطورية حدود مشتركة من الغرب مع امبراطورية فارس الساسانية[5] غير ان سيادتها لم تطول بسبب الانهاك الذي اصابها بفعل الضربات الصينية[6].

---

(1) حياة تيموتشجين: ((جنكيزخان)) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة طلحة الطيب، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2005 م، ص10.

(2) شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد اسعد، دار احسان للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1982 م، ص19. اليوسف، عبد القادر أحمد: العصور الوسطى الاوربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967 م، ص43.

(3) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص9.

(4) العريني: المغول، ص10.

(5) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص356. العريني: المغول، ص10.

(6) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص356.

فاستغل ذلك الاتراك الايغوريون الذين كانوا يسكنون شمالي شرقي التركستان[1] ليجهزوا على امبراطورية التو- كيو وليقيموا بدلاً عنها دولة قوية امتدت إلى الجنوب من بحيرة بيكال جاعلين من ((قره بلغاسون))[2] عاصمة لدولتهم.

وبقدر تعلق الامر بالمغول فتشير المعلومات التي بحوزتنا بأن سهول الضفة الجنوبية لنهر أمور غرباً من مصب نهر سونغاري وشرقاً من سلسلة جبال خينجان الصغرى ضمن أرض منغوليا كانت تستوطنها قبيلة يطلق عليها اسم اتراك الشيواي[3] التي ينحدر منها المغول كما سنثبت ذلك لاحقاً، واتراك الشيواي كانوا من ضمن رعايا الدولة الايغورية حيث عاشوا حياة تنقل طلباً للكلأ[4].

وفي حدود عشرينات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حدث صراع بين الايغور والاتراك القرغيز الذين هاجموا منغوليا بعد تركهم لموطنهم في أعالي نهر ينسي في أرض الصين وتمكنوا من إسقاط الدولة الايغورية لتكون لهم السيادة فيها وذلك سنة (226هـ/840م)[5]، وكان من جملة ضحايا هذا الصراع قبيلة الترك الشيواي التي هوجمت

---

(1) ابن العبري، غريغوريوس الملطي: تأريخ الدول السرياني، منشورات مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، 1954 م،ص418.

(2) قره بلغاسون: تقع في منغوليا الغربية في الجزء الشمالي من مناطق قراقورم الجبلية بنيت مدينة قره بلغاسون على ضفاف نهر اورخون في عهد الخان الايغوري بوقوخان لتكون عاصمة لدولته وقره بلغاسون تعني المدينة الكبيرة وكانت تسمى ايضاً ((أردوباليف)) أي مدينة الجيش. الجويني، عطا ملك: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط1، 1985م ، م1، ص81. اقبال، عباس: تأريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة، عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، ابو ظبي، 2000م، ص19.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص83. كتانة: الترك والعرب، ص74.

(4) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15.

(5) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص356. العريني: المغول، ص29. كتانة: الترك والعرب، ص76.

من قبل القرغيز سنة (233هـ/ 847م) فاضطروا لترك موطنهم هاربين ليستوطنوا في الاماكن الشاغرة من بعض المناطق الصينية الشمالية الغربية[1].

وفي الروايات التأريخية لأسرة تان الصينية[2] التي حكمت شمال الصين للفترة المحصورة بين سنة (618-908م) ورد اسم الترك الشيواي على انهم كانوا يعيشون ضمن رعايا هذه الأسرة وتضمنت رواياتهم وصفاً لطريقة عيشهم بأنهم كانوا يعيشون مشتتين على ضفاف الأنهر باحثين عن الماء والكلأ ولا يوجد فيهم ملك بل يحكمون من قبل سبعة عشر أميراً يسمون ((مخيفو)) ويتوارثون الحكم وكانوا يستخدمون الأقواس القرنية والسهام الخشبية في حروبهم وأحياناً يخرجون إلى الصيد بالحراب كما كانوا يفلحون الأرض، ولا يدفعون عليها الضرائب، ويشيدون منازلهم ويسقفونها بالجلود وكانت كل مجموعة منهم تضم عشرات العائلات وقلما تصل المئات[3].

غير ان اهم ما ورد في هذه الروايات وبما له علاقة بدراستنا هي ان اتراك الشيواي والكيدانيين هم من أصل واحد، وأطلق الصينيون على الذين استوطنوا القسم الجنوبي من منطقة استيطان الشيواي بالكيدانيين الذين تمكنوا من إقامة دولة خاصة بهم في اجزاء من شمالي الصين سميت بالدولة الكيدانية او بدولة الكين الحديدية[4] التي استمرت حتى منتصف القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي[5].

---

(1) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15.

(2) أسرة التان والتانج الصيني: حكمت هذه الأسرة الامبراطورية الصينية للفترة من (618 - 908م) وأول حكامها لي شي مين الذي توطدت وازدهرت الامبراطورية في عصره وبلغت هذه الامبراطورية اوج اتساعها على يد حكام هذه الأسرة في النصف الاول من القرن الثامن الميلادي حيث دانت لحكمها شعوب التبت وآسيا الوسطى في الغرب وصولاً إلى سلسلة جبال البامير ومنغوليا ومنشوريا وكوريا في الشمال وأنام في الجنوب بالسيادة الصينية. وللتفاصيل عن حكم هذه الأسرة ينظر، هوخام، هيلدا: تأريخ الصين منذ ما قبل التأريخ حتى القرن العشرين، ترجمة اشرف محمد كيلاني، منشورات المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص136 -137، 162.

(3) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص356. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص10-11.

(4) عن دولة الكين وأصولهم ينظر: بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 1981 م، ص544. الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التأريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص21. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15.

(5) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص10-13.

أما اتراك الشيواي الشماليين فقد نافسهم اخوانهم الكيدانيون على مناطق نفوذهم فدخلوا معهم في حروب اضطروا على اثرها ترك ديارهم والهجرة ثانية إلى الاجزاء الشرقية من منغوليا بين أعوام (272و274هـ/ 885 و 887م) لتقضيَ هناك عليهم قبائل التتار- والتي سيتم التطرق إلى اصولها لاحقاً - فأبادوا من تبقى ومن نجا وهم لا يتعدون اصابع اليد التجأوا إلى الاماكن الوعرة في وديان جبال لا يمكن الوصول اليهم الا عبر مسالك ضيقة وبعد ان اطمأنوا بعدم قدرة اعدائهم في الوصول اليهم نزلوا إلى سهل منطقة أرغون كون المليء بالاعشاب وذي المناخ الجيد وكان من بين هؤلاء الناجين رجل يُدعىَ قيان وزوجته وأبن عمه نوكوز وآمرأته كيان اللذين سكنا هذا السهل ومنهما تكاثر معظم المغول[1] وعلى ما يبدو ان هزيمتهم القاسية هذه وما تعرضوا اليه من عملية ابادة جعلتهم قوماً ضعفاء غير قادرين على مواجهة خصومهم، وبسبب ضعفهم هذا اطلقت عليهم القبائل البدوية الأخرى تسمية المغول بدلاً من اسمهم الاصلي الشيواي[2]، وتسمية المغول باللغة الايغورية تعني الضعيف او المغفل اوالواهن او الغبي[3].

ويقودنا هذا التحليل إلى التوصل إلى التأريخ التقريبي لزمن استخدام مصطلح المغول الذي يعود إلى ما بعد الهجرة الثانية لقبيلة الشيواي إلى منطقة أرغون كون في منغوليا التي حدثت سنة (274هـ/ 887م) وقبل هذا التأريخ كان مصطلح المغول مجهولاً

---

(1) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، لينغراد، 1953م، م1، ج1، ص41. كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص15.

(2) يشير المؤرخ الروسي كيتشانوف بأن الدراسات اللغوية الحديثة التي تتبعت جذور لغة الشيواي الصينية وجدت ان الصلة بين لغة الشيواي الصينية واللغة المغولية في منغوليا في الوقت الراهن لا تخضع للشك في ان اللغتين ترجعان في اصلهما إلى لغة واحدة، وهذا الراي يدعم القول بأن المغول ينحدرون بالأصل من قبيلة الترك الشيواي. حياة تيموتشجين، ص14.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص41.

لدى سائر الشعوب بما فيهم الصينيون إلى زمن ظهوره على يد جنكيزخان[1] الذي عمم التسمية على كل قبائل منغوليا كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

ثانياً: بداية نهوض المغول وتكوين دولتهم الأولى

تحيط الاسطورة الضاربة بالخيال الكثير من الروايات التأريخية التي تتناول تأريخ مغول الشيواي بعد هجرتهم الثانية وربما يعود السبب في ذلك ان المغول لم يتركوا بسبب أميتهم أي اثر أدبي أو تأريخي مكتوب يعود إلى ما قبل سنة (599هـ/1202م) تأريخ طلب جنكيزخان استخدام الخط الايغوري في خطاباته الرسمية[2] وان أقدم اشارة لنص مكتوب في هذه الفترة بهذه اللغة هوما عرف بآسم حجر جنكيز خان، وهو عبارة عن نقش على حجر مضمونها عبارات تمجيد لأحد اقرباء جنكيزخان[3]. وعليه فإن معظم الروايات التأريخية التي تناولت تأريخ المغول القديم جاءت متناقلة شفاهاً اختلطت بها الاسطورة وما زاد الطين بلة ان المغول كانوا ميالين لصنع تأريخ اسطوري لجذورهم كي يتوافق مع المجد الذي حققوه في عهد خاناتهم العظام.

ولهذا عندما كتب تأريخهم القديم من قبل مؤرخيهم كالجويني (ت 681هـ/1282م) ورشيد الدين الهمذاني (ت718هـ/ 1318م) تضمن في الغالب روايات ضاربة في الخيال منها على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره رشيد الدين الهمذاني من ان المغول الشيواي بعد هجرتهم الثانية وعيشهم في الجبال الضيقة في منطقة أرغون كون عملوا على صهر سفح جبلي مكون من الحديد ليشقوا فيه ممراً جبلياً منه عبروا إلى السهول الرحبة[4]، وتتكرر روايات عديدة على هذه الشاكلة.

---

(1) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص545.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص418-420.

(3) جبران، نعمان محمود احمد واخرون: دراسة في المصادر الرسمية لتأريخ أسرة يوان المغولية، مجلة، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، الدوحة، العدد التاسع، 1997 م، ص309 – 310.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص154.

وعلى أية حالة تشير المعلومات الاسطورية القليلة عن مغول أرغون كون الذي ينتسب اليهم تيموجين مؤسس الامبراطورية المغولية الثانية ان رجلاً يدعى دوبون ميرغان كانت له زوجة تدعى الان غوا وكانت جميلة جداً ولدت له ولدين يدعيان بوغونوتان وبيلغونوتاي عاجلاً ام آجلاً وافت المنية الأب دوبون وبعد موته بحين ولدت أرملته من غير زواج ثلاثة اولاد هم بوغوخاداغي وبوخاتوسالتشجي وبودونتشار المغفل.

أخذ الابنان بوغونوتان وبيلغو أبناء دوبون يتحدثان خفية عن امهم ويتهمانها بأن لها ثلاثة أبناء دون زواج وهنا استدعت الان غوا ابنيها وقالت لهما ((ابناي بوغو وبيلغو حكمتما علي وفيما بينكما تقولان انني قد انجبت ثلاثة أبناء فمن هو والدهم؟ ولعلكما محقان في الشك بي لكن خفية الامر انه في كل ليلة أرى في الحلم ان رجلاً اشقر الشعر أزرق العينين يدخل عليّ عبر فتحة الدخان لخيمتي ليقترب مني وليخرج منه شعاع يتغلغل في أحشائي ثم يختفي، فاندهشت لهذه الحالة وفهمت فيما بعد دون ان اخبر أحداً بأنني حبلى)).

وهكذا عللت الان غوا لآبنيها بأنها قد حبلت من اشعة النور بأولادها الثلاث وان الثلاث هؤلاء موسومون بختم سماوي وسيكونون خانات على الجميع وعندها ستندمون على تقولكم وسيدرك البسطاء الحقيقة[1].

وما يهمنا من اسطورة الميلاد العجيب الابن بودونتشار المغفل الذي لم يكن مغفلاً لانه أوصل ابنه خايدو ليتولى زعامة القبيلة وغدا سليلَ نسله هم المتوارثي للزعامة اذا ما تولى خابول بعد أربعة أمراء سبقوه يكون مقام المغول السياسي قد ارتفع في المنطقة[2] حدث ذلك عندما حسّنَ خابول علاقته مع أبناء عمومته الكيدانيين مؤسسي دولة الكين الكيدانية في شمال غربي الصين والذين منحوه لقب لينفين أي قائد الحرس الحدودي ولقب سياوفين أي الوزير[3].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص14.

(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص23- 24. هوخام: تأريخ الصين، ص219.

(3) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص23-24.

اعقب خابول على الزعامة آبنه أمباغاي الذي لقب بالكاغان أي الحاكم والقائد للقبائل كافة التي سميت خاماغ منغول اولوس[1] أي مناطق نفوذ المنغول وبذلك يكون خابول هو المؤسس الحقيقي لدولة خاماغ منغول اولوس وابنه امباغاي الذي ثبت اقدامها ليرتفع مجد الدولة اكثر في عهد احفاده الذين تمكنوا من اضافة سبع عشرة محمية لدولتهم شمال نهر سينينخا بعد حروب طاحنة مع دولة الكين والتي لم تتوقف الا بصلح سنة (542هـ/1147م)[2].

ومن دلالات قوة الدولة هذه فضلاً عما ذكرناه هو سعة تبادلها التجاري مع الاطراف فكانت تستورد سنوياً خمسين ألف رأس من الماشية وتصدر خمسين ألف كيس من الحبوب وثلاثمائة الف قطعة من الحرير الناعم والخشن[3].

وفي حدود سنة (555هـ/ 1160م) آفَلَ نجم هذه الدولة وكانت قبيلة التتار التي سنتكلم عنها لاحقاً سبباً رئيساً في تفكك هذه الدولة ففي غمار المعارك الحربية مع التتار الذين كانوا من أشد المناهضين لهذه الدولة بأسر التتار زعيم هذه الدولة كينابا باركاكا واعدموه وبأعدامه انهارت دولته[4].

---

(1) اولوس: تعني قبيلة او طائفة او جماعة أو موطنها أو مناطق نفوذها، الهمذاني: جامع التواريخ "تأريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن"، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص22، الهامش رقم (2).

(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص544. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص24-25.

(3) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص26.

(4) الصياد: المغول في التأريخ ص27. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص26.

الفصل الأول
تيموجين وتكوين إمبراطوريته

الفصل الأول

تيموجين وتكوين إمبراطوريته

أولاً: الخارطة القبلية في منغوليا في حدود منتصف ق6هـ/ 12م ((التركيبة السكانية))

تشير الخارطة القبلية في منغوليا ابان تفكك الدولة المغولية الاولى في حدود منتصف القرن (6 هـ / 12م) إلى العديد من القبائل التي ساهمت في الصراعات السياسية التي شـهدتها الـبلاد والتـي انبثـق عنهـا تأسيس الامبراطورية المغولية الثانية بزعامة تيموجين ((جنكيزخان)).

وأشهر هذه القبائل هي:

1. التتار:

يشكل التتار اكبر المجموعات القبلية المنتشرة عـلى معظـم أرض منغوليـا[1] وتـشير نقوش اورخون[2] انهم كانوا يتكونون من تسع وثلاثين قبيلة توحـدت بآسـم تتـار[3] واول

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1،ص60. فامبري، ارمنيوس: تأريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتي، شركـة الاعلانات الشرقية، القاهرة، 1965 م، ص161. الحسيسي، احمد السيد: العالم الإسلامي في العصر المغـولي لـشبولر، بحـث منشور في مجلة عالم الكتب م5، العدد الاول، 1984م، ص225.

(2) نقوش اورخون هي اقدم آثار تركية أنشأها الترك انفسهم عن تأريخهم فأصحاب هذه الاثار قد سموا انفسهم لاول مـرة في التأريخ بالترك وهم قوم ظهروا في القرن السادس الميلادي واسسوا لهم دولة امتدت في هذه الفترة من حدود الصين إلى ايران وتتناول نقوش اورخون فترة نصف قرن (9-61هـ/ 630 – 680م) وهي الفترة التي فرض هـؤلاء سـلطتهم عـلى كل القبائل بما فيها قبائل منغوليا ووردت في نقوش اورخون معلومات قيمة عن حركة القبائل ومواطن استقرار بعضها وحركة الصراعات السياسية بينها، وعن لغة الترك وبعض المعلومات التـي تتعلـق بالنظـام الـسياسي والاجتماعـي عنـد الاتراك. ولمزيد من التفاصيل عن نقوش اورخون ينظـر: القلقـشندي، ابـو العبـاس احمـد بـن عـلي: قلائـد الجـمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الابياري، الناشر دار الكتب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1982م، ص28-29. بارتولد: تأريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1958 م، ص4-11، 34. كتابجي، زكريا: الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، 1972 م، ص24-54، وقد افـاض الكاشـغري في وصـف قبائل الترك واصولهم ومواطنهم وللتفاصيل ينظـر، محمـود بـن حـسين بـن محمـد: ديـوان لغـات الـترك، دار الخلافـة العلمية، المطبعة العامرة، ط5، 1333هـ م1، ج2، ص3،27 – 28،56. وينظر كـذلك. بارتولـد: مـادة تـرك، دائـرة المعـارف الإسلامية، الترجمة العربية، م5، ص46. العزاوي، عباس: تأريخ العراق بين احتلالـين، مطبعـة بغـداد، 1935م، ج1، ص53-55.

(3) هوتسما: مادة تتار، دائرة المعارف الإسلامية، م4، ص576.

ذكر للتتار طبقاً لهذه النقوش تنحصر بين اعوام (9-61هـ/ 630-680م)[1] في حين يرد اول ذكر لهم بآسم تتار في المصادر الصينية في سنة (228هـ/ 842م) على عهد حكم أسرة لياو الصينية وتسمية تتار في اللغة المغولية تعني نوع من السهام[2]. والتتار ينحدرون في اصولهم من جنس الترك[3].

---

(1) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص4.

(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15-41.

(3) ابن الاثير عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التأريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966م، ج12، ص361. الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص102-103،312. الذهبي، الحافظ شمس الدين: دول الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، القاهرة، 1974م، ج2، ص121. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: تأريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1971 م، ج5، ص516. العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن أحمد: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967 م، ص21. القرماني ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي: اخبار الدول واثار الاول في التأريخ، عالم الكتب، بيروت، ص283-284. الرمزي، م.م: تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص337. سرهنك، الميرالاي اسماعيل: حقائق الاخبار عن دول البحار، المطبعة الميرية=

وقد صنف الصينيون التتار طبقاً لدرجات حضارتهم إلى ثلاثة أصناف التتار البيض ووجودهم في المنطقة الجنوبية من منغوليا شمال الحدود الصينية مباشرة وهؤلاء كانوا متأثرين بالحضارة الصينية ثم التتار السود بعيداً عنهم إلى الشمال منتشرين شمال صحراء جوبي وكانوا يمارسون حياة البداوة والتنقل واخيراً التتار المتوحشون او ساكنوا الغابات على الروافد العليا لنهر أونون وكيرولين ومارسوا حياة الصيد[1] والتتار قبيلة مستقلة عن المغول لا بل يعدون من أشد اعداء المغول[2] وكانوا في أغلب الاوقات خاضعين لملوك الخطا في الصين[3] ومن آنٍ لآخر كانوا يثورون على الخطا فيسرع هؤلاء

ببولاق، ط1، مصر، 1314هـ ج2، ص165 وينظر كذلك، الكاشغري: ديوان لغات الترك م1، ص3 ،27-28، 56-57، كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ، ص36.

(1) العريني: المغول ص33. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص153. بروكلمان، كارل: تأريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط7، بيروت 1977م، ص381. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، المكتبة العصرية، بيروت 1969م، ص33. شبولر: العالم الإسلامي، ص20 -21.

(2) العريني: المغول، ص33.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص60. ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م، ج6، ص248. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص31، والخطا: هم من التونغوز والتونغوز من الشعوب الصينية التي تنتمي إلى عائلة اللغة التائية وموطنهم الصين الشمالية في اقليم يعرف بآسمهم ((اقليم الخطا)) وفي النصف الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي نزحت جماعات من قبائل الخطا من موطنهم الاصلي في شمال الصين على اثر الاضطراب الذي ساد هذه المنطقة واستقروا غرب اقليم التركستان حيث كونوا دولة لهم فيها عرفت باسم دولة القره خطائيين، وقره لفظة تركية بمعنى اسود ويبدو ان التتار هم الذين اضافوا هذه اللفظة على الخطا للتعبير عن عدائهم وكراهيتهم لهم، وقد استطاع ملوك هذه الدولة الذين كان يلقب كل واحد منهم بلقب كورخان (أي ملك الملوك) توسيع مملكتهم الجديدة شرقاً وغرباً حتى امتدت حدود دولتهم من صحراء جوبي داخل حتى نهر سيحون ومن هضبة التبت الي سيبيريا وللتفاصيل ينظر: ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص134. ميرخواند، محمد حميد=

على مقاومتهم واجبارهم على الخضوع مرة أخرى، وعرف التتار بشدة البأس والجبروت وكانوا يعيشون في صراع دائم مع بعضهم البعض والحروب تنشب بينهم لأتفه الاسباب وقد تستمر المعارك بينهم عدة سنوات ولم يكن لهم قانون يحكمهم او شريعة يسيرون عليها[1] وعلى حد تعبير رشيد الدين الهمذاني ((لو كان يسود هؤلاء الاقوام الوئام، ويؤلف بين قلوبهم الاتحاد لما استطاعت اقوام الخطا ولا غيرهم التغلب عليهم او النيل منهم))[2].

وأتاح سقوط دولة الخطا سنة (519 هـ / 1125م) الفرصة للتتار في ان يعيدوا منغوليا إلى سابق عهدها من الفوضى والاضطراب[3] وبسبب جبروتهم استطاعوا ان يفرضوا إرادتهم على أغلب القبائل بحيث ان قبائل الاتراك الأخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون بآسمهم فأطلق على الجميع اسم تتار او تتر.

يقول رشيد الدين الهمذاني ((انه لهذا السبب لا زال للأن في بلاد الخطا والهند والصين ومنشوريا وبلاد القرغيز والكلاربسين والباشغريين في منطقة دشت القفجاق والنواحي الشمالية منها وأقوام من الاعراب والشام ومصر والمغرب يطلقون اسم التتار على أقوام الأتراك))[4].

الدين بن سيد برهان الدين: تأريخ روضة الصفا، تهران، 1339 هـ ج4، ص356. العبود، نافع: الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م، ص24 ،64-67. العريني: المغول، ص32-33. شبولر: العالم الإسلامي، ص21. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص122 - 124.

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص60.

(2) جامع التواريخ، م1، ج1، ص102.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص60. شبولر: العالم الإسلامي، ص21.

(4) جامع التواريخ، م1 ج1، ص42، وينظر. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص152. هوتسما: مادة تتار، دائرة المعارف الإسلامية، م4، ص577.

2. الكرايت:

ينتسبون إلى العنصر التركي[1] ومناطق انتشارهم الشاطئ الغربي لبحيرة بيكال بين نهرأرخون وجبال كنتاي حتى سور الصين، ويعد الكرايت من القبائل التي كان لها شان كبير في الصراعات التي شهدتها منغوليا في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكانوا في اكثر الاوقات على خصام مع التتار وكثير ما كان زعماؤهم يستعينون بحكام الصين الشمالية للايقاع بالتتار[2] والكرايت هم اكثر القبائل المنغولية التصاقاً بالمغول ولهذا عدهم البعض قبيلة مغولية[3].

ووصف الجويني الكرايت بأنهم قبيلة ((ذات قوة ومكانة تفوق غيرها من القبائل بالعدة والعتاد والعدد))[4] باستثناء التتار.

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص102. فهمي، عبد السلام عبد العزيز: تأريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف، 1981 م، ص14، بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص545. رانسيمان، ستيفن: تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار الثقافة، بيروت 1969م، ج3، ص410.

(2) العريني: المغول، ص34؛ كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص43-44. عمران، محمود سعيد: المغول واوربا، دار المعرفة الجامعية، 1997 م، ص31.

(3) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص43. عمران: المغول واوربا، ص31. الحسيسي: العالم الإسلامي، ص225.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69. وينظر عمران: المغول وأوربا، ص31.

واشهر زعمائهم زمن ظهور تيموجين ((جنكيزخان)) هو طغريل[1] الذي سيكون له دور كبير في الاحداث التي ساهمت في ظهور جنكيزخان[2] وكان طغريل قد حاز على لقب وانج اللقب الصيني للملك من امبراطور كين الصينية بصفته تابعاً لأسرة كين فاشتهر طغريل في التأريخ بلقبه الصيني والتركي وانج خان[3] وبعض المصادر الأخرى تسميه بأونك خان وبسبب اعتناق اونك خان هو واتباعه الديانة المسيحية على المذهب النسطوري[4] ذاع امرهم في اوربا[5] واتخذ زعماؤهم في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي اسماء مسيحية فكان يطلق على اونك أووانج خان لقب يوحنا المسيحي اللدود الذي قام بدور كبير في تعميم الديانة المسيحية على اتباعه[6].

---

(1) طغريل ((اونك)) ((وانج)) المصادر والمراجع التأريخية تأخذ الاسمين معاً او بأحدهما والاثنان يمثلان شخصية واحدة وهو زعيم قبيلة الكرايت وطغريل هو التسمية المحلية او القبلية له اما اونك فهي التسمية الصينية له وهناك من يطلق عليه اسم يوحنا المسيحي الكريتي كآبن العبري في كتابيه تأريخ الدول السرياني، ص419. وتأريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، 1983م، ص394. اما كيتشانوف فيسميه فان خان، ينظر: حياة تيموتشجين، ص177-178، 185. ويرد عند ابن كثير والقلقشندي باسم اوزبك خان، ينظر: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل: البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م، ج13، ص118. صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1987م، ج4، ص310-311. والاسم الصحيح اونك خان، ينظر: المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة، ج2، ص220.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص337. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420.

(3) العريني: المغول، ص34. شبولر: العالم الإسلامي، ص23.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69.

(5) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص355. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص15. شبولر: العالم الإسلامي، ص20. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص359. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص381.

(6) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420. الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص355. عمران: المغول وأوربا، ص32.

3. النايمان:

اختلف الباحثون المعاصرون في اصل النايمان فهناك من يرى بأن النايمان هم من أصول تركية[1] ومنهم المؤرخ الروسي راتسنفسكي الذي يعتقد بأن النايمان من الترك[2] يؤيده في ذلك عدد من الباحثين الذين يرون بأن النايمان ترك تشبهوا في تقاليدهم وعاداتهم بالمغول[3] في حين يرى الباحث المنغولي المعاصر تشولوني دلاي بأن النايمان ((قبيلة مغولية تتحدث باللغات التركية)) ويذكر بأنه ((لا توجد مسوغات تأريخية لادعاء الباحثين المعاصرين من ان النيامان من اصول تركية)) فهم من الجنس المغولي الخالص[4] ولعل ان رأي دلاي لا يعد حجة لانه غير مدعم بنصوص تأريخية في حين يبدو بأن الراي الاول هو الراجح كون مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني المتوفى سنة (718هـ/ 1318م) اشار صراحة إلى ان النايمان قبيلة تركية[5] والنايمان بدو رحل موطنهم في الجزء الغربي من منغوليا في الحوض الاعلى لنهر أورخون وعلى منحدرات جبال التاي وضفاف بحيرات تلك المناطق[6].

اعتنق النايمان الديانة الشامانية[7] شأنهم شأن معظم قبائل منغوليا[1] غير ان الديانة المسيحية على المذهب النسطوري نفذت اليهم وجاءتهم عن طريق قبيلة الايغور التركية

---

(1) اقبال: تأريخ المغول، ص48. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص14. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص359. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص415.

(2) اورد هذا الرأي كيتشانوف في كتابه حياة تيموتشجين، ص44.

(3) العريني: المغول، ص35. الصياد: المغول في التأريخ، ص29.

(4) أورد هذا الرأي كيتشانوف في كتابه حياة تيموتشجين، ص44.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص102.

(6) اقبال: تأريخ المغول، ص48. الصياد: المغول في التأريخ، ص29. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص191.

(7) الشامانية: اصطلاح اطلق على مجموعة من الديانات البدائية التي سادت بين البدو الرحل وسكان بلاد منغوليا ومحور هذه الديانة تدور حول عبادة كل شيء يسمو على مدارك المغول، اوكل شيء يخشونه او يرهبون منه فكانوا يعبدون مثلا النهر والجبل والبرق الخاطف والرعد القاصف وكانوا يفعلون ذلك دفعاً لشرها وجلباً لرضاها ويمثلها الكاهن الذي عرف بأسم شامان ومن هذه العبادة اشتقت التسمية والشامان تصير اليه الوظيفة بشكل وراثي بعد ان يمر بعدة ادوار حتى يتمكن من ممارسة وظيفته التي تجعله بالنسبة لقومه رجل دين وسحر وطب وحتى سياسة وحرب وغير ذلك، وقد ظل الشامانيون لعهد طويل يعدون الاشخاص الموثوقين والمعتمد عليهم اكثر من غيرهم في تلك البلاد. شبولر: العالم الإسلامي، ص21 والهامش رقم (1) من الصفحة نفسها. الجويني: تأريخ

الذين يعيشون إلى الجنوب منهم[2] والنايمان قبيلة ذات اعداد كبيرة[3] وذو شُعبٍ عديدة ولهم جيوش كبيرة وقوية عرفوا بشدة بأسهم في الحروب يُؤتمرون بأمر ملك لا يخالفونه الا اذا خرج عن تقاليدهم البدوية وكان يطلق على ملوكهم اسم كوشلك خان أي الملك العظيم القوي واشهر ملوكهم تايانك خان الذي حاربه جنكيزخان[4].

4. الايغور:

هم من الترك ايضاً[5]، وهم اكثر اقوام منغوليا تحضراً[6] كانوا منتشرين شمال منغوليا اسسوا لهم دولة في منغوليا بعد أن شكلوا حلفاً من تسع قبائل وكان يلقب

فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص84-85. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص153. الصياد: المغول في التأريخ، ص335. ولمزيد من التفاصيل عن الشامانية ينظر ابن الاثير: الكامل في التأريخ، ج12، ص360. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمها عن الانكليزية توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977 م، ص108، 182، حسن، حسن ابراهيم: تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1967 م، ج 4، ص133. ارنولد، سير توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970 م، ص251. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص381-382.

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص84.

Zenkovsky , Serge. A: Pan- Turkism and Islam in Russia, Cambridge , 1967 , p. 12

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص87. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص359. العريني: المغول، ص35.

(3) عرف النايمان بتسمية ساقيز و ساقيز باللغة التركية تعني ثمانية ونايمان بالمغولية تعني ايضاً ثمانية ولعل قبيلة النايمان جاءت تسميتها من اتحاد الثمانية قبائل او انها كانت مقسمة إلى ثمانية اقسام عملت تحت زعامة موحدة خلال فترة ظهور جنكيزخان عن ذلك ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69 و هامش (2) من الصفحة نفسها.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص137. الصياد: المغول في التأريخ، ص30. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص14.

(5) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص342. اقبال: تأريخ المغول، ص48.

(6) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص156. اقبال: تأريخ المغول، ص58-59.

ملكهم بـ ((ايدي قوت)) ومعناها ملك الدولة[1] وكانت ديانتهم مانوية وبوذية ومسيحية[2] وقلة منهم كانت تدين بالشامانية[3] وفي القرن التاسع الميلادي حلت الكتابة الايغورية[4] مكان الابجدية التركية القديمة وقد اتخذ المغول على عهد جنكيزخان ابجدية الايغور التي شاع استعمالها على جميع امبراطوريته[5].

استمرت دولة الايغور قائمة في منغوليا حتى سنة (226هـ/ 840م) اذ في هذا العام اسقط القرغيز هذه الدولة[6] ليغدوا الايغور بعد ذلك مجردين من السلطة حتى استطاع بعضُهم تأسيس امارة لهم في التركستان الشرقية[7] في منطقة بيش باليغ[8] ما لبث ان دخلت في طاعة جنكيزخان سنة (606هـ/1209م) [9].

5. مركيت:

موطنهم جنوب بحيرة بيكال في المجرى الاسفل لنهر اورخون وحول نهر سانجا الواقع شمال موطن الكرايت[10] وهم الاكثر تداخلاً مع قبيلة المغول، ولهذا عدهم رشيد

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص75.

(2) الصياد: المغول في التأريخ، ص22.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص84.

(4) عن الابجدية الايغورية. ينظر بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص49-50.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص62. العريني: المغول، ص30. جبران: دراسة في المصادر الرسمية لتأريخ أسرة يوان المغولية، ص309.

(6) بروي: تأريخ الحضارات العام ج3، ص356. العريني: المغول، ص29.

(7) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص75. اقبال: تأريخ المغول، ص58.

(8) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص76. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص5. اقبال: تأريخ المغول، ص58.

(9) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص75-76، 85. الصياد: المغول في التأريخ، ص51.

(10) العريني: المغول، ص35. اقبال: تأريخ المغول، ص48. الصياد: المغول في التأريخ، ص28. كيتشانوف: حياة تيموتشين، ص43.

الدين الهمذاني بأنهم من جنس المغول[1]، والمركيت قوم اشتهروا بالبسالة والقسوة وشدة الاحتمال في الحروب وكانوا كثيري العدد لهم جيش قوي عارم[2] ولهم شأن كبير في الاحداث السياسية والعسكرية التي ساهمت في ظهور جنكيزخان.

6. المغول:

يرجع التأريخ المبكر للمغول إلى قبيلة الشيواي التي سبق الحديث عنها والمغول في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كانوا يشكلون مجموعة بشرية ضمت عدداً من القبائل اطلق عليها بمجموعها تسمية المغول التي ينتسب إلى احدها جنكيزخان مؤسس الامبراطورية المغولية والمغول على حدّ قول رشيد الدين الهمذاني هم من جنس الترك فيقول ((التتار والمغول يعدون من قبائل تركية متباينة...حيث ان المغول كانوا في القدم قبيلة واحدة من مجموع القبائل التركية))[3].

وفي مكان آخر يشير ((ومع أن الاتراك والمغول وشعبهم يتشابهون اطلق عليهم في الاصل لقب واحد فإن المغول صنف من الاتراك وفيهم تفاوت واختلاف))[4] وسبب ذلك الاختلاف يرجع إلى تنوع البيئات التي عاشوا فيها.

ويؤيد العديد من المؤرخين ما ذهب اليه رشيد الدين الهمذاني في أن اصل المغول من جنس الترك[5] وينتسبون بلهجاتهم إلى الأسرة اللغوية التائية أي التركية المغولية[6]

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص114.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص114.

(3) جامع التواريخ، م1، ج1، ص102-103.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ (الايلخانيون - تأريخ هولاكو) ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، دار احياء الكتب العربية، 1960م، م2، ج1، ص212.

(5) ابن الاثير: الكامل في التأريخ، ج12، ص361. ابن العميد، المكين جرجيس: اخبار الايوبيين، تحقيق كلود كاهن، دمشق، 1958م، ص28. قزويني، حمد الله بن ابي بكر بن محمد بن نصر مستوفي: تأريخ كزيدة باهتمام عبد الحسين نوائي، مؤسسة انتشارات أمير كبير، تهران، 1339هـ ش، ص562. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص82. الغساني، الملك الاشرف: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث، بيروت، 1975م، ص370. سرهنك: حقائق الاخبار، ج2، ص165.

(6) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص355.

وموطن المغول الاصلي هي سهول الضفة الجنوبية لنهر أمور غربا من مصب نهر سونغاري وشرقاً من سلسلة جبال خينجان الصغرى ضمن أرض منغوليا[1] ثم ما لبثوا ان تعرضوا لعمليات هجرة وتنقل لأسباب سياسية أو لدواعٍ تتعلق بطبيعة حياتهم كبدو رحل[2] بحيث غدت هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي وجنوب بحيرة بيكال من اهم مناطق انتشارهم خلال الفترة التأريخية التي عاصرت تكوين امبراطورية جنكيزخان[3].

وقد ضم شعب المغول قبائل كثيرة العدد[4] يصعب التمييز بينهم لكثرة بطونهم واتساع رقعة اراضيهم المفتوحة فبينهم قبيلة اويرات التي كانت تعد من القبائل المغولية الكثيرة العدد ومناطق انتشارهم بين نهر اونون وبحيرة بيكال [5] ومنهم كذلك جاجيرات وايكراس وبارين وقيشلق وايشلان ودوريان وسالجيوت وجلاير وأسماء أخرى[6]. غير

---

(1) رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص410.

(2) عن عمليات تهجيرهم ينظر مبحث التأريخ المبكر للمغول.

(3) الصياد: المغول في التأريخ، ص30-31. قداوي، علاء محمود: المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 1985 م،وبأشراف أ.د. محمود ياسين التكريتي، ص46 . الحنون، مصطفى هاشم عبد العزيز: الصراع بين الممالك والقوى السياسية في المشرق الإسلامي بين (658 -856 هـ / 1258-1452م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى عمادة كلية الاداب جامعة الموصل، 2007 م باشراف د. علاء محمود قداوي، ص19.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69 ،337. اقبال: تأريخ المغول، ص48.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص337. اقبال: تأريخ المغول، ص48.

(6) للاطلاع على مزيد من اسماء هذه القبائل اضافة إلى ما ذكرناه في المتن ينظر العزاوي، عباس: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص65-68.

ان اكثرهم شهرة قبيلة قيان[1] التي يقول عنها الجويني انها اكثر اصالة بين قبائل المغول كون تيموجين ينتسب اليها[2] وهذا ما سنفصل الحديث عنه ضمن المبحث التالي إن شاء الـلـه.

ثانياً: تيموجين والكفاح من أجل الزعامة

ينتسب تيموجين إلى قبيلة قيان المغولية[3] وقيان هو الجد الاعلى لهذه القبيلة التي سميت بأسمه. وهناك من يرجع نسب قيان إلى تيكز خان بن منكلي خان الذي ينتهي نسبه باوغزخان[4] وأوغوزخان من سلالة يافت بن نوح عليه السلام فهو البطل الاسطوري للاتراك الذين نسب اليهم المغول[5].

ويشير الرمزي إلى ان تيكزخان كان زعيماً لقومه حدث على عهده وعهد ابنه ايل خان حرب طاحنة مع قبيلة التتار دامت مدة طويلة وانتهت بمقتل ايل خان واستئصال

(1) قيان: اختلف لفظ هذه القبيلة لدى المؤرخين فمنهم من يسميها قيان وآخرون بقيات وهذا الاختلاف في اللفظ نلاحظه على العديد من التسميات المغولية وسببه يرجع إلى اختلاف ألسن المترجمين او بسبب التحريف عند النقل من المخطوطات الاصلية وعن لفظ هذه القبيلة ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص118. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص310. القرماني: اخبار الدول، ص284. الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص346.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69. صفا ذبيح الـلـه: تأريخ ادبيات در ايران، تهران، 1338 ش، ج5، م1، ص4. عبد الحكيم، منصور: جنكيز خان امبراطور الشر وقاهر العالم، دار الكتاب العربي، دمشق، 2008م، ص57-58.

(4) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص344.

(5) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص53-58-60. قداوي: تأريخ العراق في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 1993م، وبأشراف أ. د. عبد المنعم رشاد، ص45.

Minorisky V.: The Qara Qoyunluand The Qutbshah, " Bulletin of the school of Oriental and African studies" University of London, 1955, Vol. XVII, Part 1, p. 53

عساكره فاستولى التتار على جميع مناطق نفوذ ايل خان فنهبوا اموالهم واسروا نساءَهم واولادهم حتى لم يبقَ نفر واحد منهم على حريته بل صار كلهم عبيداً مملوكين للتتار[1].

وكان من جملة من اسروا واحد من أبناء ايل خان يسمى قيان الذي تمكن من الهرب مع زوجته وابن عمه نكوز إلى جبال ارغون كون بعيداً عن التتار فأقاموا في هذا المكان امنين وتناسلوا وكثروا وصار لا يسعهم هذا المكان فاضطروا بعد ان عاشوا فيه زمناً طويلاً على مغادرته إلى الاماكن السهلية وعلى ما يبدو ان انتشارهم ثانية في المناطق الفسيحة من منطقة ارغون كون جعلهم من جديد وجهاً لوجه امام التتار فلم يكن امامهم الا القتال، هنا ادركوا ان هزيمتهم تعني الموت ولهذا قاتلوا بضراوة تحت زعامة أميرهم برته جينه الذي انتصر على التتار وكسر شوكتهم واسترد ما كان قد أخذوه وانتزعوه من اسلافهم وما كان لهم من املاك واشتدت شوكتهم بين القبائل[2].

توالى على زعامة قبيلة قيان بعد برته جينه عدد من أبنائه واحفاده منهم دوبن بيان وهو الزعيم الثاني عشر لكنه توفي دون ان يترك وريثاً فخلفه ابن زوجته بوزنجران الذي ينتسب اليه تيموجين ((جنكيزخان)) وجميع خانات المغول[3].ويطلق على ذرية هؤلاء الزعماء من نسب بوزنجران تسمية نيرون وتعني الأصيل او عالي النسب او عائلة النور[4]، وهذه التسمية على ما يبدو جاءت تشبهاً بالتسمية التي كانت تطلق على اسرة امبراطورية الصين تاي توزون[5].

---

(1) تلفيق الاخبار، ج1، ص344 – 345، وينظر كذلك العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص63-64.

(2) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص345. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص64.

(3) ابن خلدون: التعريف بأبن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تعليق محمد بن تاويت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص360. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص310. الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص346. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص70. والهامش رقم (5). كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص18-19.

(4) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص346.

(5) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص20.

اعقب على زعامة قبيلة قيان بعد بوزنجران عدد من الزعماء المنحدرين من نسبه ثامنهم كان اسمه بارتان[1] ليتولى من بعده الزعامة والد تيموجين يوسكاي[2].

ويوسكاي يصفه بعضُهم بأنه كان رئيس أسرة بورجقين من قبيلة قيان وليس زعيماً للقبيلة[3] واخر يصفه بأنه كان أمير على عدد قليل من الجند يعمل تحت امرة زعيم اخر[4] غير ان حقيقة امره انه كان زعيماً لقبيلة قيان[5] فضلاً عن انه كان أميراً على ثلاث عشرة قبيلة مغولية متحالفة معه[6]، وهذا ما يفسر تحالفه مع زعيم قبيلة الكرايت الأمير طغريل((اونك خان)) فلو كان زعيماً لأسرة او لعدد قليل من الجند لما تحالف معه زعيم بمستوى قبيلة الكرايت ذات النفوذ الواسع بين قبائل منغوليا وبمساعدة يوسكاي احتفظ طغريل ((اونك خان)) بزعامة قبيلة الكرايت التي كانت قد تصدعت وحدتها بسبب الصراعات الداخلية على مراكز النفوذ[7] كما انه لو كان ضعيفاً لما امتنع عن دفع ضريبة الخراج التي كان يدفعها أبوه لأباطرة الصين الشمالية[8].

---

(1) عن اسماء الزعماء الثمانية على قبيلة قيان والمنحدرين من نسل بوزنجران هم على التوالي بوقا، دوتومين، قيدو، باسنقر، تومنه، قبل، قوبلة ليخلفه بعد ذلك بارتان، ينظر الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص347. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص31، واشار إلى هذه الاسماء قزويني والقلقشندي مع وجود بعض الاختلاف في لفظ بعض الاسماء، تأريخ كزيدة، ص580 – 581، صبح الاعشى، ج4، ص310.

(2) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص347.

(3) العريني: المغول، ص42. عبد الحكيم: جنكيزخان، ص57.

(4) شبولر: العالم الإسلامي، ص22.

(5) اقبال: تأريخ المغول، ص57، صفا: تأريخ ادبيات درايران، ج5، م1، ص4.

(6) الصدفي، رزق الله منقريوس: تأريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال بمصر، 1907م، ج 2، ص267، اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190. لامب، هارولد: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ترجمة بهاء الدين نوري، مطبعة سكك الحديد العراقية، بغداد، ص10، العريني: المغول، ص44.

(7) رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص411. صفا: تأريخ ادبيات در ايران، ج5، م1، ص4.

(8) اقبال: تأريخ المغول، ص57. صفا: تأريخ ادبيات در ايران، ج5، م1، ص4.

قضى يوسكاي حياته كلها في قتال مستمر دفاعاً عن املاكه وقد نال شهرة واسعة بين اقرانه من زعماء القبائل سيداً مهاب الجانب، ويذكر ان العديد من القبائل كانت تؤدي الخراج له[1].

رزق يوسكاي بأربعة اولاد من زوجته ويلون اطلق على البكر منهم اسم تيموجين تخليداً لذكرى انتصار يوسكاي على خصمه الذي كان يسمى بهذا الاسم[2] وكان مولد تيموجين الذي يعني الحديد[3] سنة (549هـ / 1155م) وهناك من يذكر ان ولادته كانت في سنة (561هـ/1167م)[4] ولم نستطع ان نرجح ايهما الاصح لافتقار كلا الرأيين إلى ادلة قاطعة او شواهد تأريخية ولكن اغلب المصادر والمراجع ترجح سنة (549هـ/ 1155م) دون ان تذكر الاسباب[5].

وما أطلع عليه عن طفولة تيموجين لا يعدو قصصاً قليلة فتذكر الروايات ان احدى يديه عند ولادته وجدت مقبوضة على قطعة متجمدة من الدم فلما تداول

---

(1) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص74. لامب: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص10.

(2) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص360. القزاز، محمد صالح داؤود: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970 م، ص109-110. بيان، ف: جنكيزخان سفاح الشعوب، ترجمة صوفي عبد الله، دار الهلال بمصر، 1951 م، ص10. الصياد: المغول في التأريخ، ص40.

(3) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ترجمة متري أمين، مكتبة الانجلوالمصرية، 1962 م، ص9. صفا: تأريخ ادبيات در ايران، ج5،م1، ص4.

(4) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص360. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص189. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص409. صفا: تأريخ ادبيات در ايران ج5، م1، ص4.

Spuler,Bertold:Die Golden Horde Die Mongol in Rubland,Wie Sbaden,1965, p,615- 616.

(5) قزويني: تأريخ كزيدة، ص581 الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص347. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص73. الصياد: المغول في التأريخ، ص15. فامبري: تأريخ بخارى، ص162. صفا: تأريخ ادبيات در ايران ج5، م1، ص4. هوخام: تأريخ الصين، ص219. ابو مغلي، محمد وصفي: ايران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985م، ص223.

الحاضرون الحديث عن غرابة ذلك قال احدهم ان هذا الطفل سوف يكون ملكاً عظيماً وسوف تظهر على صفحة جبينه اثار الغزو والسيطرة والاستعداد على سفك الدماء[1].

والحادث الاول الذي يذكر عنه، قتله أحد أخوته لسرقة سمكة منه، هذه الحادثة التي جعلت امه تصفه بالوحش الضاري[2] اعطت دلالة على انه كان مؤمناً بقوته وبقدرته على انتزاع حقوقه من الآخرين حتى لو كان الاخر أخاه، وكان في طفولته يصغي إلى قصص والده وبطولات اجداده[3] فتشرب منها ببسالة جعلت منه رجلاً حديدياً لا يهاب الموت.

ولما بلغ تيموجين التاسعة من عمره صحبه والده لزيارة اخواله فالتقى في اثناء الرحلة بأحد زعماء المغول القنقرات فتنبأ لتيموجين بمستقبل باهر وحرص على ان يزوجه من ابنته بورته التي لم تتجاوز وقتذاك العاشرة من عمرها وهكذا تمت الخطبة في اليوم الثاني[4].

توفي يوسكاي مسموماً على يد أحد أعوانه ولأسباب مجهولة[5] تاركاً ابنه تيموجين في الثالثة عشرة من عمره[6] ينتظر مصيره الغامض إذ انفض منه اكثر الاقارب والاتباع

(1) خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في اخبار افراد البشر، كتبخانة، خام، تهران، 1333ش، ج3، ص16. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص73. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص85-87. هوخام: تأريخ الصين، ص220.

(2) لامب: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص10. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص116.

(3) عن هذه القصص التي ساهمت في تكوين شخصيته ينظر. لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص14-15، جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص10-11.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص337. لامب: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص11-13. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص21. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص412. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190. عمران: المغول واروبا، ص32. ابو مغلي: ايران دراسة عامة، ص223.

(6) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص348. اقبال: تأريخ المغول، ص57. صفا: تأريخ ادبيات در ايران، ج5، م1، ص4. ابو مغلي: ايران دراسة عامة، ص223.

واستغلت قبيلته صغر سنه ورمته بالضعف ورفضت زعامته واعلنت التمرد والعصيان[1].

ورغم نشاط امه ويلون ورجاحة عقلها وبعد نظرها فقد تخلى عنه ايضاً من بقـي مـن اتبـاع ابيـه وحملوا معهم قطعانهم وانضموا إلى قبيلة التايجوت خصوم والده يوسكاي[2] مبررين عملهم هـذا بـالقول ((ان الرباط القوي الذي كان يمنحنا القوة والمنعة قد ذهب والصخرة التي كنا نحتمي وراءها قد تحطمت ولم يبق غيرالمرأة واطفالها فما بالُنا وإياهم))[3].

وأخذت عرباتهم المحملة تتدحرج خارجة مـن المخـيم، فقـد خـشوا ان يتركـوا مـصائرهم ومـصائر اسرهم بين يدي امرأة وصبي غير محنك مثل تيموجين[4].

ساءت احوال ارملة يوسكاي واطفاله بعد وفاته وصـارت هـذه المجموعـة تعـيش على صيد الحيوانات والاسماك ولما كان تيموجين هو الابن الاكبر فقد كان عليـه ان يقـرر ماذا ينبغي ان تفعل الأسرة وبعد تفكير عميق انبأ تيموجين امه انه قرر ان يأخـذ مكـان والده يوسكاي المتوفى في الزعامة ومع هـذا القـرار ان عـلى الأسرة ان تـدافع عـن نفـسها لاستعادة الزعامة بمحاربة الاعداء[5] وفي ظـل هـذه الظـروف الحالكـة كـان أمامـه خيـار

---

(1) الجـويني: تـأريخ فـاتح العـالم جهانكـشاي، م1، ص21. الـصدفي: تـأريخ دول الإسـلام، ج2، ص267. فهمـي: تـأريخ الدولـة المغولية، ص30.

Vladimircov, B.Y.: CenGizhan, Ceviren, Hasan AliEDiz, Bilim ESER LERi SERiSi, p14-15.

(2) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص348.

(3) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص16. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190.

(4) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص16. الصياد: المغول في التأريخ، ص42.

(5) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص16. شبولر: العالم الإسلامي، ص22. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص30.

الالتجاء إلى حليف والده زعيم قبيلة الكرايت طغريل ((اونك خان)) الذي سبق ليوسكاي ان ساعده على تثبيت زعامته حيث كان بين يوسكاي وطغريل قسم يمين الصداقة والاخوة وهو قسم يورث ولد الفريق الواحد حق مراجعة الفريق الثاني وطلب المعونة ولكن أبى تيموجين الاستعانة بطغريل بقوله ((إني في ذهابي مستعطفاً فارغ اليد لذل لا قوة))[1].

وهكذا تمسك بحزمه وعزمه وخلال ذلك اغار اعداؤه على مخيمهم وسرق المغيرون ثمانية افراس من أصل التسعة التي كانوا يملكونها، وأصر تيموجين على ان يطارد اللصوص وبعد اربعة ايام التقى بغلام اسمه بورتشو احس بالميل والرغبة بمساعدة تيموجين فاشترك معه في البحث عن الافراس حتى عثروا عليها فساقها إلى مخيمه وبذلك اظهر تيموجين براعة في مراماة اعدائه واجبارهم على ان يتخلوا عن اللحاق به ليقوم هو بالاغارة عليهم وليسقط عدداً منهم قتلى وما انقضت سنوات حتى بدأ الناس يرددون ان قوة تيموجين ورفاقه اخذت لا تبارى حين بلغ عدد من يتبعه اكثر من مائة محارب مجهزين بعدة حرب كاملة ويمتطون خيولاً سريعة يستخدمونها في الاغارة على الاعداء[2].

ولما بلغ تيموجين السابعة عشرة من عمره حاول لاول مرة ان يتخذ من اصدقاء والده حلفاء له وعلى اقل تقدير امكنه ان يذهب اليهم لا متسولاً بل زعيماً له اتباع من الفرسان وكان اول شيء فعله قيامه برحلة يطالب فيها بزوجته - تلك الصبية التي سبق وان اتفق على الزواج منها على عهد والده ولكن وفاة والده المفاجئة أحالت دون زواجه انذاك وقد أدهش زعيم قبيلة القنقرات الذي كان والد خطيبته بورتة حيث قال لتيموجين ((عن ما بلغنا قيام عدد كبير من الاعداء ضدك لم نتوقع البتة ان نراك حياً مرة ثانية))[3].

---

(1) اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص191. لامب: جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص16-17، 23. فهمي، تأريخ الدولة المغولية، ص31.

(2) العريني: المغول، ص45-46. كيتشانوف: حياة تموتشجين، ص9-10. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص23-30.

(3) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص30. جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص21. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص102. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190 -191.

وبعد الترحيب وحفلة الزواج اخذ تيموجين زوجته ليواصل حنكته وشجاعته وصبره في تثبيت زعامته التي اجتذب اليها كبار شخصيات قبيلته[1].

اما اولئك الذين رفضوا الانصياع فأنه اصطدم بهم واشتبك معهم في قتال عنيف انتصر فيه عليهم في آخر الامر وبهذا الانتصار دان له كل افراد قبيلته قيان ليغدو بعد ذلك سيداً عليها[2].

ثالثاً: الانتصار على حليف الامس

رغب تيموجين بعد ان استعاد الزعامة على قبيلته في تجديد التحالف الذي سبق لوالده يوسكاي ان اقامه مع طغريل ((اونك خان)) زعيم قبيلة الكرايت ذات النفوذ الواسع والعدد الكبير من الرجال.

وهدفه من التجديد هو تعزيز موقعه بين قبيلته والقبائل الأخرى الطامعة بمناطق نفوذه كما ان هذا التحالف سيعطيه القوة اذا ما رغب في توسيع نفوذه خارج نطاق مراعي قبيلته، كما سيؤمن له الحماية من اية محاولة انتقامية قد يلجأ اليها حكام الصين الشمالية ضده والذين سبق وان تمرد عليهم يوسكاي والد تيموجين ورفض دفع ضريبة التبعية لهم[3].

ومع ان اونك خان لم يكن بحاجة إلى التحالف مع تيموجين بحكم انه اصبح السيد على معظم اراضي منغوليا بدعم من حكام الصين الشمالية، غير ان عامل الوفاء هو وحده الذي كان وراء قبول اونك خان بتجديد التحالف اذ لم ينسَ اونك فضل يوسكاي عليه عندما ساعده في تثبيت سلطته على قبيلته الكرايت ضد المنافسين له على الزعامة[4]

---

(1) الصياد: المغول في التأريخ، ص45. لامب: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص20. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص75.

(2) ميرخواند: تأريخ روضة الصفا، م5، ص48.

(3) عن تمرد يوسكاي على حكام الصين الشمالية ينظر، اقبال: تأريخ المغول، ص57.

(4) العريني: المغول، ص50. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص545.

فرداً للجميل قبل بالتحالف حيث غمر تيموجين بعطفه وتوطدت بينهما اواصر الود والصداقة[1].

كان تيموجين بعيد النظر بتجديد التحالف، اذ لم يمض سوى زمن قصير عليه حتى اتى بؤكله، حدث ذلك عندما زحفت قبيلة المركيت المتوحشة برجالها الاشداء[2] على مضارب قبيلة تيموجين للأخذ بثأر قديم مضى عليه ثمانية عشر عاماً تمثل بعملية الخطف التي سبق ان تعرضت لها ويلون المركيتية من قبل يوسكاي الذي تزوجها فأنجبت له تيموجين، فلم ينسَ المركيت مظلمتهم هذه فجاءوا مغيرين ليلاً والقوا المشاعل الملتهبة على خيام قبيلة تيموجين، نجا تيموجين بأعجوبة هارباً على صهوة جواده، أما زوجته بورتة فوقعت اسيرة حيث سبيت بان اعطيت لقريب من العائلة التي كانت قد سبيت منها ويلون[3].

لم يتمتع المركيت بفرح الانتصار طويلاً اذ توجه تيموجين إلى اونك خان طالباً منه العون فأنجده بقوة كبيرة انضم اليها صديقه الحميم جاموخا، وعند ذاك انحدر في ليلة مقمرة على خيام المركيت يصرخ بأعلى صوته وهو على ظهر جواده بآسم عروسه متنقلاً بين الخيام المبعثرة، ما لبثت بورتة ان توجهت نحوه بعد ان سمعت صوته ليمسك بها وينادي رفاقه قائلاً ((انني عثرت على ما كنت انشد)) وعاد بها إلى دياره[4].

لم تتوقف مساعدة اونك خان لتيموجين عند هذا الحد بل ساعده في التصدي لثلاثين الف مقاتل من قبيلة التايجوت التترية فأمده بعدد كبير من الفرسان ليصبح عدد من انضوى تحت قيادته من رجالات الكرايت ورجالات قبيلته ثلاثة عشر الف مقاتل

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص96. قزويني: تأريخ كزيدة، ص572. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص310. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص267.

Vladimircov: CenGizhan, p. 48-49.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص340.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص96. لامب: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص23-24. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص412.

(4) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص111-112،117.

ليظهر بهم براعته في فنون القتال في المعركة الحامية الوطيس التي وقعت مع التايجوت، فحسن ادارته للمعركة كانت وراء تجاوزه لمشكلة الفرق العددي بين الجيشين حيث حقق انتصاراً باهراً وقتل من التايجوت اكثر من ستة آلاف قتيل فضلاً عن عدد كبير من الاسرى، منها سبعون أميراً علقت سيوفهم في رقابهم وهم مقيدون بقصد الاهانة ليأمر تيموجين بعد ذلك بقتلهم بطريقة غريبة بشعة بغليهم في القدور وهم أحياء[1]. وهذه قسوة لا يمكن تصورها ومع ذلك اصبحت طريقةً غدا زعماء المغول يستخدموها ضد أعدائهم من غير المغول ممن ينحدرون من اسر ملكية[2].

ازدادت مكانة تيموجين بين القبائل بعد هذا الانتصار كما أخذ الخطا يقفون إلى جانبه فقد أرسل امبراطور الصين الشمالية جيشاً إلى منغوليا لمعاقبة اقرب القبائل الرحل إلى سور الصين والقاطنين حول بحيرة بويار فانتهز تيموجين الفرصة للتدخل في الامر فلما تقهقرت هذه القبائل امام جيش الصينيين الذي كان معظمه من المشاة يصعب عليهم اللحاق بفرسان البدو الرحل – انقض تيموجين والكرايت عليهم وحطموا قوتهم

(1) الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص267. لامب: جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص23-26.

(2) من الطرق القاسية في القتل ما استخدمه هولاكو في قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله حيث وضعه في كيس ورماه تحت اقدام الخيل حتى مات والثاني بقتله ايضاً للملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل عندما أمر بوضعه في جلد شاه مليء بالدهن ومربوط بالحبال بإحكام حتى رأسه ومن ثم القاه تحت اشعة شمس الصيف الحارة فتحول الدهن بعد اسبوع إلى ديدان اخذت تلهم جسده بشكل تدريجي حتى توفي بعد مضي ايام، عن ذلك ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص293-294، 330. ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، 1932م، ص347. الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م، ج2، ص231. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص201.خواندمير، حبيب السير، ج1، م3، ص101

Howorth Henry H.: History of the Mongol from the 9th to 19th century, Bart Franklin, New York, vol.3, p.128. Saunders: A history of Medieval Islam , London and Boston , 1972 , p.182.

فاضطروا إلى الاستسلام لتيموجين وقد ادخل هذا النصر الرعب في قلوب أعدائه الاقوياء وكان الرسل ينتقلون من مكان إلى اخر على ظهر خيولهم وهم يحملون النبأ الذي فحواه ان تيموجين يسعى حثيثاً لينصب نفسه سيداً على سكان منغوليا جميعاً[1] ولم يستسغ قواد الكرايت هذا النبأ وكان من بينهم ابن اونك خان الذي كان يخشى نفوذ تيموجين على والده[2].

وفي المقابل لم تكن نوايا تيموجين بعيدة عن الرغبة في تحقيق هدف توحيد القبائل المغولية تحت زعامته فكان يعقد التحالفات السرية مع بعض زعامات القبائل ذات النفوذ الكبير بهدف الايقاع بأونك خان[3]، لانه كان يعتقد بأن اونك خان يقف في طريق تحقيق حلمه بزعامة القبائل، ومع ان اونك خان كثيراً ما كان يكذب الشائعات التي كان رجالات الكرايت يحرضونه للايقاع بتيموجين وكان يقول لهم ((إن يوسكاي وابنه تيموجين قد صنعا جميلاً معنا فإذا لم يتجاوز علينا فلا نقدر ان نعتدي عليه))[4] غير انه في النهاية صدق خبر ما نقل له ابنه شنكون ((سانغون)) ان تيموجين اتفق خفية مع تايانك خان زعيم قبيلة النايمان وبويوروق زعيم قبيلة اخريم[5] وبتأثير من قوله هذا اخذ اونك

---

(1) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(2) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص118. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4،ص311. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص360. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص158. عمران: المغول واوربا، ص32.

(4) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص123. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص310 – 311. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76، 80-81. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص178. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58. الصياد: المغول في التأريخ، ص46. شبولر: العالم الإسلامي، ص 23. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص12. الجاف، حسن: الوجيز في تأريخ ايران، بيت الحكمة، بغداد 2003م، ج2، ص279.

خان يتوجس خيفة من تيموجين فدبر مكيدة للايقاع به، وذلك بتقديم أميرة من الكرايت للزواج من جوتشي شقيق تيموجين[1].

ومع ان تيموجين لم يثق في صدق النوايا ولكنه لم يستطع ان يرفض عرض الزواج، ولذلك اضطر التوجه إلى مخيم اونك مصطحباً تيموجين اخيه جوتشي إلى عروسه وفي نيته ان يأخذ معه بعض حيوانات الصيد التي يقتلونها في الطريق هدية إلى اونك خان، وبهذا لم يكن تيموجين متأهباً للحرب عندما اتجه إلى اونك وبذلك خُدع ووقع في الفخ[2]، غير ان الاقدار وحدها كانت كفيلة بانقاذه عندما هيأت له غلامين[3] من اصحاب اونك خان ليطلعاه على المكيدة[4] فحرف طريقه لينجو بأتباعه في الوقت المناسب ولما تعقبه اونك خان بقواته وقعت الحرب بينهما انتهت بهزيمة اونك[5] الذي هرب ملتجأ إلى بلاط تايانك خان، لكن ما لبث في الطريق ان اغتيل على يد بعض اصحابه وذلك في شهور سنة (599هـ/ 1202م)[6] أما قبيلته فقد استبيحت وسبيت

---

(1) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(2) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص77. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص59.

(3) كافأ تيموجين هذين الغلامين بعد انتصاره واستقرار امره بأن منحهما لقب الطرخان والطرخان هو الرجل الحر المعفو من الضرائب والذي لا يخضع للعقاب حتى يذنب تسع مرات عن ذلك، ينظر ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص18-19.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص418. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص118. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص310 – 311.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص126. قزويني: تأريخ كزيدة، ص581. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص267-268. عمران: المغول واوربا، ص33. عبد الحكيم: جنكيز خان، ص58، 62.

Vladimircov: CenGizhan, p. 50–51.

(6) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1966 م، ص22. الرمزي: تلفيق الاخبار،ج1، ص348 والحاشية رقم (1). فامبري: تأريخ بخارى، ص162-163.

نساؤهم بما فيها نساء وبنات اونك خان[1] في حين عرض على من بقي من فرسان الكرايت ان ينظموا تحت لوائه قائلاً ((لقد حاربتم كالابطال لحماية سيدكم وانقاذه والان لكم ان تنظموا إلى جيشي وتعملوا تحت امرتي)) فوافقوه وقد اهتم تيموجين بهذه القوى البشرية التي تمكنه ان ينتفع بها بل وقدرها اكثر من الغنائم المادية التي حصل عليها من المخيمات الغنية[2] وبهذه الواقعة طويت صفحة الصراع مع حليف الامس لتبدأ صفحة القضاء على من تآخى معه.

رابعاً: تيموجين - جاموخا وانفراط عقد الاخوة

ينتسب جاموخا إلى قبيلة جاجيرات المغولية ذات الاصول التركية ومنذ طفولته ارتبط بتيموجين بعقد الاخوة حيث الاثنان عاشا صباهما معاً في لهو ولعب وكان دائماً تيموجين ينادي جاموخا بالاخ[3].

وعقد الاخوة ارتباط اجتماعي عرفه المغول قديماً وكان شائعاً زمن تيموجين يتعهد فيها المتعاقدان بالدفاع احدهما عن الاخر عند المحن ويتم ذلك بصيغ رمزية بأهداء احدهما للاخر هدية كرمز للاخوة، وتيموجين عندما كان ابن احد عشر عاماً قام اخوه جاموخا بإهدائه عظمة رسغ ايل فبادله تيموجين بدوره بعظمة مماثلة، وهكذا اصبحا اخوين وتجدد عقد الاخوة

ثانية بعد عام بأن وهب جاموخا سهمه المميز المصنوع من قرن الايل لتيموجين والذي بدوره أهدى جاموخا سهماً مصنوعاً من كوز العرعر[4].

---

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص418. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص118. القرماني: اخبار الدول، ص284. الصدفي: تأريخ دول الإسلام،، ج2، ص268. عمران: المغول واوربا، ص33.

(2) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص65. عبد الحكيم: جنكيز خان، ص62.

(3) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص111-115-117. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76. العريني: المغول، ص47

(4) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص120-121.والعرعر: شجر يقال له السامم ويقال له الشيزري ويقال: هو شجر يعمل به القطران، ويقال: هو شجر عظيم جبلي لا يزال اخضر تسميه الفرس السرو وقال ابو حنيفة: للعرعر ثمر امثال النبق يبدو اخضر ثم يبيض ثم يسود حتى يكون كالحمم ويحلو فيؤكل واحدته عرعرة وبه سمي الرجل. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، 1990م، م4، ص560.

وهكذا تأصلت العلاقة بينهما زمناً إلى حين حادثة غزوة المركيت التي سبق الاشارة إليها والتي اشترك فيها جاموخا، اذ فيها انتاب تيموجين الخوف من اطماع جاموخا وكان له مبرراته منها ان جاموخا بدلاً من البحث عن زوجة تيموجين انشغل هو واتباعه في الحصول على الغنائم[1].

وهذا ما اثار حفيظة تيموجين الذي شعر لاول مرة أن جاموخا غدا منافساً قوياً له ولاسيما ان اونك خان جعل من جاموخا بعد غزوة المركيت من اكثر المقربين له واخذ يفضله على تيموجين، وكان تيموجين محقاً في تقييمه، اذ كان جاموخا اكثر الأمراء تحريضاً لأونك خان ضد تيموجين طمعاً بالزعامة[2]وكثيرا ما كان يلتقي بآبن اونك خان المدعو شنكون (سانغون) ليوغر صدره ضد تيموجين وكان يقول له ((لم يكن احد واقفاً على اسرار - تيموجين - مثلي لأني من اقاربه والصق الناس به خصوصاً اننا عشنا سوية....)) وانني اعلم انه يخطط للقضاء عليكم[3]وبتأثير من قوله حدثت المنافرة بينهما والتي انتهت بانتصار تيموجين ومقتل اونك خان[4].

شعر جاموخا ان انتصار تيموجين لا يعد خسارة له، اذ ان مقتل اونك خان ازال عقبة عنه للزعامة ليتفرغ للخصم الاكبر تيموجين.

---

(1) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص112-113.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص123. العريني: المغول، ص51. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص178.

(3) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.

(4) رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص415. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.

عرف جاموخا بالججن، والججن باللغة المغولية تعني الداهية[1] فبدهائه تمكن من تخويف الكثير من القبائل المغولية من اطماع تيموجين فانضمت اليه قبائل الجاجيرات والتايجوت والقنقرات وطائفة من التتار[2] كما اخذ العديد من اتباع تيموجين ينسلون خفية إلى معسكر جاموخا[3] واخذ هؤلاء جميعاً يطلقون على جاموخا لقب كورخان وهو لقب يطلق على زعيم القبائل التركية الغربية[4] اذ كانت هذه القبائل تقطن إلى الغرب من مناطق نفوذ تيموجين.

وعلى الرغم من هذه المتغيرات لم يَقُمْ كلا الزعيمين بتحركات عسكرية مباشرة ضد الاخر فبقي طوال السنة والنصف يتوجس احدهما الاخر الخيفة مبقين الاتصالات وتبادل الهدايا بينهما بهدف التحايل[5] والاستعداد ليوم الحسم الذي لا محال من وقوعه والذي حدث فعلاً اثر حادثة مقتل تايتشار الاخ الاصغر لجاموخا على يد احد اتباع تيموجين ونهب قطيعه فكان ذلك مسوغاً لجاموخا لإعلان الخصومة والثأر لمقتل اخيه فتهيأ للمعركة التي اشترك فيها من كل طرف قرابة الثلاثين الف مقاتل والتي دارت في منطقة دالان بالتشجوت في اعالي نهر اونون تكبد فيها كلا الطرفين خسائر فادحة دون ان تحسم لاحدهما[6] وهنا يشير رشيد الدين الهمذاني كيف ان كلا الطرفين تفننا في قتل اسرى الاخر ولاسيما تيموجين الذي امر بوضع الاسرى في القدور التي على النار حيث سلق فيها اعداؤه وهم احياء وبالمثل فعل جاموخا[7].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص190. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص111. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.

(2) العريني: المغول، ص50 -51. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص164.

(3) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص163-164.

(4) العريني: المغول، ص51. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(5) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص123.

(6) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص144.

(7) جامع التواريخ، م1، ج1، ص88. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص144.

وهنا أخذ كلا الطرفين يعمـل عـلى جمـع قـواه انتظـاراً للجولـة القادمـة وفيهـا أخـذ انـصار جـدد ينضمون إلى تيموجين كما انضم اليه اربعة أمراء مؤثرين[1] منهم القائـد تـشاجي والـساحر مونليـك الـذي أعلن بأن تيموجين ما هو إلا بشر من السماء الخالدة للأبناء كافة[2] ومعلوم ان المغول هم اكـثر الـشعوب تأثراً بأقوال السحرة بحكم طبيعة أرضهم القاسية فكـانوا يخـافون الطبيعـة ويستـسلمون لأقـوال الـسحرة الذين يرون فيهم القدوة في السيطرة عليها لذلك كانوا يرون فيما يقوله الساحر امراً مفروغاً منـه[3] ولهـذا انضم إلى تيموجين اعداد كثيرة من الانصار بفعل هذا الساحر الذي رأى في تيمـوجين القـدرة عـلى توحيـد القبائل والانتصار على الخصوم[4].

وفي المقابل اخذت جبهة جاموخا تتصدع تـدريجياً، وبقيـت الحـرب بيـنهما قائمـة تمثلـت بغـارات خاطفـة كـان غالبـاً مـا يقـوم بهـا تيمـوجين بهـدف انهـاك عـدوه حتـى وقعـت المعركـة الحاسـمة سـنة (600هـ/1203م) وفيها مني جاموخا بهزيمة قاسية اضطر فيها إلى الهرب متنقلاً بين خـصوم تيمـوجين حتـى وقع بعد مضي سنة على هروبه أسيراً[5] وهنا سأله تيموجين ما المصير الذي تتوقعـه منـي فأجابـه جاموخـا من غير تردد ((نفس الكأس التي كنت سأسقيك اياها - الموت البطيء))[6].

وكان جاموخا يقـصد بـالموت البطـيء طريقـة التعـذيب الـصينية وهـي تقطيـع الاوصال تدريجياً جزءاً جزءاً وتبدأ هذه العملية اول يوم ببـتر مفاصـل الاصـابع الـصغرى ثم تستمر بقطع الاطراف شريحة بعد أخرى، ولكن تيموجين مـارس تقاليـد قومـه التـي

(1) العريني: المغول، ص47.

(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص146.

(3) ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص250. الصياد: المغول في التأريخ، ص335.

(4) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص146.

(5) بارتولد: تأريخ الترك في اسيا الوسطى، ص154.

(6) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص66

كانت تحرم اراقة دم زعيم قبيلة يجري في عروقه الدم الملكي، فأقتيد جاموخا طبقاً لذلك حيث اخمدت انفاسه تحت ضغط اقمشة ثقيلة[1].

وهناك رواية غريبة يوردها الجويني عن بطل اسمه كورخان - كان في خدمة تيموجين ثم انحاز إلى المسلمين، فلما احتل المغول مدينة بخارى (617هـ/1220م) تم اسره - وكورخان هو لقب لجاموخا واذا كان كذلك فهذا يعني ان علاء الدين خوارزمشاه قد ضمه إلى جانبه ليقاتل به بحكم خبرته وان مقتله حدث بعد ثمانية عشر عاماً من هزيمته على يد تيموجين[2].

خامساً:تيموجين يواصل انتصاراته ويوحد منغوليا

بالقضاء على اونك خان وجاموخا توقع تايانك خان رئيس قبيلة النايمان ان يستهدفه تيموجين بحكم ان جاموخا كان من المقربين اليه لذا أخذ حذره وعمل على تقوية جبهته بأن ضم لها عدداً من زعماء القبائل المحالفين لتيموجين[3]، كما طلب من زعيم قبيلة اونغوت ان ينضم اليه غير ان هذا الزعيم ارسل سراً رسولاً عنه إلى تيموجين ليطلعه على ما عرض عليه تايانك خان، فاستعد تيموجين لمحاربته فوقعت الحرب بينهما سنة (600هـ/1203م)، وكانت من اكثر الحروب التي خاضها تيموجين هولاً[4] انتهت بانتصار تيموجين على خصمه الذي وقع اسيراً ليقتل بذات الطريقة التي قتل أسلافه من الأمراء، كما اسرت زوجته التي سيقت إلى تيموجين حيث تزوجها[5].

---

(1) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص66.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص116.

(3) قزويني: تأريخ كزيدة، ص581. البرنباوي، محمد بيك النقشبندي: ملحق خلاصة السير:تحقيق ظهور احمد، لاهور، 1920م، ص35. الصياد: المغول في التأريخ، ص48. العريني: المغول، ص52.

(4) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص82.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص97. قزويني: تأريخ كزيدة، ص581.

ارتعدت فرائص بعض زعماء القبائل ممن كانوا يقطنون شرق بحيرة بيكال رعباً من انتصارات تيموجين وقرروا ان يكون تيموجين قائداً لهم[1] اما وقد قبل تيموجين زعامة القبائل الشرقية فلم يضيع شهراً واحداً في الانتظار فقد كان يعرف جيداً أن فرصته الوحيدة في النصر هي ان يضرب تلك الشعوب الغربية قبل ان يوحدوا صفوفهم في جيش واحد لا طاقة له بهم وهؤلاء التتار أشد أعداء المغول.

وكان التتار مطلع القرن السابع الهجري اكثر القبائل المغولية التي تعرضت لعمليات القتل الجماعي لشبانها على يد الصينيين الذين استخدموا معهم ما أطلق عليه بسياسة ((تقليص عدد البالغين)) وتكمن جوهر هذه السياسة في انه خلال كل ثلاثة اعوام تتوجه التجريدات العسكرية لابادة التتار بقتل الشبان واخذ الاطفال اقنان ولهذا اندفع التتار بعيداً عن حدود سور الصين إلى الغرب من منغوليا[2] وتشير الروايات الصينية كما يوردها المؤرخ الروسي كيتشانوف من ان تيموجين كان ينفذ ارادة الحكام الصينيين ضد من يقوم بعمليات التمرد عليهم من التتار كما كان ينوب عنهم بحراسة الحدود ولهذا نال منهم لقب جاو - تخوري أي القائد وهذا اللقب يعد من الالقاب العظيمة لمن يناله من غير الصينيين وحامله من المقربين للبلاط الصيني[3].

ويبدو ان هدف تيموجين من عمله مع الصين لم يكن بقصد التعاون معهم بقدر ما كان محاولة منه لاضعاف التتار اعداء قبيلته التقليديين وفي ذلك يقول ((إن التتار هم اعداؤنا القديمون، انهم قتلة آبائنا وأجدادنا لذلك لا نستطيع الامتناع عن المشاركة مع الصين في الحملة ضدهم)) وقد جاءت مشاركته للصين في حملات عدة كان اولها يرجع إلى عام (593 هـ/1196م) أي قبل انهيار تحالفه مع اونك خان ذلك لان اولى مشاركته جاءت بعد ان طلب من اونك خان قائلاً ((حسب المعلومات التي نمتلكها فإن القائد الصيني فانغين تشي لينيان يتعقب بأعالي نهر اولتشجا جماعات من التتار وقائدهم

(1) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص64.
(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص149- 152.
(3) حياة تيموتشجين، ص150-151.

ميغوتشجين سيلتو فدعنا ننضم اليه، فإننا نحن ايضاً ضد التتار هـؤلاء قتلـة آبائنـا واجـدادنا ياوالـدي ايهـا الخان اونك)) رد اونك ((الحق معك يا بني فلنتحد))[1].

وبعد ان تجمعت القوات حاصروا مع القائد الـصيني التتـار وابـادوا معظمهـم بمـا فـيهم قائـدهم سيلتو ونهبوا ماشيتهم وممتلكاتهم[2].

لم ينسَ التتار هزيمتهم على يد تيموجين لذلك انضموا إلى التحالف الذي كان يقوده جاموخـا بعـد مقتل اونك خان[3] فتشير المعلومات إلى ان قبيلة دوربين التتارية بقيادة زعـيمهم التـشي وتـشجاليك بوخـا مع رجالاته من التتر كانوا من جملة من أدوا قسم يمين الطاعة لجاموخا وشـاركوا في منحـه لقـب كورخـان وتعاهدوا مع جميع المتحالفين تحت قيادة جاموخا على قتال تيموجين وذلك سنة (598هـ/1201م)[4].

وقد اصاب التتار ما اصاب جاموخا من هزيمة وقتل وتشريد في معركة عام (600هـ/1203م)[5] التي سبقت الاشارة اليها.

ان ما حل بقبيلة دوربين التتارية من عملية ابادة لا يعني ان تيموجين اطمئن من باقي قبائل التتار وهم كُثُر فقد استهدفته مجموعة كبيرة من التتار مكونة من قبائل تـشاغات والتـشي ودوتـاوت والوخاي حيث قاتلهم ببسالة وتمكن من سحقهم عند غابات الوخاي فلاقـى معظمهـم مـصيراً مفزعـاً هذا ما يشير اليه رشيد الدين الهمذاني بالقول ((امر بالبطش العام بالتتار وبأن لا يترك احد حياً يزيـد عمره على الحد المتفق عليه حتى النساء والاطفـال والحامـل مـن النـساء تعـص ارحـامهن مـن أجـل القـضاء التـام علـيهم ولـكي لا يكـون لأي مخلـوق امكـان منـاصرتهم)) ومـع ذلـك نجـا عـدد لـيس بالقليل بسبب تهاون شقيقه خاسار فمن اجل حبه لزوجته التتارية اعدم خمسمائة شخص فقط من الالف الذين اوكلوا اليـه باعـدامهم ونتيجـة لـذلك حـصل عـلى تـوبيخ تيمـوجين بمنعـه مـن حـضور

---

(1) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص150-151.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص93. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.
(3) العريني: المغول، ص50-51.
(4) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص163-164. العريني، المغول، ص50-51.
(5) بارتولد: تأريخ الترك في اسيا الوسطى، ص154.

اجتماع الأمراء الذي كان ينعقد عندما تقتضي الضرورة لمناقشة امر هام وشاءت الاقدار ان من نجا نال حريته بالاندماج بقبيلة تيموجين ويعود الفضل في ذلك إلى ايسوغان التترية. ونرى من المفيد ايراد قصتها لتضمنها مشاعر انسانية فيها تضحية ونبل، وملخصها انه بعد المجزرة التي وقعت بالتتار وقعت عين تيموجين على واحدة من الناجيات من بين الاف القتلى وشاءت الاقدار ان لاقت في نفسه الهوى لجمالها الفاتن فاتخذها خليلة له وكان اسمها ايسوغان وذات مرة خاطبت تيموجين بالقول ((ان بمقدورك سيدي الخان ان تجعل مني خانة حقيقية اذا ما جاد عطفك الخاني، ولكن هناك من هي احق مني لتكون خانة بمعنى الكلمة، هي شقيقتي الكبرى ايسوي التي تمت خطوبتها تواً ولا اعلم مصيرها)).

- اذا كانت شقيقتك اكثر حسناً وبهاءً منك سآمر بالبحث عنها، ولكن هل ستتنازلين لها عن مكانك عند قدومها ؟
- بعد اذن سموك الخاني، سأتنازل لها في الحال عند ظهورها، أمر تيموجين بالبحث عن ايسوي وتم القبض عليها ونجا خطيبها بالاختباء في الاحراش وعندما رأت ايسوغان شقيقتها الكبرى هبت مباشرة وأجلستها في موضعها، فأعجب بها تيموجين حال رآها فاتخذها زوجة له.

جلس تيموجين في احتفال يشرب القميز[1] وبجواره زوجاته وفجأة ذرفت ايسوي دموعاً بحزن وأسى فانتاب تيموجين الشك وصار يردد في داخله ((يا ترى رأت محبوبها؟)) ثم أمر بانصراف الجميع، فانصرفوا باستثناء شاب غريب في هيئة رجل نبيل فسأله تيموجين من انت ؟ فأجاب: انا خطيب ايسوي بنت يكي التتري، لقد بطشت بنا فهربت فزعاً والان يبدو ان الوضع قد هدأ فحضرت إلى هنا معتقداً بأنه لا يمكن التعرف علي وسط هذا الحشد، فقال تيموجين لقريبه ان امثال هذا الصعلوك لا يستحق الا الموت.. ابعدوه عن نظري مسحوقاً وهكذا قطع رأسه فمات ضحية حبه... ولم تتمكن

(1) القميز شراب يصنع من حليب الخيل مذاقه اشبه باللبن الحامض. الهمذاني: جامع التواريخ (تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص8.

ايسوي من انقاذه عدا انها كانت خلسة تذرف الدموع عندما تتذكر وجهه الصبوح الناضر[1].

وإذا كانت ايسوي قد فشلت في انقاذ خطيبها فإن شقيقتها ايسوغان نجحت ثانية ولكن هذه المرة ليس بانقاذ قريبة لها بل بانقاذ الآف من أبناء شعبها عندما نجحت في اقناع تيموجين بإعفاء ما كان قد امر بقتلهم بعد ان اكتشف ان شقيقه خاسار لم ينفذ بجميعهم حكم الاعدام وبسبب نبلها وذكائها اتخذها زوجة له[2].

وهكذا اندمج بقايا التتار بقبيلة تيموجين المغولية واخذ الكثير من رجالات المغول في الاقبال على الزواج من بنات التتار وكان النسل الجديد يضم كبار قواد المغول وزعمائهم[3].

واصل تيموجين بعد القضاء على التتار مسيرته مطوراً نجاحاته ففي خريف عام (602هـ /1204م) قاد حملة على بقايا من كان لا زال متمرداً عليه من المركيت وتمكن من اخضاعهم لسلطته، وفي ربيع عام (602هـ/1205م) قاد جيوشه ليقضي على الهاربين من النايمان فقتل زعيمهم توختي بيكن وقسماً كبيراً من جيشه كما طارد الهاربين حيث الكثير منهم لاقى حتفه غرقاً عند محاولتهم عبور نهر ارتيش[4]، اما الباقون من الناجين فتركوا بزعامة قائدهم كوتشلوك منغوليا إلى أرض الصين حيث استقروا عند نهر تشو[5].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م1،ج1، ص106. الصياد: المغول في التأريخ، ص27. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص171-172.

(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص172-173.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) فتضمن العشرات من الأمراء المنحدرين من امهات تترية لا مجال هنا لذكرهم.

(4) نهر ارتيش: هو أكبر روافد نهر أوب، ينبع من الاراضي الشمالية الغربية الصينية ثم يتجه شمالاً عبر الاراضي الكازاخستانية الشرقية إلى داخل الاراضي الروسية ضمن منطقة سيبريا ليصب في خليج اوسكاي في القطب الشمالي. ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص74، الهامش رقم (4).

(5) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص200.

وهكذا انتهت حرب الاعراق المغولية المركيتية الكراتية النايمانية التتارية من أجل الهيمنة على منغوليا وانقضى المسار السياسي لها بالهيمنة المغولية على العرق التركي بجميع قبائله، ومن وقتها لم يعد لدى تيموجين منافس قوي في كل أرض منغوليا فمنهم من سحق ومنهم من تحطم واخرون طردوا إلى أرض الصين ومن بقي من القبائل الصغيرة اعلنت انها مع القوي وهل يوجد قوي غير تيموجين ؟.

واشهر من انضمت اليه قبائل الايغور دون قتال وقدم ملكهم ايدي قوت فروض الطاعة والخضوع ناجياً بذلك بنفسه وقبيلته من الدمار فأصبح من اتباع تيموجين ومناصريه[1].

وبذلك اصبحت الاراضي الممتدة الواسعة من جبال وسهول وصحارى منغوليا تحت سيطرة القبيلة المغولية بزعامة تيموجين ومنذ ذلك الوقت صارت هذه الأرض تحمل اسم المنتصرين وسميت منغوليا والشعوب التي سكنتها كتب عليه ان تنسى تسمياتها القبلية وان تعرف نفسها بالمغول.

سادساً: المؤتمر العظيم ((القوريلتاي)) سنة (603هـ/1206م)

ان سلسلة الانتصارات التي حققها تيموجين والتي انتهت بالقضاء على جميع القبائل المغولية المعادية والتي اشرنا اليها في المباحث السابقة رفعت من مقامه ليصبح الحاكم المطلق دون منازع على كل منغوليا ومنحته هذه الانتصارات سلطة على شعبه لم ينلها أي حاكم قبلي منذ اجيال.

وهكذا اصبح تيموجين يرى نفسه اساساً لأمته ومعبراً عن ارادة شعب منغوليا، وكانت اولى رغباته ان يمنح حق الشرعية للسلطة التي جسدها نجاحه في شخصه، ففي سنة (603هـ/ 1206م) استعمل نفوذه لعقد مؤتمر عام ((قوريلتاي)) دعا فيه زعماء

(1) ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص399. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص203-204. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص4.

القبائل المغولية وأبناء اسرته البالغين والخواتين وقواده وفئات من عِليّة القوم مع قلة من الطبقة السفلى من القبائل[1]، وعقد المؤتمر على ضفاف نهر اونون في ربيع تلك السنة[2].

كرس الاجتماع لمناقشة جملة قضايا بهدف تبيان طريقة ادارة البلاد وفق النظام الذي سيتم الاتفاق عليه، وكان اهم ما تداوله المجتمعون وأقروه هو:

1. خلع على تيموجين لقب جنكيز خان[3] وجنكيز خان يتكون من مقطعين جنكيز وتعني ابن السماء[4] وخان صفة للسلطة العليا[5] وبهذا الاسم اكتسب تيموجين الصفة الشرعية من السماء بالحكم على شعبه وعلى الشعوب الأخرى التي يجب ان تخضع له والا وجب قتالها وإبادتها ((وعندما يرفض العدو أمر الخضوع

(1) شبولر: العالم الإسلامي، ص24. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص15.

Vladimircov: CenGizhan, p.53. Spuler: Die Golden Horde , p.616.

(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص205. هوخام: تأريخ الصين، ص221.

(3) اشار الجويني بأن اعتماد المؤتمرين اسم جنكيز خان جاء بناءاً على ادعاء تب تنكري وهو من المغول المعتبرين الذي اشار بأنه في أحد الايام القارصة كان مرتدياً قميصاً ويتجول في الصحراء ويقول ((كلمني الله)) واخبرني ان الأرض سيرثها تيموجين وابناؤه ويدعى جنكيز خان وسيلهمه الله العدل، ولن يعدل عنه مطلقاً حتى تبلغ قوته اقصاها ويزداد حشمة ويحلو بحلاوة الملك. عن ذلك ينظر: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص71. ويشير عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب اسيا، منشورات الجمعية الخيرية التركستانية 1945 م، ص62 بأن عمر تيموجين عندما منح هذا اللقب كان 42 سنة، وهذا يعني ان عبد العزيز يؤيد من ذهب إلى ان تأريخ ولادة تيموجين هي سنة (561هـ/1165م) والتي اشرنا اليها ضمن مبحث تيموجين والكفاح من أجل الزعامة.

(4) ف، يان: جنكيز خان سفاح الشعوب، ص10. بارتولد: مادة جنكيز خان، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص130.

(5) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، ج1، ق2، ص307. الحاشية رقم (4). باشا، حسن: الألقاب الإسلامية، القاهرة 1377هـ ص171. بارتولد: مادة جنكيز خان، دائرة المعارف الإسلامية م7، ص130.

K. Sar: Mongol in the 12 and 13centuries, A.D. Encyclopaedia Britannica. U.S.A., 1966 , Vol.15, p. 730.

ويطلق ولو سهماً واحداً او حجراً على جيشه ((أي جيش جنكيزخان)) يباد العدو دون رحمة في كل الاحوال))[1] وذلك وفقاً للسلطة التي منحت لتيموجين إلهياً، بوصفه انه مسخر من السماء لحكم البشر[2] لذا لا يجوز أن ينافسه أحدٌ على الحكم والا وجب قتاله وتدميره ((فهناك شمس واحدة في السماء وسيد واحد على الأرض))[3] هذا ما قاله تيموجين وهذا ما كان يردده المغول في كل مناسبة او دونها.

وهذه النظرية في الحكم اخذ بها فيما بعد تيمورلنك الذي كان يعدُّ نفسَهُ الوريث الشرعي للامبراطورية المغولية فكان يؤمن بأنه لا يجوز ان يحكم العالم اكثر من امبراطور[4] وعمل من اجل تحقيق هذا الهدف[5].

وقد عُدّ تأريخ منح لقب خان لتيموجين بأنه البداية الرسمية لقيام الامبراطورية المغولية باعتبار ان هذا اللقب قد حصل عليه بشكل شرعي وبإقرار من جميع المؤتمرين في مؤتمر سنة (603هـ/ 1206م).

---

(1) هذا النص مدون على ضريح يلوي تشوشا أحد الاتباع الذي كان يحظى بمكانة رفيعة لدى تيموجين، كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص218-219.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص71.

(3) شبولر: العالم الإسلامي، ص26. ويروي خواندمير ان تيموجين ((رأى ذات ليلة في منامه ان يديه امتدتا وكان يمسك سيفاً في كلتا يديه بحيث ان طرف احدهما كان متصلاً بالمشرق والطرف الاخر متصلاً بالمغرب، فلما اصبح الصبح، قص رؤياه على أمه فقالت له: انت سوف تستولي على العالم شرقيه وغربيه وسوف يصل اثر سيفك المضرج بالدماء إلى بلاد المشرق والمغرب)) عن ذلك ينظر: حبيب السير، ج3، ص16-17.وعلى ما يبدو ان هذه الرؤيا قد ساهمت في تكريس الاعتقاد لدى تيموجين بأنه كان يحمل تفويضاً الهياً في حكم العالم.

(4) يكوبوفسكي، أ. يو: تيمورلنك وصف موجز لسيرة حياته، ترجمه عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الاردنية، م15، العدد السابع، 1988م،، ص110 – 114، قداوي، تيمورلنك ومحنة دمشق، مجلة آداب الرافدين، العدد 36 لسنة 2003م، ص85.

(5) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص421.

2- تعميم تسمية المغول على كل القبائل المنتشرة في منغوليا دون استثناء وفي هـذا القـرار أراد تيمـوجين أن يرفع من شأن قبيلته أمام القبائل الأخرى التي كانت تنظر إلى هذه القبيلـة نظـرة احتقـار 2-2-ميم هذه التسمية أزال تيموجين هذه النظرة الدونية لقبيلته وساواها بسائر القبائل، لا بل اخـذت القبائل المغولية تتشرف بهذه التسمية بحكم انتماء تيموجين لها[1].

وبهذا القرار يكون تيموجين قد أسس تسمية موحدة لشعب لم يكن له من قبل اسم يعـرف بـه سوى أن كل قبيلة منه كان لها اسم دون ان يجمعها مع غيرها اسم جامع موحد.

3- طلب تيموجين من المجتمعين ضرورة ان يكون لدولة المغول راية موحـدة يسـتظلون بهـا ويقاتلون تحت لوائها فاختار لهم علماً ابيضَ عليـه صـورة قمـر في المحـاق ويتـدلى مـن العلم أذيال تسع أفراس بيضاء[2] وهذه الراية سبق لتيموجين ان رفعها في بعض حروبـه كما تم اختيار شمسية ترمز للسلطة الامبراطورية وكان لونها احمر واللون الاحمـر يعـد اللون الرسمي في ذلك الوقت لأسرة سونك الحاكمة في الصين وبهذا يكـون هـذا التقليـد قد أخذه المغول من الصين، كما أخذوا منهم كرسي العرش الذي أجلسوا عليـه تيمـوجين كدلالة على انه الخان الأعظم، وكرسي العرش كان مزيناً برؤوس التنين المطليـة بالـذهب والتنين يعد رمزاً صينياً للجبروت والسلطة وهذا النموذج من كـرسي العـرش قـد عرفتـه

(1) بروكلمان: تأريخ الشـعوب الإسـلامية، ص382. رانسـيمان: تـأريخ الحـروب الصـليبية، ج3، ص416. الأمـين، حسـن: الغـزو المغولي، دار التعـارف للمطبوعـات، بـيروت 1976م، ص30 -31. القـزاز: الحيـاة السياسـية في العـراق في عهـد السـيطرة المغولية، ص22. قداوي: المغول في الموصل والجزيرة، ص49.

(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص549 والحاشية رقم (5)، بارتولد: مادة جنكيزخان، دائرة المعـارف الإسلامية، م7، ص130 – 131. سلطان، طـارق فتحـي: التـأريخ الإسـلامي في الـعصر العبـاسي، مطبعـة محمـد، الموصـل، 2006م، ج2، ص203.

احدى زعامات منغوليا من قبل إذ تشير المعلومات بأن موخالي الذي كان زعيماً محلياً قد جلس على عرش شبيه به ولكن مصنوع من الفضة[1].

4- وبحكم ان كل دولة لابد ان تكون لها عاصمة فقد وقع الاختيار على المؤتمرين ان تكون قراقورم[2] عاصمة لدولة المغول الفتية[3] وكلمة قراقورم تعني الرمال السوداء[4].

وقراقورم حسب وصف هارولد لامب مدينة عجيبة فهي عاصمة البراري ومصفح الرياح ومكسح الرمال شيدت بيوتها من الطين والقش، أما طرقها وأزقتها فلا انتظام ولا نظام فيها، وقد ارتفعت من حولها قبب خيام اللباد السوداء وانتشرت فيها الاسطبلات الواسعة وهي تحتوي على مرابط لقطعان الخيول الاصيلة من جياد الخان وفيها مذاخر الحبوب والغلال وتنتشر فيها بيوت الضيافة غير ان اهم ما يميز المدينة هو سرداق الخان الذي فيه تنعقد مجالس الخان ومنها المجلس العظيم الذي درج المغول على عقده عند اختيار الخان الجديد الذي يحل محل الخان المتوفى والسرداق هو عبارة عن خيمة كبيرة جداً تتسع للمئات من الضيوف، مرتفعة ومصنوعة من لباد ابيض مبطن بالحرير وعند مدخل السرداق منضدة فضية صفت عليها اطباق حليب الأفراس والفواكه ليتناول منها

---

(1) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص206-207.

(2) قراقورم: هي سلسلة جبلية ضخمة بآسيا الوسطى وتتصل بهضبة بامير وتعرف حالياً بآسم بانوي وتضم هذه الجبال ثاني اعلى قمة جبلية قي العالم وتقع في الجزء الشمالي من جبل قراقورم في منغوليا الغربية وعلى ضفاف نهر اورخون تقع مدينة قراقورم التي بناها الايغور لتكون عاصمة لدولتهم ثم ما لبث المغول ان استحوذوا عليها على عهد جنكيزخان لتكون عاصمة لدولتهم. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص80. ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل: تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ص505. اقبال: تأريخ المغول، ص19.

(3) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص17. عبد الحكيم: جنكيز خان، ص58. سلطان: التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج2، ص203.

(4) ابو الفداء: تقويم البلدان، ص505. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص478.

من يحضر فيها، وفي الجانب الابعد من الصيوان يجلس الخان على كرسي العرش، ويجلس الحاضرون على مقاعد على طول السرداق وهم في سكوت محتشم، واذا قال الخان كلمته في الموضوع تَمّ أمرُهُ، ولا نقاش للحاضرين الا عندما يطلب منهم[1].

5- ويذكر القزاز نقلاً عن المؤرخ الفرنسي دوسون أنه في هذا المؤتمر وضعت البنود والمقررات التي تضمنت الوصايا التسعة في تنظيم الاجتماعات وآداب الديوان والجوك ((تقديم التحية)) وطريقة مخاطبة جنكيز خان ووجوب المتقدم برؤية جنكيزخان الانحناء تسع مرات على ركبتيه قبل الحديث[2].

6- في هذا المؤتمر اقر المؤتمرون اسم الأسرة الذهبية على أسرة تيموجين[3] تمجيداً وتعظيماً وتمييزاً لها عن سائر الأسر الحاكمة ويبدو ان تمجيد هذه الأسرة جاء تأثراً بتسمية الأسرة الذهبية التي كانت تطلق على الأسر الحاكمة الصينية.

7- تعهد المجتمعون لتيموجين بأنهم سيتقدمون الصفوف في كل قتال يقرره ضد أعدائه، وانهم سيقدمون له ما يغنمون في الحرب وما يصيدونه من حيوانات زمن السلم[4].

وبعد هذا المؤتمر غدا اسم تيموجين من الماضي واصبح اسم جنكيزخان هو الشائع في الاستخدام على الالسن على ان تسبق اللفظة او الاسم كلمة السيد العظيم وكلمة السيد العظيم تقابل في الوقت الحاضر كلمة صاحب الجلالة.

وقع على عاتق جنكيزخان بعد المؤتمر العظيم ((القوريلتاي)) هذا مهمة استكمال اصدار أنظمة وتشريعات أخرى تستلزمها ضرورات بناء دولة وهنا استحضر جنكيزخان كلمة الحكيم والفيلسوف الصيني يي ليوتشوتساي من الشجاعة ما دفعه ليقول لسيده

---

(1) لامب: جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص80 -83.

(2) الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص16.

(3) اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص191.

(4) بارتولد: مادة جنكيزخان، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص128.

جنكيز خان محذراً اياه بالقول ((لقد هزمت امبراطورية وانت على صهوة جوادك ولكنك لا يمكن ان تحكمها وانت على صهوة هذا الجواد))[1].

وهكذا تطلب من جنكيزخان ان يبادر إلى استحداث تنظيمات عسكرية وإدارية تسهل له مهمة الحكم وادارة البلاد وقيادة الجيوش فابتدأ اولاً باستحداث عشرة مناصب تهتم بأدارة البلاط وهي:

1. أربعة رجال وظيفتهم ((حمل القسي والسهام)) وهو ما عرف فيما بعد بآسم منصب قورجي أي رامي السهام.
2. أربعة مشرفين على الطعام والشراب وصاحب هذه الوظيفة عرف فيما بعد بآسم بكاول او باورجي.
3. مشرف على رعي الماشية واخر على رعي قطعان خيل البلا ط ويعرف باسم اختجي.
4. مشرف على إعداد العربات العسكرية ووسائل النقل والحمل ويسمى تركين.
5. شخص واحد للاشراف على الموظفين والخدم في قصر الخان ويسمى صاحبه بجربي.
6. اربعة رجال وظيفتهم حمل السيوف والحراسة بالتناوب في موقع واحد.
7. مشرفات على تدريب الخيول والمحافظة عليها.
8. ثلاثة مشرفين على قطعان الخيل في المراعي.
9. أربعة اشخاص لتبليغ رسائل الخان.
10. اثنان من الأمراء للمحافظة على النظام في اجتماعات المغول[2].

وكان لحرس الخان شأن كبير في دولة المغول فقد أنشأ جنكيزخان قوات للحرس الخاني اتخذت صورتها النهائية سنة (603هـ /1206م) وتحددت بالتفاصيل واجبات هؤلاء الحراس الذين كانوا يبلغون عشرة آلاف مقاتل اشتهروا بالحذر واليقظة وشدة البأس واختصوا بالنظر فيما يتعلق بالتزام النظام في معسكر الخان وهؤلاء الحراس كانوا

(1) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص88.

(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص546-547. عمران: المغول واوربا، ص34.

يؤلفون طبقة ارستقراطية ممتازة، لأن الجندي في هذا الحرس يفوق في الرتبة قائد الف رجل في الفرق الأخرى التي سنأتي في الحديث عنها، وليس لقائد الحرس ان يحكم بالاعدام على احد الذين يخضعون لقيادته إلا بعد تصديق الخان على الحكم[1].

ومن هذا الحرس تألفت كتيبة من الف رجل يطلق على كل منهم ((بهادر)) أي شجاع، وهؤلاء الرجال هم الذين يقومون فعلاً بخدمة الخان ولا يخرجون للحرب الا حينما يخرج الخان مع الجيش وزاد عددهم فيما بعد ليصل إلى ستة آلاف رجل[2].

ولم يغفل جنكيزخان عن تنظيم جيش هجومي ضارب ليحقق به ما كان قد رسمه لنفسه بأن يكون سيداً للعالم وادرك مبكراً ان نجاح أي عمل لا يكون الا باتمامه حتى النهاية[3]. لذا كان من الضروري بناء قوة عسكرية متفوقة على القوى العسكرية للدول الكبرى المجاورة كأمبراطورية الصين والدولة الخوارزمية فابتدع صنفاً حديثاً من الصنوف المحاربة وابقاه بأمرته وهو جموع الخيالة الثقيلة الشديدة الضغط القادرة على الحركة السريعة في مختلف أنواع الأرض، ويشير هارولد لامب إلى احتمال ان هذا الصنف قد عرفه قديماً الفرثيون في بلاد فارس غير انهم كانوا يفتقرون إلى كفاية المغول في الامحاء بالقسي، وإلى شجاعتهم العتيدة المتوفرة[4].

وفي ميدان تنظيم الجيش فقد قسم الجيش المغولي بكامله إلى وحدات على أساس النظام العشري، فأصبح كل عشرة يؤلفون فئة يقودهم قائد لعشرة، والفت كل عشرة فئات من هذا النوع جماعة تسمى قرناً وكل عشرة من هؤلاء صاروا يؤلفون كتيبة تسمى شاياد، وقائد الجماعة المؤلفة من عشرة آلاف رجل يسمى التومان[5] والحق بكل قائد مساعداً له، كما الحق كل جندي بقطعة معينة وبشكل دائم ورتب هذه الوحدات الاخيرة على شكل جماعات عالية التنظيم وزعت إلى ميمنة وميسرة وقلب وهذا التنظيم لم يدع

---

(1) العريني: المغول، ص56. بارتولد: مادة جنكيزخان، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص131.

(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص549. العريني: المغول، ص56.

(3) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص90.

(4) جنكيزخان امبرطور الناس كلهم، ص57.

(5) التومان: عشرة الاف مقاتل. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص111، هامش رقم (2).

فيه جنكيزخان ابداعاً خاصاً كما انه لم ينشأ التنظيم عرضياً في اثناء معركة وانما هذا التنظيم كان معمولاً به من قبل جيوش الشعوب المتحضرة كالجيش الصيني الذي كان جنكيزخان مطلعاً على تشكيلاته بحكم احتكاكه بهم من قبل غير ان ما يحسب لجنكيزخان من فضل على هذه التنظيمات هو حزمه على الضبط الصارم وكان أي خرق للنظام او تهاون في أداء الواجب او أي عمل جبان كان يعاقب مرتكبه دون شفقة أو رحمة بعقوبة الموت[1]، فمثلاً كان الجندي الذي تثبت عليه تهمة التحول من قائد إلى اخر طواعية ينفذ فيه حكم الاعدام امام الوحدة العسكرية كلها، كما ان القائد الذي يقبله يعاقب عقاباً صارماً[2].

وفيما يتعلق بتنظيم الادارة المدنية، فمعلوم ان المغول كانوا على مستوى متدني من الحضارة ولذا فأنه فور الفراغ من توحيد منغوليا وقبل اخضاع البلاد المتحضرة المجاورة لمنغوليا شرع جنكيزخان في الاستفادة من ارباب الخبرة في الشؤون الادارية من أبناء قومه ومن الشعوب الأخرى، ويشير هنا بارتولد بأن جنكيزخان عهد إلى شيكي قوتوقو وهو تتاري الأصل بالبت في المسائل القضائية ((أمرك بأن تحكم وتعاقب في المسائل المتصلة بالسرقة والغش، وكل من يستحق القتل جازِهِ بالقتل وكل من يستحق العقوبة عاقبه وانت الذي ستقطع في المسائل المتصلة بتقسيم الأملاك بين الناس وعليك بتدوين أحكامك على لوحات سود حتى لا يغيرها أحدٌ من الناس في الأزمنة التالية))[3] كما استفاد المغول من نظام الاختام الذي كان معمولاً به عند قبيلة النايمان المغولية فقد كان

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص66-67. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420. شبولر: العالم الإسلامي، ص27.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص552. لامب: جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص56. حمدي، حافظ أحمد: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1950م، ص142-143.

(3) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص559.

في خدمة زعيم النايمان تايانك خان احد الايغور واسمه تاشاتون كان مسؤولاً عن ختم تايانك خان فجعله جنكيزخان في خدمته ليكون مسؤولاً عن الختم الخاني[1].

كما أدخل في خدمته أحد أبناء اقليم بلاد ما وراء النهر من المسلمين المدعو محمود يلواج الذي اتخذه جنكيزخان وزيراً ومستشاراً له ثم ولاه بعد استيلاء المغول على اقليم بلاد ما وراء النهر حاكماً عليها من قبله[2].

ويشير رشيد الدين الهمذاني بأن التطورات الادارية التي حدثت على عهد جنكيزخان وعهد ابنائه شملت تنظيم مراتب الحكام، فقد وضع المغول لكل بلد او ولاية أسماً ذا معنى خاص وتبين درجات الحكام ومراتبهم من اسماء تلك المدن بحيث لا يحتاج إلى كتابتها في المراسيم فهي تبين قدر كل حاكم وفي أي مرتبة يجلس في حضرة الخان ومن كل مرتبة يعرف أي الحكام ينبغي عليه ان يستقبل الحاكم الاخر ويركع له تحية واحتراماً وقد سميت المراتب على النحوالاتي:

المرتبة الاولى: كينك ((ولاية عظيمة بها مقر الخان))

المرتبة الثانية: دو ((مملكة بها عرش الخان))

المرتبة الثالثة: فو ((عاصمة ولاية))

المرتبة الرابعة: جو ((مدينة من الدرجة الثانية))

المرتبة الخامسة: كون ((ناحية حربية))

المرتبة السادسة: هين ((مدينة من المرتبة الثالثة))

المرتبة السابعة: جين ((قصبة))

المرتبة الثامنة: شون ((قرية))[3]

وجعلوا للوظائف الكبرى ألقاباً منها جنكسانك وهو لقب الأمراء العظام الذين تكون لهم النيابة والوزارة، وفنجان وهو لقب نواب الديوان، والرسم عندهم ان يكون في

---

(1) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزوالمغولي، ص553. العريني: المغول، ص58.

(2) العريني: المغول، ص59.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص9-10.

ديوان الخان أربعة برتبة جنكسانك واربعة برتبة فنجان وكان للخان اثنا عشر ديواناً كبيراً يسمى شينك[1].

وإذا كان جنكيزخان قد أظهر موهبته في الجانب الاداري والعسكري في بناء الدولة فأن موهبته كمشرع قانوني ومنظم لمجتمعه لا يقل اهمية عن باقي منجزاته فقد جمع ورتب القوانين والأعراف التي كانت سائدة بين شعبه وأضاف اليها لينتج الياسا او القانون الاساسي للدولة ونظم هذا القانون الحياة العامة المغولية لمدة طويلة بعد موته، فقد احتوت الياسا على مواد تنظم الحياة المدنية.

((فلكل عمل قانون، ولكل مصلحة دستور، ولكل جرم حدٌ))[2] هكذا كان يرى جنكيزخان ما كان يجب ان يكون عليه المغول في حياتهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض.

وقد أشارت بعض المصادر والمراجع التأريخية إلى بنود الياسا[3] التي اصدرها جنكيزخان سنة (603هـ/1206م) عقب اختياره خاناً أعظم وفيها نظم علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المحكومين بعضهم مع بعض، كما حدد علافة الفرد بالمجتمع، وتتلخص

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص10.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص62. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص11.

(3) عن بنود الياسا ينظر: الجويني، تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص61-67. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420-421. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص118-119. المقريزي: المواعظ والاعتبار ج2، ص220-221.

Poliak: The Influence of Chingiz - Khan Yasa , upon The General of the Mamluk state: "Bulletin of the school of oriental and African studies" University of London, 1942 , Vol 10 Part 4, P.862-863, 873-874.

احكام الناس في أمور ثلاث هي الخضوع لجنكيز خان والاتحاد في قبيلة واحدة والعقاب الصارم لكل مخطيء[1].

وبعد هذه السلسلة من الاجراءات شرع جنكيزخان في توسيع ملكه خارج منغوليا واستطاع ان يسيطر على معظم اجزاء امبراطورية الصين الشمالية بما فيها العاصمة بكين وذلك سنة (612هـ/ 1215م) [2].

وعندما استكمل هدفه الاولي في الصين وجه قوته نحو الغرب سنة (616 هـ/ 1219م) ليصطدم بالدولة الخوارزمية التي لم يستطع سلطانها علاء الدين محمد خوارزمشاه (596 - 617هـ / 1199 - 1220 م) من ايقاف زحفهم فبدأ التقهقر أمامهم حتى انتهى به المطاف إلى إحدى جزر بحر قزوين فتوفي هناك سنة (617هـ/1220م)[3].

سابعاً- جوجي يتمرد على سلطة والده

اخضع جنكيز خان امبراطوريته التي كونها بعد توسعاته في بلاد ما وراء النهر خوارزم وخراسان والصين تبعاً للمبدأ السائد عند الشعوب البدوية التي تعد ان ما يجري

---

(1) الصياد: المغول في التأريخ، ص339. حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، 1949 م، ص212. حسن، نزار: مدى تطبيق القوانين المغولية في السلطة المملوكية، بحث منشور في مجلة دراسات تأريخية، العدد 93 لعام 2006 م، ص85 - 86.

A.K.S. Lambton: Iran In The Encyclopaedia of Islam, Vol: I , part I , London , 1965 , p.31.

(2) صفا: أدبيات در ايران، ج5، م1، ص5.

Bosworth , Ctifford Edmund: The Islamic Dynasties , Edinburghat , 1967 , P.141 ; Spuler: Die Goldene Horde , P,616.

(3) النسوي، محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953 م، ص104-105. السبكي، تاج الدين تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، مجلة دار المعرفة، بيروت، م1، ص179-180. الشافعي، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم: نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية، تحقيق: سهيل زكار، منشورات التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2008م، ص30-33. سلطان: التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج2، ص217-220.

امتلاكه من بلاد واقاليم ليس ملكاً للحاكم بل لأسرة الخان الحاكمة وان لكل فرد من افراد الأسرة ان يختص بعدد من القبائل وان يكون له اقطاع واسع من البراري تمارس فيه هذه القبائل حياة الرعي وان يتوافر له من الخراج ما يكفي للانفاق على بلاطه وعساكره، وهذا الخراج تؤديه الشعوب التي خضعت للفرد الحاكم من هذه الأسرة.

واذا كانت القواعد تجعل الوطن الأصلي منغوليا ملكاً للابن الاصغر للخان وهو تولوي[1] فإن باقي اجزاء الامبراطورية توزعت على اولاده الثلاثة الاخرين فاختص جغتاي الابن الثاني لجنكيزخان ببلاد الايغور واقاليم بلاد ما وراء النهر[2] وتشمل منطقة نهر ايلي وايسين كول، واعالي نهر جوو طلس، فضلاً عن بخارى[3] وسمرقند واتخذ جغتاي مقر حكمه في جنوب نهر ايلي[4] في المدينة التي تسمى ((قناس))[5].

اما أوكتاي الابن الثالث لجنكيزخان فانحصر ملكه في المناطق التي تقع إلى الشمال والشمال الشرقي من بحيرة بلكاش من اقاليم تارباجاي وارتيش واورنوجو و حوض نهر ايميد الواقع شرقي بحيرة بلكاش[6].

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص74. الصياد: المغول في التأريخ، ص164-165. العريني: المغول، ص156-157. الطويل، محمد امين غالب: تأريخ العلويين، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1966م، ص315.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص74. ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص396. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص312. الصياد: المغول في التأريخ، ص165. زيدان، جرجي: تأريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة، ج4، ص243. العريني: المماليك، دار النهضة العربية، 1967م، ص42.

(3) بخارى: من أعظم مدن بلاد ماوراء النهر، تقع على نهر الصغد وكانت المدينة تسمى قديماً بومجكث، وتتبع بخارى عدد من القرى والقصبات. ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص398-399. الحموي، ياقوت، شهاب الدين ابي عبد الله: معجم البلدان، دار احياء التراث الإسلامي، بيروت، م1، ص280.

(4) العريني: المغول، ص158.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص74.

(6) العريني: المغول، ص158. الصياد: المغول في التأريخ، ص165.

اما الابن الاكبر جوجي فكان نصيبه في أول الامر المناطق الشمالية الغربية من بلاد الخطاي وهي الاراضي الممتدة من نهر ارتيش إلى بحيرة الاكول إلى نهري ايللي وسيحون، ثم اضاف اليه والده ما سيتم فتحه من بلاد خوارزم امتداداً إلى أرض جنوب القوقاز غرب بحر قزوين أي المناطق التي يطلق عليها اسم القفجاق[1].

وبما ان العمليات الحربية لجنكيز خان كانت قد طالت كل اقاليم الدولة الخوارزمية باستثناء اقليم خوارزم لذلك وجه جنكيزخان ثلاثة من أبنائه وهم جوجي وجغتاي واوكتاي ليقود ثلاثة جيوش قوامها مائة الف جندي[2] لتحاصر العاصمة جرجانية[3] المنيعة الاسوار وعلى الرغم من المقاومة الباسلة لسكان المدينة فأن جند المغول تمكنوا من اقتحامها لينزلوا بها الدمار وذلك سنة (618 هـ / 1221م)[4]، وهكذا بسقوط جرجانية أصبح اقليم خوارزم يُدار من قبل جوجي [5].

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص73. ابن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص506. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص312-313. المقريزي: السلوك ج 1، ق2، ص394 – 395. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، مطبعة درا الكتب المصرية، القاهرة، 1956م، ج4، ص78. شاكر، محمود: التأريخ الإسلامي، المكتبة الإسلامية، 2000م، ط5، ج7، ص135.

(2) الشافعي: نزهة المقلتين، ص40. الهروي، سيف بن محمد بن يعقوب: تأريخ نامه هراة، از انتشارات، كتبخانة خيام، 1352هـ، ص49. الصياد: المغول في التأريخ، ص125.

(3) جرجانية ((اوركنج)) تقع على نهر جيحون وهي أعظم مدن اقليم خوارزم واكثرها مالاً واحسنها حالاً وبنياناً طالها تخريب المغول. الحموي: معجم البلدان، م2، ص45. لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرانسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954 م، ص491.

(4) النسوي: سيرة جلال الدين، ص171. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص131-135. سلطان، التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج2، ص221.

(5) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص639.

أما جغتاي واوكتاي فالتحقا بوالدهما الذي كان يطارد جلال الدين منكبرتي الذي كان قد خلف والده على سلطنة الدولة الخوارزمية [1] في اقليم السند[2].

وهناك من يعد سقوط جرجانية بداية لتصدع العلاقة بين جوجي ووالده واخوته، فكانت تعليمات جنكيزخان واضحة لقادة جيوشه وهو انزال الدمار بأية مدينة معادية ترفض الاستسلام ولم تكن الجرجانية خارجة عن هذا السياق، ولكن جوجي الذي اراد ان تكون جرجانية عاصمة لمناطق نفوذه، التمس من اخويه بعدم تخريب المدينة ولكن رغبته لم يؤخذ بها[3] وهذا ما أثار حقده على أخويه لكنه آثرَ عدم اظهارها خوفاً من ردة فعلهما عليه[4] وبعد أن استكملت القوات المغولية احتلال معظم اراضي الدولة الخوارزمية واطمأن جنكيزخان بأن اهدافه قد تحققت فيها صمم على العودة إلى منغوليا خصوصاً عندما علم ان ثورة قام بها الخطا والتنكوت ضده في شمال الصين والتبت وان الظروف تستدعي وجوده هناك[5] فمن بيشاور في افغانستان توجه جنكيزخان إلى سمرقند ليمضي فيها شتاء عام (620هـ/ 1223م) وبالقرب من نهر سيحون ارسل في استدعاء أبنائه ليتفاوض معهم في مهام الأمور التي تتعلق بتدبير شؤون الممالك التي سخرها المغول فلحق به جغتاي واوكتاي اللذان كانا يقومان بعمليات عسكرية ضد بقايا الجيش الخوارزمي في بلاد ما وراء النهر غير ان جوجي تأخر في الوصول حتى انضم إلى

---

(1) عن خلافة جلال الدين والده على السلطة ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص35- 41. صفا: تأريخ ادبيات در ايران، م1، ج5، ص10.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص141-142.

(3) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص639.

(4) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص36 والهامش رقم (3). ص37.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص142-144.

والده في ربيع سنة (620هـ / 1223م) عندما كان جنكيزخان قد خيم في صحراء قلان باشي[1].

وهناك عقد جنكيزخان اجتماعاً مع أبنائهِ للتشاور معهم ورسم الخطط للمستقبل[2] وبعد انفضاض الاجتماع عاد جوجي إلى وادي القفجاق ليكون بهذا الاجتماع اخر لقاء له مع والده لتتوتر العلاقة بينهما بعدما أظهر جوجي رغبة في اقامة مملكة مستقلة له عن امبراطورية والده وهنا يشير بارتولد والصياد معتمدان على ما جاء في كتاب طبقات ناصري للمؤرخ الفارسي الجوزجاني المتوفى سنة (698هـ/ 1298م) بأن جوجي قد بلغ له الافتتان ببلاد القفجاق حداً جعله يعقد العزم على انقاذ تلك البلاد من التخريب للمناطق التي لم يحتلها بعد فقال لحاشيته ((ان جنكيزخان قد فقد عقله كي يقتل مثل هذا الخلق ويخرب مثل هذا العدد من البلاد – في اشارة منه إلى ما ارتكبه جنكيزخان من مجازر بحق سكان بلاد ما وراء النهر وخراسان وان الصواب في أن يقتل والده اثناء الصيد ويعقد حلفاً مع المسلمين)) وقد نمى خبر هذه الخطة إلى جغتاي الذي اعادها على مسامع والده فأمر الاخير بسم جوجي سراً[3] والجويني المتوفى سنة (681 هـ/ 1282م) وبوصفه مؤرخاً للمغول لم يُشِر في كتابه تأريخ فاتح العالم جهانكشاي إلى شيء عن التمرد مدفوعاً على ما يبدو في رغبته في الحفاظ على سمعة ان المغول كانوا موحدين تحت زعامة جنكيزخان وانه لا يمكن تصور احد يتمرد عليه من

---

(1) صحراء قلان باشي: تقع في القسم الشرقي من منطقة ميمون إلى الشمال من منطقة اسكندر في اقليم بلاد ما وراء النهر. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص637 والهامش (429).

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص144. صفا: تأريخ أدبيات درايران ج 5، م1، ص11.

(3) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص640 – 641. الصياد: المغول في التأريخ، ص138.

Boyle , John Anddrew: The Mongol world Empire , London, 1977, p.339.

أبناء قومه فكيف القبول بتمرد ابنه عليه ربما لو اشار إلى ذلك لنال غضب سادته[1] ومنهم الخان منكو حفيد جنكيزخان حيث كان وزيرا له، أما مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني المتوفى سنة (718هـ/ 1318م) فهو من اشار بوضوح إلى هذه الحادثة ولكن بطريقة تختلف عن ما ذكره الجوزجاني وجرأة رشيد الدين في ذكر هذه الحادثة جاءت على ما يبدو إلى تباعد العامل الزمني بينه وبين الحادث بحدود قرن من الزمان وانه عاش في فترة كانت الصراعات السياسية بين الأسرة الحاكمة أمراً مألوفاً[2] وغدت الاشارة اليها لم تعد امراً مزعجاً للأسرة الحاكمة المغولية ومفاد ما ذكره رشيد الدين ان جنكيزخان قد استدعى ابنه جوجي للاشتراك معه في غزو بلاد التنكوت الصينية وكان جوجي خلال ذلك مشغولاً بعمل عسكري في بلاد القوقاز فبدلاً من ايقاف عملياته في هذه البلاد والامتثال لطلب والده اخذ يتهرب من هذا الأمر مدعياً بأنه مريض، ولكن احد المغول وصل من بلاد جوجي ليشير لجنكزيخان انه رأى جوجي في الصيد عند ذاك أدرك جنكيزخان ان ابنه قد عصى اوامره عن قصد وقال ((لعل جوجي قد فقد عقله)) واعلن بأنه ((سيعدمه ولن يرى الرحمة ابداً))[3] ويعلل المؤرخ الروسي كيتشانوف سبب رفض جوجي والذي يسميه ((بتشجو)) الاستجابة لطلب والده بالقول اولا ان جوجي كان يشعر ان والده لم يكن له المحبة[4].

(1) معروف ان عائلة الجويني ومنهم الصاحب شمس الدين واخوه علاء الدين الجويني كانوا يتبوؤن اعلى المناصب الادارية في دولة المغول على عهود منكو وهولاكو واباقا وتكودار، عن ذلك ينظر، الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، منشورات مركز الوثائق والدراسات الانسانية، الدوحة، 1989م، الجاف: الوجيز في تأريخ ايران، ج2، ص297، 299.

(2) عن الصراعات السياسية للأسرة الحاكمة في الفترات اللاحقة ستكون موضوع الفصول القادمة.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص79. جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص120.

(4) حياة تيموتشين، ص321 – 322.

ويبدو ان هذا الشعور جاء بسبب الشكوك التي كانت تراود جنكيزخان حول عائدية انتماء جوجي إلى صلبه[1] ومبعث هذه الشكوك ترجع إلى حادثة خطف والدته بورتة التي كانت قد حملت به في اسر المركيت لها والتي سبق الاشارة اليها وثانياً انه يأخذ على والده المبالغة في تدمير من غزاهم فلم يرق له ذلك فضلاً عن حالة الخصام التي كانت قائمة بين جوجي وباقي اخوته وان هناك من اتهمه بأنه كان يخطط لقتل والده كلها اسباب دفعت جوجي إلى رفض طلب والده والتعلل بالمرض[2] عند ذاك ارسل جنكيزخان عليه جغتاي واوكتاي وتجهز للحاق بهم ولكن بلغه نبأ موت جوجي وموته جاء كما اشرت انفاً بطريقة دس السم له بتدبير من والده[3] حفاظاً على وحدة امبراطورية المغول وكان تأريخ موته سنة (624هـ/1227م) قبل موت جنكيزخان بستة أشهر[4].

(1) اشار إلى هذا التشكيك صراحة القلقشندي بالقول "وجوجي قد لا يكون من صلب جنكيزخان " ينظر صبح الاعشى، ج4، ص312.

(2) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص321-322.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص79. جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص120. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص313. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص322.

Boyle: The Mongol World Empire p. 339.

(4) صفا: تأريخ ادبيات درايران، م1، ج5، ص11.

Golubeva , T and L gellerstin: Early Russia theussr historical shetchers. Moscow , 1976 , p. 14.

الفصل الثاني

صراع الأُسرة الملكية الحاكمة على منصب الخان الأعظم

الفصل الثاني

أولاً: تولي اوكتاي منصب الخانية

غادر جنكيز خان الأقاليم الغربية ممثلة بأملاك الدولة الخوارزمية قبل اكمال اخضاعها بصورة كاملة[1] إلى العاصمة قراقورم سنة (622هـ/1225م) غير انه لم يقم فيها طويلاً إذ كان قد صمم على الخروج بنفسه لقتال الخطا والتانجوت[2] لتمردهم عليه، فقاد جيشه الضخم لينزل الدمار والخراب بهذه البلاد[3] وكان التعب ومشاق السفر وفعل العمليات العسكرية وكبر السن قد نالت من صحة جنكيز خان خلال تلك العمليات ومع ذلك لم تثنه تلك المعاناة على ما كان قد صمم عليه وهو استكمال احتلال جنوب الصين والقضاء على أسرة سونج التي كانت تحكم فيها فصادف في اثناء عبوره نهر سال إلى جنوب الصين ان مر بمنطقة عرفت بعفونة الجو ورداءة المناخ فأثر ذلك على صحته فأصابه الضعف والانهيار وشعر بدنو أجله عند ذلك استدعى اولاده وحاشيته إلى اجتماع ليقرر فيه مستقبل البلاد[4].

وخلال الاجتماع توجه جنكيز خان بنصائحه إلى اولاده ومنهم جغتاي وأوكتاي وتولوي وباقي أفراد أسرته بالقول ان المرض قد استولى عليه فطلب من الأبناء والاحفاد

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص386. ولبر دونالد: ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، القاهرة، 1958م، ص66.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص28. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص274.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص173. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص318- 323

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص173. ابن العبر ي: تأريخ الدول السرياني، ص453. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص41.

ان يحافظوا على عرشه وممتلكاته[1] وأضاف ((...إذا أراد جميع الأبناء ان يكونوا خانات وحكاماً وآخر لا يكون فسيكون مصيركم كمصير الثعبان المتعدد الرؤوس الذي هاجمه البرد ذات ليلة فأراد ان يزحف إلى جحره وكلما اراد رأس ان يسد باب الجحر نازعته الرؤوس الأخرى حتى كان هلاكه)) لذلك نصحهم بأن يكونوا متوحدين كثعبان برأس واحد ومهما داهمه البرد يستطيع ان يدخل جحره ويأمن به شر البرد بعد ان يدخل ذيله وسائر اعضائه[2].

وبعد ان انهى نصائحه وأوامره ركع أمامه الجميع وقالوا ((أبونا الملك ونحن العبيد قد رضخنا لأمرك ورأيك)) قال جنكيز خان ((إذا كان هذا أملكم فستعيشون في نعيم ودلال كل عمركم وإن رأيتم رأي بعد ان سمعت منكم ولاءكم، فإني اختار اوكتاي ليجلس على سرير الخانية لما يمتاز به من راي متين وعقل راجح ولما يتمتع به من رعاية للجيش وحماية للرعية ومحافظة على الثغور بفكر ثاقب وتدبير حسن، كل هذا جعلني اختاره ولياً للعهد واتوقع ان يمسك بدفة الحكم بصرامة وكفاية)) فوافق رأيه الجيمع فطلب منهم ان يقرنوا موافقتهم بالكتابة، فكتب الاولاد جميعاً امتثالاً لأمر والدهم[3].

وبعدها أشتد المرض بجنكيز خان فاستحالت عليه الحركة والنهوض وفي الرابع من شهر رمضان من سنة (624هـ/1227م) لفظ أنفاسَهُ الأخيرة ليحمل جثمانه إلى منغوليا

---

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1966م، ج5، ص98. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص76. غفاري قزويني، القاضي احمد: تأريخ جهان آرا كتبخانة دشي، تهران ايشنكاه سرجشمة، ببايان رسبيد، ص303.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص174،73.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص174-175. وينظر كذلك ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. غفاري قزويني: تأريخ جهان آرا، ص303.

ليدفن في المنطقة التي يخرج منها نهر اونون وكيرولين وبقي موضع الدفن سراً من الأسرار كما هي عادة المغول[1].

وهنا لابد من القول إن استبعاد تولوي وجغتاي عن هذا الاختيار لا يعني انهما كانا أقل كفاءة من اوكتاي فالأول قد فاق كل اخوته في الصفات العسكرية والمقدرة الفائقة في قيادة الجيوش - وكان والدُهُ بسبب هذه المهارات قد خصه بمهمة ترتيب الجيوش وإعداد الجنود، أما الثاني جغتاي فكان الاقرب إلى طبائع والده وهو الذي عرف بالصرامة والتشدد في تطبيق الياسا حيث كان مسؤولاً عن تطبيقاتها زمن والده[2] فضلاً عن كونهما اداريين ممتازين[3] ويبدو ان استبعادهما عن خلافته جاء بسبب شعور العداء الذي سبق ان قام بين جوجي واخويه هذين.

وعلى الرغم من ان جوجي كان قد توفي قبل هذا الاختيار غير ان جنكيز خان على ما يبدو قد تحسب من ان ينتقل هذا العداء إلى عائلة جوجي التي ستسبب المتاعب اذا ما تم اختيار احدهما ليكون خليفته للخانية لذلك جاء اختياره لأوكتاي لما يمتلكه من صفات تجعله مقبولاً من شعبه.

لم يمارس أوكتاي سلطة الخانية الا بعد انعقاد مؤتمر ((قوريلتاي)) في كوران سنة (626هـ/1228م) وفيه تم تنصيبه خاناً أعظم للمغول[4]. وكان تولوي يدير شؤون الامبراطورية في الفترة ما بين موت جنكيز خان واعتلاء أوكتاي العرش وهو الذي تقلد

---

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. الذهبي: العبر، ج5، ص98. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص268. المنهل الصافي، ج4، ص77. غفاري قزويني: تأريخ جهان آرا، ص303. الصياد: المغول في التأريخ، ص138.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص72.

(3) بارتولد. و.و: تركستان نامه، ترجمة كريم كشاورز، انتشارات بنياد فرينكك، ايران، 1352هـ ص940.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص30. غفاري قزويني: تأريخ جهان آرا، ص303. اقبال، عباس: تأريخ مفصل ايران، طبعة سنة 1347هـ ش، ج3، ص306. حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ص146.

منصب الوصي طبقاً للعرف المغولي الذي ينص ان الاخ الاصغر هو الذي يخلف اباه في الحكم لحين اختيار (خان) أعظم للمغول[1]، أما سبب استمرار وصايته على الحكم لسنتين فالراجح ان السر في ذلك يرجع إلى ما جرى من تدبير مؤامرات لاقصاء اوكتاي عن حقه في الحكم[2] ويبدو ان تولوي نفسه كان مشاركاً في تلك المؤامرات فقد أغراه على ما كان قد حاز عليه من ممتلكات ابيه كالموطن الاصلي للأسرة الحاكمة على نهري اونون وكيرولين واعالي نهر تولا وفيها مقر الحكم[3] فضلاً عن الجانب الاكبر من الجيش فكان له (101) ألف رجل من مجموع جيش جنكيز خان البالغ مئة وتسعة وعشرين الف أما الثمانية وعشرون الف فقد توزعت على جميع أسرة جنكيز خان من اخوته وأبنائه وزوجاته، كما كان لغالبية الأمراء ميل له اكثر من باقي اخوته[4] غير ان ما أثنى تولوي عن الاستمرار في مخططه بإزاحة اخيه وتنصيب نفسه خاناً بالقوة هو مستشار ووزير والده يي ليوتشوتساي الذي تدارك حدوث الانقسام بإسداء النصح لتولوي بضرورة الاستجابة لرغبة والده إذ ما أراد الحفاظ على وحدة البلاد[5].

ويشير رشيد الدين الهمذاني بوضوح إلى القلق الذي انتاب الأمراء المغول جراء تأخر انتخاب اوكتاي خاناً أعظم بالقول ((قد تشاور جماعة الأمراء الانجال والأمراء في شأن الملك الذي كان قد ظل خالياً من ملك قرابة سنتين - واخيراً فكروا في انه قد يحدث امرٌ ما وليس هناك رئيس ولا ملك معين فينصرف الفساد والخلل إلى أساس الملك، فمن المصلحة التعجيل بتنصيب خان للخانية))[6].

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص177 والهامش رقم (1). الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))،ص6.اقبال: تأريخ المغول، ص137. عمران، المغول وأوربا، ص42.

(2)ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. العريني، المغول، ص159- 160.

(3) اقبال: تأريخ المغول، ص137.

(4) العريني: المغول، ص159- 160.

(5)العريني: المغول، ص160.

(6) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص28.

وسواءٌ أكان النصح من الوزير يي ليوأم من باقي الأمراء فإنّ تولوي ما كان أمامَهُ إلا الاستجابة لهذا النصح بايقاف مخططه بالدعوة لكافة أبناء الأسرة الحاكمة لعقد ((القوريلتاي)) بتنصيب اوكتاي خاناً أعظم للمغول.

عقد المؤتمر في منغوليا في منطقة يطلق عليها اسم كوران في ربيع سنة (626هـ/1228م)[1] بحضور أفراد الأسرة الحاكمة من أبناء وأخوة جنكيز خان وباقي الأمراء وقواد الجيش ومشاركة زوجات جنكيز خان وأبنائهِ[2] وشرع الجميع في تبادل وجهات النظر بخصوص اختيار الخان الجديد، ويورد رشيد الدين الهمذاني جانباً من هذا الحوار بالقول ((شرع الأبناء والأمراء في مخاطبة اوكتاي قائلين تنفيذاً لحكم جنكيزخان ينبغي اجلاسك على عرش الملك حتى يشد الرؤساء المتمردون منطقة حزام العبودية على وسطهم وليطيع اوامرك البعيد والقريب)) فرد عليهم أوكتاي قائلاً ((ولو ان وصية جنكيز خان تكون نافذة بهذا الاجراء غير ان هناك الاخ الاكبر والاعمام وخاصة الاخ الاصغر تولوي خان، فأنه أجدر بتقلد هذا الأمر والالتزام به، ذلك لانه حسب تقاليد المغول ورسومهم - يقوم الابن الاصغر من البيت الأعظم مقام الاب ويتعهد مقامه وداره وتولوي هو الابن الاصغر في المعسكر الكبير وكان يلازم اباه ليلاً ونهاراً - وفي كل الاحوال فقد رأى وسمع وعرف التقاليد والقوانين، فكيف اجلس على عرش القاآنية مع وجوده وحضوره)) فرد عليه الأمراء بالقول ((لقد فوض اليك جنكيز خان هذا الأمر العظيم من بين الأبناء والأخوة ووكل اليك الحل والعقد فيه، فكيف يتسنى لنا ان نغير او نبدل حكمه المحكوم وأمره المبرم))[3].

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص176. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص28. اقبال: تأريخ مفصل ايران، ج3، ص306.

(2) عن اسماء من حضر المؤتمر ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص175-176. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص28-29.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص29-30.

وسواء كان امتناع أوكتاي في بادئ الأمر برفض قبول هذا المنصب بالحجة التي أشرنا إليها آنفاً او ان ذلك جاء بهدف اختيار موقف باقي اخوته فإن استغراق أمر المشاورات لمدة اربعين يوماً[1] لأمر يشير إلى ثمة معظلة كانت تقف أمام اختياره.

وهنا يذكر رشيد الدين الهمذاني ان الثلاثة أيام الاولى من المؤتمر انشغل فيها الأمراء بالمتعة والانس والطرب، ثم أخذوا يتبادلون الأحاديث بشأن تدبير الممالك والملك إلى ان استقر رأيهم على إسناد منصب الخانية إلى أوكتاي عملاً بوصية جنكيزخان[2] ومدة هذا الاستغراق لا يشير اليه الهمذاني - في حين يذكر ذلك الجويني بالقول ((... وهم يتشاورون واستمروا على هذه الحال أربعين يوماً، وكانوا في كل يوم يرتدون البسة قشيبة ويقرعون الكؤوس ويستعيدون الدروس)) إلى ان جاءَ يومُ الواحد والأربعين وفيه ((تقدم أبناء الملوك نحو اوكتاي يضعون بين يديه مصلحة الاخوة والأبناء التي فرضها جنكيزخان وفوضوه امر الحل والعقد والنقض والابرام ولن نبدل من أوامرك شيئاً)) وبذلك قبل أوكتاي المنصب[3] على ان يعمل بإشارة أعمامه وإخوته، وأخذ جغتاي بيد أوكتاي اليمنى وأخذ تولوي بيده اليسرى وأمسك عمه اوتجكين بحزامه وأجلسوه على سرير الخانية ثم رفع تولوي خان كاساً، فرفع الحاضرون بدورهم كؤوسهم داخل البلاط وخارجه باركوا له بالخانية[4].

من كل هذه التفاصيل نستشف ان المؤتمرين لم يكونوا في الايام الاولى من المؤتمر في إجماع على شخص اوكتاي على الرغم من وجود وصية جنكيزخان في هذا الأمر ولو كانوا متفقين عليه لكان امر المؤتمر قد حسم منذ الأيام الأولى، ولهذا يمكن القول ان هناك ثمة أمراء عارضوا تنصيبه لمصلحة تولوي ولكن جاءت موافقة تولوي برفع يد اوكتاي

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص178.
(2) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص29.
(3) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص177-178.
(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص178. الهمذاني،جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص30.

كدلالة على إظهار التأييد له لينتهي امر الاعتراض باضطرار المعترضين على إعلان الموافقة.

وعلى أية حال فإن المصادر التي بين أيدينا ولاسيما المغولية مثلما تحاشت الحديث عن الاسباب الحقيقية وراء تأخر انتخاب أوكتاي خاناً أعظم تحاشت أيضاً الاشارة إلى أي موقف سياسي او حركة تمرد او صراع من قبل أبناء الأسرة الحاكمة ضد أوكتاي، فمؤرخ المغول الجويني ورشيد الدين الهمذاني اللذان تعتمد عليهما معظم المصادر التي تناولت تأريخ المغول لا يشيران سوى الإطراء على فترة حكم اوكتاي وعدالته وفتوحاته والذي استغرق الحديث عنها عشرات الصفحات، فهل يعقل ان فترة حكمه التي استغرقت ثلاثة عشر عاماً للفترة بين سنة (626هـ/1229م)[1] وتأريخ وفاته سنة (639هـ/1241م)[2] كانت خالية من الصراع الأسري لا نجد لذلك سوى تفسيراً واحداً هو ان ذكاء أوكتاي السياسي قاده إلى اشغال الأمراء بحركة الفتوحات والتوسعات كي لا يتيح لأحد الفرصة في التآمر عليه، وهذا ما حدث فعلاً، اذ ما ان انتهى ((القوريلتاي)) حتى اصدر اوكتاي المراسيم في حركة الجيوش وحدد لكل أمير وجهته في التوسع شرقاً وغرباً[3] والقضاء على الدول ولهذا أخذت جيوشه تضرم نيران الحروب من سواحل بحر البلطيق في شمال غرب اوربا وحتى كوريا ومن موسكو إلى نهر الكنج

(1) عما كتبه الجويني والهمذاني عن فترة اوكتاي واطرائهما عليه ينظر تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص180-222 . جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص30-64.

(2) زامباور: معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي، اخرجه زكي محمد حسن و حسن محمد، ترجمة سيد اسماعيل وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الاول، 1951م، ص360.

(3) عن مراسيم إعداد الجيوش وقادتها ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص180. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص32. اقبال: تأريخ مفصل ايران، ج3، ص306.

حتى أعالي نهر الفرات في إقليم الجزيرة الفراتية[1] ولم تهدأ حركة هذه الجيوش حتى وفاته ليضطر بعدها معظم قادة الجيوش العودة إلى منغوليا لانتخاب خان جديد.

ثانيا: الصراع بين أبناء الأسرة الملكية الحاكمة على خلافة أوكتاي وتنصيب كيوك خاناً أعظم

واجه المغول أزمةً سياسيةً كبيرةً في اختيار من يخلف اوكتاي على منصب الخانية بعد وفاته سنة (639هـ/1241م) حيث بدأت الأطماع على منصب الخانية والخلاف بين افراد الأسرة الحاكمة[2] وكان اوكتاي خان في حياته قد جعل ولاية العهد لابنه الثالث كوجو، غير ان هذا توفى في حياة والده فاختار اوكتاي لولاية العهد شيرامون بن كوجو على الرغم من صغر سنه لانه كان يحبه كثيراً ويفضله على أبنائه، وكان شيرامون يعيش في بلاط جده ملازماً له[3]. وجرياً على عادة المغول ان يكون هناك وصيٌ يتولى الحكم خلال الفترة الانتقالية بين وفاة الخان وتنصيب الخان الجديد، والفترة الانتقالية هذه قد تستغرق عدة سنوات ولما كان أبناء الخان المتوفى جميعهم خارج منغوليا منشغلين بحركة التوسعات الخارجية التي كان قد كلفهم بها أبوهم[4] فإن الخاصة والعامة ممن كان في مقر حكم اوكتاي قد اجتمعوا وأقروا بأن تكون زوجة أوكتاي موكا خاتون وهي التي كان قد

(1) عن حركة الجيوش وحروبها وفتوحاتها في هذه البلدان، ينظر اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب،ص194-195.
(2) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص388. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص195.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص180. اقبال: تأريخ المغول، ص173. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص140.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص275 – 278. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص194-195. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص388. براون، ادوارد جرانفيل، تأريخ الأدب في إيران، ترجمة ابراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر 1954م، ص573-574.

ورثها اوكتاي عن أبيه جنكيزخان كزوجه له على حسب عاداتهم هـي مـن تتـولى تـصريف شـؤون الحكم[1]، ولما كانت توراكنة خـاتون زوجتـه الكـبرى وام اولاده الكبـار[2] أكـثر حـصافة وحكمـة مـن موكـا خاتون، فقد تصدت للحكم وأسرعت في إرسال الرسل إلى أبنائها وأمراء الأسرة الحاكمـة تـشرح لهـم احـوال البلاد وتطلب منهم تعيين مـن يتـولى شـؤون الـسياسة والحكـم بـدلاً مـن موكـا خـاتون الجاهلـة بـشؤون السياسة على ان يكون ممن يختاروَنَهُ تتوفر فيه القـدرة عـلى حـسن ادارة الـبلاد ويهـتم بالرعيـة ويثبـت دعائم الجيش، وجاء الرد سريعا من الأبناء ان تكون امهم توراكنة هي التي تتسلم مهمة تـصريف الحكـم لحين عقد ((القوريلتاي)) لتنصيب خان[3].

وجاء اختيارهم لها بحكم انها كانت الزوجة المفضلة والأثـيرة للخـان وأم أولاده الكبـار فـضلاً عـن كونها معروفةً بدهائها وكفاءتها السياسية[4] وهكذا استطاعت توراكنة خاتون من ازاحة موكـا خـاتون عـن الحكم ثم ما لبثت موكا ان توفيت بعد ذلك بوقت قصير[5].

سعت توراكنة خاتون خلال فترة حكمها التـي اسـتغرقت قرابـة خمـس سـنوات[6] على تنصيب ابنها كيوك ليكـون خانـاً أعظـم للمغـول بـدلاً مـن حفيـدها الـصغير الـسن

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص222.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص222. ابن العبري، تـأريخ الـدول الـسرياني، ص749. بارتولـد: تركـستان مـن الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص671. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص139. شبولر: العالم الإسلامي، ص40.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخـان))، ص176. بـراون: تـأريخ الأدب في ايران، ص574.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخـان))، ص176. بارتولـد: تركـستان مـن الفـتح العـربي إلى الغـزو المغـولي، ص671.

(6) لين بول ستانلي: طبقات سلاطين الإسلام، ترجمه عن الفارسية، مكي ظاهر الكعبي، منشورات البصري، 1968م، ص197.

شيرامون[1] مستخدمة نفوذها لتحقيق هذا الهدف وفي ذلك يقول رشيد الدين الهمذاني عنها ((ومصداقاً لسيطرتها وتحكمها انها لم تأبه بوصية زوجها في ولاية العهد))[2] ((ولم تسمع كلام الاخوة الكبار والصغار واثارة الفتن بين افراد الاسرة الجنكيزخانية)) ممن كان يعارضها لتوقع بينهم لاضعافهم ونجحت في ذلك حتى تمكنت ببراعتها من ضبط امور الملك بلطف وحيلة وجذبت اليها قلوب الاقرباء بأنواع الهدايا والتحف، ومال إليها أكثر الأجانب والعشائر والأقارب، وانقاد الناس إلى أوامرها طوعاً ورغبةً وانضوى تحت قوانينها[3] وكان ممن اصطف إلى جانبها في معارضة تولي شيرامون الخانية الأمير باتو حيث كان شيخاً معظماً لكافة أمراء المغول فهو الاكبر سناً من بين احفاد جنكيزخان[4]، اذ كان جميع أبناء جنكيزخان قد توفوا وآخرهم كان اوكتاي[5] وكان باتو مسموع الكلمة لدى الأمراء بحكم انه سيد الجميع ((ويرجعون اليه في أمر تعيين الملوك وتنصيبهم))[6] ولا تفصح المصادر سبباً لمعارضة باتو لشيرامون، واذا كانت هذه المعارضة قد جاءت ثأراً لوالده جوجي الذي كان اوكتاي من ضمن من تآمر على جوجي وساهم في قتله[7] فما تفسيرنا لميل باتو لان يكون كيوك هو المرشح لتقلد منصب الخانية وكيوك هو ابن اوكتاي وتفسير ذلك هو ان باتو كان ثاقب الرأي ورأى ان المصلحة في اختيار كيوك الذي كان

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181.

(2) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص181.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص222.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص108،172.

(5) توفي جوجي قبل وفاة والده جنكيزخان بستة اشهر، اما تولوي فوفاته كانت سنة (630هـ/1232م)، وجغتاي توفي قبل اوكتاي بسبعة اشهر فكانت وفاته سنة (638هـ/1240م) عن ذلك ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص63، 149،169.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص172.

(7) عن تآمر اوكتاي ضد جوجي ومساهمته في قتله ينظر كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص321- 322 وفيه يسمى جوجي بتشجو واوكتاي بتشاغتاي،ينظر كذلك الفصل الاول، مبحث جوجي يتمرد على سلطة والده.

قـد شـاهده عـن قـرب في اثنـاء مصـاحبة كيـوك لـه في الحملـة المغوليـة، عـلى اوربـا في سـنوات (633-637هـ/1235-1239م)[1] وما امتلكه من صفات في القيادة والادارة ما جعله يفضله على شيرامون الـذي كـان صغير السن ولا خبرة له في الادارة وقيادة الجيوش[2].

واذا كانت توراكنة خاتون وباتو قد نجحا في النهاية في ايصال كيـوك لمنصـب الخانيـة فـإن ذلـك لم يحدث الا بعد سلسلة من المحاكمات المقيتة والاعـدامات الوحشـية بـبلاط الخـان المتـوفي وقصـور الأمـراء والتي جعلت فيما بعد عبـارة ((يـذهب إلى الاوردو)) أي إلى مقـر الخـان تعنـي لأي أمـير انـه ذاهـب إلى مـوت محقـق وهنـا يشـير المـؤرخ الـروسي بارتولـد بأنـه لـيس مـن الانصـاف إلقـاء مسـؤولية العـدد الكبير والرهيب من الضحايا ممّن اتهموا بمعارضة تنصيب كيوك للخانية على المغول أنفسـهم إذ إن الكثـير من الدسائس كان يحيكها ممثلو الشعوب المتحضرة التي كانت خاضعة لهـم وان حكـام المغـول لم يكونـوا في واقع الأمر سوى أدوات في ايدي أولئك الذين مهروا في الدس بـين المسـلمين والايغـور والأوربيـين وكـان المغول يقفون في معظم الأحيان عند حد تسليم المتهم منهم إلى يـد أعدائـه، الأمـر الـذي لم يكـن ليخفـف بالطبع من هول المصير الذي كان ينتظره[3] وهكذا ذهب نتيجة هذا الصراع خـيرة ممـن كـان يـدير الـبلاد مـن وزراء أو صـاحب ديـوان أو حكـام أقـاليم هـذا فضـلاً عـما كـان يعمـل معهـم في بلاطهـم مـن غـير هؤلاء[4]. اما مـن كـان قـد عارضـها مـن أبنـاء الأسرة الحاكمـة فـلا تشـير المصـادر ان توراكنـة خـاتون قـد تمكنت منهم بالقتال بل استخدمت حنكتها السياسية في تحييدهم بعـد ان كـانوا طـامعين بالسـلطة وكـان

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص108 – 109.

(2) بارتولد: تركستان نامه، ص1002.

(3) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص673.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص222- 227. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675.

اولهم ابنها الثاني كوتان الذي ادعى بأحقيته بالخانية مدعياً بأن جنكيزخان نفسه قد أوصى بأن يؤول العرش بعد موت والده اوكتاي اليه[1].

وكان كوتان قد سعى لحشد التأييد له لتحقيق هدفه بأن استقطب عدداً من المعارضين لحكم والدته[2] غير ان مطالبته بالخانية لم تصل إلى حد رفع السلاح بوجه والدته التي تمكنت على ما يبدو من خلال مبعوثيها له ان تثنيه عن أهدافه التي فترت بعد ان داهمه المرض[3] فرضي بمكافأته بولاية تنكوت الصينية[4]. أما الخطر الثاني فجاء من العم اوتجكين اخي جنكيزخان الذي كان حاكماً على ولاية الخطا الصينية[5] والذي استغل فرصة انشغال جيوش المغول في توسعاتهم الخارجية عند وفاة اوكتاي بأن قاد جيشاً مزوداً بالعدة والعتاد إلى معسكر توراكنة خاتون للسيطرة على مقر الحكم وتنصيب نفسه خاناً، وما ان علمت توراكنة خاتون بالأمر حتى أوكلت مهمة الدفاع والتصدي لأوتجكين إلى حفيدها منكلي اغول[6] وفي ذات الوقت ارسلت رسولاً عنها إلى اوتجكين تقول له ((نحن كنائنك مستظهرون بك فما سبب قدومك بالجنود وبالعدة والعتاد إذ إن كافة الرعية والجنود قد اضطربوا))[7] ولم تكتفِ بذلك بل ارسلت اليه آبنَهُ أوباتي الذي

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181. اقبال: تأريخ المغول، ص173. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675. تركستان نامه، ص1002.

(2) كان ابرز من استقطبهم إلى جانبه من معارضي توراكنة خاتون الوزير جينقاي وصاحب الديوان محمود يلواج عن ذلك ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176-177.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص19.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص73. ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج5، ص527.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223-225.

(7) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص225. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.

كان ملازماً لها ليقنع والده بالعدول عن هذا الأمر[1] وقد نجح في ذلك بأن ندم اوتجكين وعدل عن فكرته واعلن انه جاء لتقديم العزاء بوفاة آبن أخيه اوكتاي وبذلك مهد السبيل للاعتذار ثم عاد إلى مقر حكمه[2].

لم تشغل هاتان الحادثتان توراكنة خاتون عن مخططها بإزاحة أركان الحكم عن مناصبهم والذين يمثلون عصب إدارة الدولة وممّن كانوا يشكلون مصدر تهديد لها في ايصال ابنها كيوك للخانية وأخذت تترصد لكبار الخصوم لتعطي لكل واحد استحقاقه من العقاب[3] ساعدها في تنفيذ خططها هذه حاجبة لها تسمى فاطمة كان المغول قد أحضروها إلى قراقورم من مدينة طوس عندما استولى على بلاد ما وراء النهر وخراسان[4] ثم الحقت بخدمة توراكنة خاتون وكانت هذه المرأة غاية في الذكاء والكفاءة وموضعاً للثقة وكاتمة أسرار الخاتون وكان عظماء الأقاليم يتخذوها وسيلة لتحقيق أغراضهم[5] فأخذت توراكنة خاتون وبناءً على مشورة فاطمة تعزل الأمراء واركان الدولة الذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبرى زمن جنكيز خان واوكتاي[6]. وكان اول من استهدفتهم صاحب الديوان محمود يلواج ويلواج كان اقوى واكبر شخصية غير مغولية في دولة المغول وقد حاز على ثقة جنكيزخان وكان مستشاره المقرب إليه وولاّه

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص225. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223.

(4) وللتفاصيل عن حياة فاطمة وعملها بين دواوين الأمراء وانتقالها لخدمة توراكنة خاتون ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص224-227.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص224. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص403. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176.

(6) اقبال: تأريخ المغول، ص173.

إقليم بلاد ما وراء النهر[1] وبقيت هذه المكانة على عهد اوكتاي حيث شغل منصب صاحب الديوان وحاكماً على ولاية الخطا الصينية كما نصب اوكتاي ابنه مسعود على ولاية بلاد ما وراء النهر[2].

وبعد وفاة أوكتاي بقي محمود وابنه في منصبهما دون اعتراض من توراكنة خاتون[3] غير ان هذا القبول بهما كان مؤقتاً ولم يدم طويلاً ولاسيما مع محمود - الذي دبرت له فاطمة مكيدة عند سيدتها توراكنة خاتون وهنا يذكر رشيد الدين الهمذاني ان فاطمة كانت تضمر عداءاً قديماً لمحمود يلواج[4] غير انه لم يُشر إلى ماهية هذا العداء وبتقديري جاء العداء بسبب خيانة محمود يلواج لوطنه بلاد ما وراء النهر الذي هو موطنها أيضاً عندما التجأ الى جنكيزخان وشاركه غزو هذا الإقليم، ومكافأة له على خدماته نصبه جنكيزخان وزيراً له[5] ولا شك ان التهمة التي ساقتها فاطمة ضد يلواج لا تخرج عن نطاق كونه من المؤيدين بالعمل بوصية اوكتاي فيمن يخلفه على منصب الخانية ولهذا أمرت توراكنة خاتون بعزله وعينت مكانه شخصاً يُدعى عبد الرحمن وأوفدت جماعة على رأسهم الأمير اوقال قورجي للقبض على يلواج وإحضاره مع اتباعه فلما وصل هؤلاء استقبلهم يلواج بالبِشر والترحاب وقدم لهم مراسيم الاكرام والاعذار وظل يومين مشغولاً بالتودد لهم واستعمال اللطف معهم إلى حين ان تمكن من خداعهم بعد ان عرف حقيقة أمرهم فهرب خفية تاركاً اتباعه ليعتقلوا، فالتجأ عند كوتان بن أوكتاي فأمنه وشمله بعطفه[6] أما الوزير الأعظم جينقاي صاحب الأمر والنهي زمن

---

(1) عن تأريخ علاقة محمود يلواج بجنكيزخان وأوكتاي وتعاونه معهم ينظر التفاصيل، بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص654 الهامش رقم (18) و ص666، 668-670.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176-177.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176.

(4) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177.

(5) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص654، الهامش رقم (18).

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177.

اوكتاي فهو الاخر استهدفته توراكنة خاتون التي رأت انـه مـن اركـان الحكـم القـديم غـير المتعـاطف مـع رغباتها في ايصال ابنها كيوك للخانية ولهذا عزمت على القاء القبض عليه ولكن جينقاي علـم بمـا يـدبر لـه فهرب هو الاخر ملتجأ عند كوتان[1]، فأثار ذلك حفيظة توراكنة خاتون التي ارسلت إلى ابنها كوتان تطلـب منه تسليمهما اليها فأجابها كوتان ((ان بغاث الطيور التـي تهـرب مـن مخالـب الـصقر وتلجـأ إلى شـجرة الشوك تأمن من صولة العدو، وحيث انهما لجأ الينا تكون إعادتُهما أمراً بعيـداً عـن المـروءة وسأحـضرهما عندما ينعقد مجلس الشورى وبحضور الاقارب والأمراء))[2] للتأكد إن كانوا مذنبين أم بريئين، ولكن توراكنة خاتون كررت طلبها إلى ابنها مرات عدة وهي تصر على حـضورهما فكـان كوتـان يعتـذر عـن إرسـالهما إلا بعقد المجلس[3].

وحين أيقنت أنها لن تتمكنَ من استعادتهما اتفقت مع الأمير عماد الملك محمد الختني الذي كـان من جملة أمراء أوكتاي وعلى صلة بها على تلفيق التهم ضدهما لكي تضمن تعليق الاغلال في اقدامهما عند محاكمتهما في الاجتماع الرسمي المزمع عقده[4] ولكـن وفـاة كوتـان المفاجئـة حالـت دون انعقـاد المجلـس لمحاكمتهما[5]، كما تراجع عماد الملك عن الوشاية إثر ضغوطات وقعت عليه من قبل أبناء كوتان[6]، وهكذا بقي يلواج وجينقاي في حماية أبناء كوتان ثم ما لبثا ان اسـتجارا بعميـد أمـراء المغـول بـاتو الـذي توسـط

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفـاء جنكيزخـان))، ص176-177. اقبال: تأريخ المغول، ص173.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العـالم جهانكـشاي، م1، ص223. الهمـذاني: جـامع التـواريخ ((تـأريخ خلفـاء جنكيزخـان))، ص177. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177. اقبال: تأريخ المغول، ص173.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223-224.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص179.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص224.

لهما وأعادهما إلى مكانتهما على عهد كيوك خان بعد وفاة توراكنة خاتون[1] سنة (644هـ/1246م)[2] اما مصير سائر الأمراء ممّن كان يعترض على رغبة توراكنة خاتون في تولي كيوك العرش فتخلصت من معظمهم، إما بعزلهم أو بقتلهم أو بهربهم ومنهم مستشاري اوكتاي جهانكشاي النسطوري ويي ليوتشو الصيني الذين تم عزلهما دون مقاومة[3] أما الأمير مسعود بن محمود يلواج الذي كان حاكماً على ولاية إقليم بلاد ما وراء النهر فإن المعلومات عنه لا تشير إلى انه كان متهماً بمعارضة تنصيب كيوك للخانية ولكنه خاف ان يذهب بجريرة والده لذلك آثر السلامة بترك منصبه واحتمى بالأمير باتو[4] الذي توسط له عند توراكنة خاتون فأعادته إلى منصبه دون عقاب[5] وكان القتل من نصيب الأمير كوركوز حاكم ولاية خراسان، وكوركوز وهوايغوري بوذي أصله من قرية بريلغ التابعة لبيش باليغ علا شأنه بفضل ذكائه وتعليمه فانخرط في خدمة البلاط المغولي حتى تولى في أواخر عهد اوكتاي إدارة ولاية خراسان وجميع أملاك المغول الواقعة

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص236. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص179، 182 – 184 ويحدد زمن وفاتها بشهرين او ثلاثة بعد تسلم كيوك منصب الخانية ويذكر العزاوي ان محمود يلواج وجينقاي قد حضرا مراسم تتويج كيوك للخانية، تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص141.

(2) الهمذاني:جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص184-186-188-209. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص197. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص178.

(3) العريني: المغول، ص188.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177-178. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص674

Spuler: History of the Mongols Basedon Eastern and Western Aceounts of the Therteen and foorten the centuries, translated by: Helga, London, 1972, p. 14.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص236، يشير رشيد الدين الهمذاني بأن مسعوداً اشترك في حفل تتويج كيوك لمنصب الخانية بصفته حاكماً على بلاد ما وراء النهر جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181، وهذا ما يفسر بأن توراكنة خاتون قد عفت عنه وأعادته إلى منصبه.

إلى الغرب من نهر امودبا وقد افلح كوركوز في النهوض بخراسان حيث عمت الرفاهية على سكانها بفضل حسن ادارته لها، ولكنه لم يلبث ان احاطت به الدسائس بعد هروب صديقه الوزير جينقاي كما تحدث بحق الملكة بألفاظ تنطوي على عدم الاحترام، وبهذا وجد أعداؤه مبرراً كافياً لمهاجمته فسيق كوركوز إلى ((الاوردو)) مقر الحكم فحشو فمه بالحجر وقتلوه ونصبت توراكنة الأمير ارغون المقرب اليها على حكم خراسان بدلاً عنه[1].

اثارت عمليات الانتقام التي قامت بها توراكنة خاتون ضد خصومهما حفيظة معظم الأمراء الذين اخذوا يتحاشونها وفي هذا يقول رشيد الدين الهمذاني ((وفي تلك الفترة المليئة بالفتن والاضطراب إذ أخذ كل شخص يلجأ إلى مكان ويتمسك بحمايته، كما كان كل واحد يتذرع بنوع من الحجج لتبرير موقفه))[2] خوفاً من ان تطالهم يداها.

وبعد ان استمكنت من الجميع وظل عرش الخانية تحت امرتها ما يقارب من خمس سنوات (639-644هـ/1241- 1246م)[3] غدت الظروف مهيأة لتحقيق هدفها، فأرسلت الرسل إلى كبار أمراء أسرة جنكيزخان وحكام الأقاليم وقادة الجيوش لحضور جلسة المؤتمر ((القوريلتاي)) لتنصيب كيوك رسمياً خاناً أعظم للمغول، وأرسلت دعوات إلى عدد من الملوك والسلاطين، وصلوا منغوليا قادمين من ولاية القفجاق إخوة باتو ممثلين عنه بعد ان اعتذر لضعف في بنيته بسبب كبر سنه، وحضر كل من وجهت له الدعوة من كبار الأمراء والشخصيات المغولية وعلى رأسهم أوتجكين اخو جنكيزخان والاعمام وأبناء الاعمام ونساء الأسرة الحاكمة وحكام الأقاليم من بلاد الخطا والتركستان وما وراء النهر وخراسان والسلطان ركن الدين سلطان سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، ومندوبون عن اتابكة كرمان وفارس والموصل والمطالبان بعرش مملكة الكرج ((جورجيا)) داود نارين وداود لاخ، وأرسل الخليفة العباسي مندوباً عنه كما أرسل علاء

(1) للتفاصيل عن حياة كوركوز ونشاطه السياسي ونكبته ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص122-139.
(2) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.
(3) لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص197.

الدين حاكم الاسماعيلية ممثليه لحضور المؤتمر، فضلاً عن حضور أمراء اذربيجان وشيروان ومن حلب أخو أميرها[1] وبعض من هؤلاء ربما حضروا تفادياً لنقمة المغول وتجنباً لشرهم كما حضر ممثلون مسيحيون منهم كوني تابل سمباد أخو هيثوم ملك مملكة ارمينيا الصغرى ((قيليقيا)) ويوحنا دي بلان كاربيني ممثلاً عن الباب انيسونت الرابع[2] جميعهم قدموا إلى قراقورم محملين بالهدايا التي تليق بمثل هذه المناسبة[3].

انعقد المؤتمر في ربيع سنة (644هـ/1246م)[4] على ضفاف بحيرات غرب منغوليا في موضع يسمى كوكاناوور بعد ان اعد لهم ما يقرب من الفي سرداق ولكثرة ما حضر لم يبق موضع للنزول في المنطقة المحيطة بالمعسكر[5] وكعادة المغول يبدأ الاجتماع بالتداول بين أمراء الأسرة الحاكمة في موضع الخانية وبعد نقاش معروف الهدف منه اتفق الجميع على ان صغر سن شيرامون ولي العهد لا يؤهله لتسلم منصب الخانية ولهذا تقتضي المصلحة بأن يكون كيوك خاناً أعظم كونه اكبر سناً بين أولاد الخان المتوفى اوكتاي[6]

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص230 -231. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص180 -181. اقبال: تأريخ المغول، ص174. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص140.

(2) براون: تأريخ الأدب في ايران، ص574. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص141. قداوي: تحالف مملكة ارمينيا الصغرى وانطاكيا الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام و تصدي المماليك لهم، مجلة التأريخ العربي، العدد العاشر، 1999 م، ص156.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص229. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص388. شبولر: العالم الإسلامي، ص46.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص180 -181. اقبال: تأريخ المغول، ص173، وقد وصف الجويني مكان الاجتماع وصفاً جميلاً من حيث التنظيم والخدمة وجمال المكان إلى حد قوله لم يسبق لمثل هذا الاحتفال ان يكون له مثيل في التأريخ عن تفاصيل ذلك ينظر: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص229 – 233.

(6) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181.

) وأكثر قدرة على ممارسة الصعاب من الأمور وشاهد السراء والضراء وهكذا غلبت الرغبة في تعيين كيوك على دفة الحكم ولكن العرف يتطلب من كيوك ان يتمنع[1] وبعد الالحاح عليه قال للأمراء ((اني اقبل هذا المنصب بشرط ان تبقى الخانية في ذريتي)) فكتب كلهم تعهداً بالموافقة على رأيه قائلين ((اذا بقيت من نسلك قطعة لحم ملفوفة في الشحم والعلف وتعلقها الكلاب والبقر، فإننا لن نعطي الخانية شخصاً آخر))[2] وهكذا قبل بالمنصب فقام الأمراء جميعاً ورفعوا قبعاتهم تحية واجلال وعلقوا أحزمتهم على أكتافهم وأجلسوه على عرش الخانية وركع كل من كان في المجلس ثلاث مرات وهم ينادون باسم كيوك خان عندها تناول الجميع كؤوس الشراب وانشغلوا مدة اسبوع بالمآدب والحفلات[3].

ثالثاً: اجراءات كيوك العقابية تجاه من شك في ولائه:

عرف كيوك بالبطش وحب السيطرة[4] ولذلك ما ان تسلم منصب الخانية حتى اقلقه احتفاظ معارضيه بالمكانة التي كانوا عليها زمن أبيه ولاسيما من أمراء أسرة جنكيزخان ومنهم العم اوتجكين الذي لم ينس له كيوك فعلته في محاولة غزو معسكر والدته توراكنة خاتون بهدف السيطرة على مقاليد السلطة ومن أجل اضفاء طابع من الشرعية في محاسبة اوتجكين قرر محاكمته وبشكل علني بعد ان نصب محققين عرفوا بنزاهتهم من ال بيته وهم أبناء عمه منكوبن تولوي واورده ابن جوجي طالباً منهم التدقيق في كشف حقيقة موقفه بالبحث والاستقصاء واعتماد الدقة في الوصول للحقيقة وعدم الخضوع لأي اعتبار أسري وتوصل الاثنان بأن اوتجكين كان مذنباً بتحريض من

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص232. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص232. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص231. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

عدد من امرائه وبدلاً من قتله اكتفى كيوك بقتل الأمـراء [1] وبهـذا يكـون الخـان قـد اضـعف مـن مكانـة اوتجكين السياسية كونه اخا جنكيز خان وعم والده اوكتاي.

أما الاجراء الثاني الذي اتخذه كيوك خان فكان التخلص من الحاجبـة فاطمـة التـي اخـذت تـشكل مصدرَ تهديد له من خلال تحريض اخوته عليه عن طريق تأثيرها على والدته توراكنة خـاتون التـي بقيـت تتدخل في شؤون الحكم[2]. ويبدو أن الصاحب محمود يلواج كان له دور كبير في التأثير على كيوك للتخلص من فاطمة ذلك لأن إعادة الاعتبار لمحمود يلواج بتنصيبه ثانية على ولاية الخطا الصينية[3] في ذات الوقـت الذي كانت فيه الحاجبة فاطمة تحاكم بتهمة أنها كانت وراء مرض كوتان[4] لم يكن الأمر صدفة فمعـروف ان فاطمة كانت وراء محنة يلواج وهروبه على عهد توراكنة ولهذا دبر يلواج من اتهم فاطمة بأنهـا كانـت وراء علة كوتان الذي كان على علاقة قيل انها مشبوهة معها ولاقت هذه التهمة قَبولاً لدى كيـوك[5] الـذي اراد أن يظهر أمام أسرته انه لا يكن ضغينة لكوتان وعائلته عـلى الـرغم مـن ان كوتـان في حياتـه كـان قـد نافسه على الخانية كما ان الاقتصاص من فاطمـة يعنـي الـتخلص مـن تـدخلات والدتـه في شـؤون الحكـم باعتبار ان فاطمة هي التي كانت توجهها وهكذا أُدينت فاطمة بجرم لم تقترفه[6]. فأمر كيوك بلفهـا داخـل لباد ورميها في الماء فماتت غرقاً[7] فكـان موتُهـا صـدمةً كبـيرةً لوالدتـه التـي لم تـستطع تحملـه لـذلك مـا

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص234-235. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص184.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص226.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص226.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1،ص227.

(7) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4.

لبثت أن ماتت كمداً عليها بوقت قصير[1] كما اعدم كيوك كل من كان له علاقة بفاطمة وبذلك قضى على أمر تدخلات فاطمة واتباعها في شؤون الحكم[2].

وكان الضحية الثالثة في عملية التصفية الأمير عبد الرحمن الذي شغل على عهد توراكنة خاتون منصب حاكم ولاية الخطا بدلا عن الصاحب محمود يلواج وجاء قتله بُغيةَ تصفية من كان محسوباً على والدته[3]، كما اتخذ اجراءاً سياسيا آخر تجاه عائلة عمه جغتاي التي كانت طبقاً لوصية جنكيزخان قد حازت على مناطق بلاد ما وراء النهر التي كانت تحكم من قبل حفيد جغتاي الأمير قراأغول ((قراهولاكو)) بناءاً على توصية جغتاي قبل وفاته حيث كان قد عهد بولاية العهد في حكم هذه المنطقة له[4] ولكن كيوك الذي سبق ان مرَّ بتجربة والده الذي كان قد منح ولاية العهد لحفيده شيرامون بدلاً منه حيث كان الاحق بصفته الابن الاكبر والتي سبق الاشارة اليها وبهدف وضع حدٍ لمثل هذا التجاوز قرر بأن لا يجوز للحفيد ان يرث العرش في الوقت الذي ما يزال فيه احد أبناء الخان على قيد الحياة وبما ان ييسو اكبر من بقي على قيد الحياة من اولاد جغتاي لذلك عزل قراأغول ونصب ييسو على مناطق نفوذ أسرة والده جغتاي[5].

والجويني يذكر ان سبب عزل قراأغول فضلاً عما ذكرناه هو ان ييسو كان على صداقة وصفاء مع كيوك[6] ولهذا فضل كيوك ييسو على قراأغول في حين هناك من يشير إلى ان تعيين ييسو في هذا المنصب جاء استرضاءاً لعائلة جغتاي ولاسيما للزوجة بيكي

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص226-227. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص227.

(3) الهمذاني: جانع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص183-184.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182. قزويني: تأريخ كزيدة، ص586.

(6) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235، 250.

التي كان كيوك قد قتل اثنين من اولادها لسبب لم يُشر إليه[1]، وربما لتمردهما عليه ولذلك أصدرَ أمراً بأن تكون طلبات بيكي مستجابة وان تكون قراراتها نافذة[2] طبعاً باستثناء امر ولاية العهد.

وهنا يشير الهمذاني أن كيوك ضيّق الخناق على الأمير قراأغول ولم يسمح له بالتدخل في أمور الحكم في حين اطلق يد ييسو في تصريف الامور[3] وعلى الرغم من ان ييسو لم يكن مؤهلاً لمثل هذا المنصب اذ كان مشغولاً بالملذات ولا يفيق من السكر لكثرة ما كان يحتسي من الخمر ولهذا كانت توقاش زوجته هي التي تدير شؤون الحكم[4] حتى مقتل زوجها بعد وفاة كيوك[5].

اما آخر اجراء عدائي اتخذه كيوك فكان ضد من كان سبباً في ايصاله إلى منصب الخانية وهو الأمير باتو عميد الأسرة الجنكيزخانية وصاحب إقليم القفجاق وباتو هو بن جوجي ابن جنكيزخان أي انه ابن عم كيوك خان[6] وكان باتو حليفاً قوياً لتوراكنة خاتون عاضدها في عزل شيرامون وايصال ابنها كيوك للخانية، كما ان كيوك كان من جملة الأمراء الذين عملوا تحت قيادة باتو في الحملة المغولية على اوربا[7] التي امتدت من سنة (633هـ/1235م) إلى سنة (639هـ/ 1241م)[8] تأريخ وفاة اوكتاي[9] ويبدو ان

(1) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص677، الهامش رقم (102).

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(4) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص677- 678. تركستان نامه، ص1005.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235، والهامش رقم واحد ص250.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص108، 255.

(7) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 55، 108، 121-122. الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص385. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص288. براون: تأريخ الأدب في ايران، ص574. عمران: المغول وأوربا، ص45.

(8) براون: تأريخ الأدب في ايران، ص573. Saunders, History of Medieval Islam , p.178

(9) فشر. هـ.م. ل: تأريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة واخرين، دار المعارف بمصر، 1966م، ص411.

العلاقة بين باتو وكيوك خلال تلك الحملة سادها التوتر عندما شق كيوك عصا الطاعة على باتو في اثناء الحملة المغولية على البلقان[1] ولذلك أخذ باتو يتوجس خيفة من كيوك في حين يشير بارتولد بأن كيوك هو الذي أخذ يتحسب من باتو لأن الأخير كان يطمح بعرش الخانية ودليله في ذلك ان باتو لم يحضر حفل تنصيب كيوك للخانية مدعياً بأنه مريض ولم يقسم يمين الطاعة والولاء لكيوك[2] وهذا ما دفع كيوك على العمل على اضعاف باتو من خلال ارسال فرقة عسكرية بقيادة الأمير ايلجكتاي نوين لانتزاع إقليم اذربيجان من نفوذ باتو ولكن نائب باتو في هذا الإقليم تصدى لهم وقبض على أميرهم وعدد من قادته وأرسلهم إلى باتو ليقتلهم ويطحنهم[3] إمعاناً في الانتقام منهم وكدلالة على غضبه من سيدهم كيوك.

لم يثنِ هذا الفشل كيوك خان الذي كان المرض قد اصابه ثانية من استهداف باتو بأن تظاهر ان عفونة المناخ في مقر حكمه في منغوليا هي التي كانت سبباً في مرضه لذلك آثرَ نقل مقر حكمه إلى جهة الغرب في نواحي ايميل قوجين التابعة لباتو مدعياً ان طقس ايميل موافقاً لصحته وماؤها ملائم لمرضه[4] ولكن في حقيقة امره قاد جيشاً جراراً

(1) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص388.

(2) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص680 والهامش رقم (111).

(3) ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج5، ص529. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص313. الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص390. القصاب، محمد يونس: مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 2004م، ص69.

Spular: Die Golden horde, p. 29.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185.

بتجهيزات حرب كاملة[1] وهذا ما أثار شكوك زوجة عمه تولوي الخاتون سيورقتيتي التي كانت على وفاق تام مع باتو، فأرسلت سراً رسولاً من قبلها إلى باتو تقول له ((كن مستعداً لأن كيوك متجه بجيش جرار نحوك)) فحمد لها باتو هذه المنة كثيراً وصار يستعد لقتاله[2].

ولكن الأمر لم يصل إلى حد القتال لان كيوك مات في الطريق إلى اميل عند موضع يعرف بسمرقند التي تبعد عن بيش باليغ مسيرة سبعة أيام[3].

وهكذا تفادت الأسرة الحاكمة بموت كيوك حرباً لا تحمد عقباها وان كان ذلك لم يمنع من ان يقع صراع جديد على من يخلف كيوك على الخانية.

رابعاً: سيورقتيتي وحسم الصراع على الخانية لمصلحة ابنها منكو

سيورقتيتي وتسمى ايضاً بيكي هي آبنةُ الأمير جاكمبو أخي أونك خان زعيم قبيلة الكرايت، خطبها جنكيزخان في حياته إلى ابنه تولوي الذي تزوجها في صغره[4] وانجبت

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص680. اقبال: تأريخ المغول، ص174، ويشير ابن خلدون والقلقشندي بأن تعداد جيش كيوك بلغ ما يقارب 600.000 الف مقاتل وهذا امر مبالغ فيه. تأريخ ابن خلدون، ج5، ص529. وصبح الاعشى، ج4، ص313.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185. العريني: المغول، ص193. اقبال: تأريخ المغول، ص174. الصياد: المغول في التأريخ، ص198.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص120 وهامش رقم (1)، م2، ص186. الهمذاني:جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص160، 195. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص142. الصياد: المغول في التأريخ، ص206.

له اربعة اولاد وهم منكو وقوبلاي وهولاكو وأريق بوقا وجميعهم غدوا ذا شأن كبير في التأريخ السياسي لدولة المغول[1].

حظيت سيورقتيتي بمكانة كبيرة لدى الأسرة الحاكمة المغولية ومكانتها انبثقت من كونها سليلة عائلة ملكية متمثلة بعمها اونك خان ونالت حب تولوي لتصبح الزوجة الاثيرة له وبعد وفاة تولوي غدا لايواسي الخان كيوك في فراق عمه سوى العناية الفائقة التي اولاها لسيورقتيتي وأبنائها ولذلك أمر بأن تفوض مصالح ولاية تولوي - التي تتمثل بالموطن الاصلي للمغول منغوليا والتي غدت إرثاً لعائلته طبقاً لوصية جنكيزخان عندما قسم البلاد على اولاده الاربعة والتي سبقت الاشارة اليها - إلى سيورقتيتي كما عهد اليها شؤون تدبير الجيش وان يكون الأبناء والجند طوعاً لأمرها[2].

وصف رشيد الدين الهمذاني سيورقتيتي بأنها امرأة عاقلة فاضلة أجادت تربية أبنائها فبذلت بكفاءتها جهوداً كبيرة في رعايتهم ولقنتهم الفضائل ولم تدع ان يقع بينهم نزاع على الاطلاق، وألفت بين قلوب زوجاتهم مع بعضهن البعض وقامت برعايتهم ورعاية الأبناء والاحفاد وجميع الأمراء العظام الذين كانوا قد آلوا اليها من جنكيزخان وتولوي وحافظت عليهم بحسن تدبيرها وسداد رأيها ولأنهم كانوا يرونها عاقلة تماماً وفي غاية الكفاءة لم يتخلفوا مطلقاً عن طاعة أوامرها، كما أحسنت تنظيم شؤون ولايتها إلى قدر لم يكن في مقدور أي ملك ان يأتي بمثلها أو أن يقوم بتنفيذها[3] وكان اوكتاي خان يستشيرها في مهام الامور ومصالح البلاد[4] ولم يكن يحيد عما تراه صالحاً ولا يجوز التغيير والتبديل في كلامها، وكان اتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والاهتمام

---

(1) يذكر الهمذاني بأن تولوي كانت له زوجات ومحظيات كثيرات غير أن أعظمهن وأكثرهن مكانةً في قلبه كانت سيورقتيتي أم أبنائه الأربعة المشهورين الذين كانوا بمنزلة الاركان الأربعة للبلاد. جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص160.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص197.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص170.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186.

والاحترام ولم يصدر عنهم في أي صراع او فتنة شيء يخالف القوانين المغولية[1] ولا شك ان هذا يعطي لها دليلاً على بالغ كفاءتها ورجاحة عقلها وكياستها وتبصرها بعواقب الأمور.

وحرصت دائماً على الحفاظ على هذه المكانة وعززتها بتقديم التحف والهدايا في المناسبات للاقارب والعشائر والرعية والوفود[2]، ورغم انها كانت تعتنق الديانة المسيحية وتعمل على نشرها[3] الا انها كانت تسعى سعياً جدياً لإظهار شعائر الشريعة الإسلامية كسباً للرعية فكانت تغدق الصدقات والعطايا على ائمة المسلمين ومشايخهم ومصداقاً لهذا الأمر انها منحت الف كيس من الفضة لأقامة مدرسة في بخارى كما أمرت بشراء الضياع ووقفها على هذه المدرسة وقد اختير لها المدرسون وطلاب العلم، وكانت توالي إرسال الصدقات إلى الأطراف والنواحي وتنفق الاموال على المساكين والفقراء من المسلمين وظلت تسلك هذا الطريق حتى آخِر عمرها[4] و موقفها هذا من المسلمين خفف من حدة الالام التي كان يعانيها المسلمون على عهد خليفة اوكتاي كيوك خان الذي لم يكن عهده خيراً للإسلام، وكيوك الذي تولى تربيته مسيحي هو قداق ثم وجد نفسه فيما بعد تحت تأثير أشد المعادين للإسلام الوزير المسيحي جينقاي[5]، فكان أمراً طبيعياً ان

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص197.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186-187.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص188. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198. شبولر: العالم الإسلامي، ص42.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198. اقبال: تأريخ مفصل ايران، ص176، وللمزيد من الامثلة على ما ابدته من اهتمام تجاه رعاياها من المسلمين وغيرهم ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186-187.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي،م1، ص237. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص184. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص678. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص251.

يخرج كيوك عن حيادية أبيه اوكتاي وجده جنكيزخان تجاه الرعايا بمختلف أديانهم[1] ويتقرب للمسيحيين الذين اخذوا يقصدونه من مختلف البقاع من بلاد الشام وبلاد الروم وبغداد وروسيا واوربا[2] وبتأثير من هؤلاء ازداد كُرهُهُ للمسلمين[3] حتى إنه أصدر قراراً بإذاء جميع المسلمين وجبهم بناءاً على نصيحة الراهب توين ولكن مهاجمة كلب للراهب الذي كان يحمل نص القرار لتعميمه على أرجاء الدولة وتمزيقه شر ممزق جعل كيوك يتشاءم ويعدل عن قراره[4]. وعلى اية حال فإن المكانة التي حازتها سيورقتيتي على عهد اوكتاي استمرت في عهد كيوك خان على الرغم من رفضها الزواج منه على عهد ابيه اوكتاي خان الذي كان قد اقترح عليها بعد وفاة زوجها تولوي الزواج من كيوك ولكنها اعتذرت بحجة انها تريد ان تتفرغ لتربية أبنائها[5] ولهذا أثرت سيورقتيتي ان تتعامل بعد هذا الرفض بحذر شديد مع كيوك المعروف عنه البطش والتهور تجاه من يشك في ولائهم له[6] ، وحضرت مراسيم تنصيبه للخانية مع ابنائها قبل الجميع مزدانين بأنواع الزينات كدلالة على فرحها بالمناسبة[7].

وبعد مباشرة كيوك مهام الخانية قرب ابنها منكو وجعله يقضي في قضية تآمر عمه اوتجكين[8] التي سبقت الاشارة اليها، وعندما قام كيوك بفحص ما للأسرة المالكة من

---

(1) عن الموقف الذي اتخذه جنكيزخان وابنه اوكتاي تجاه الرعية بمختلف أديانهم ينظر ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص251.
(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص237.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص184-188.
(4) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص679. تركستان نامه، ص1007.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص171.
(6) عن شخصية كيوك العدائية ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص231 . الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182-188. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص676.
(7) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص230.
(8) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص234-235. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

موارد مالية كان قد لاحظ مخالفات خطيرة ارتكبها أغلب الأمراء باستثناء سيورقتيتي وابنائها فقد اتضح انهم وحدهم قد تصرفوا على أساس الأمانة التامة[1].

وهكذا لا يوجد هناك ما يشير إلى حدوث ما يسيء إلى أبنائها غير ان هذا لم يمنع من امرأة ذكية تفهم في السياسة من ان تقتنص الفرصة السانحة من اجل ايصال ابنها للخانية من خلال ادراكها بأن مفاتيح هذا الأمر بيد عميد الأسرة الجنكيزخانية باتو بن جوجي صاحب بلاد القفجاق[2] فأخذت التقرب منه بعد ان ادركت ان صحة كيوك في تدهور سريع[3] وان كيوك يضمر الغدر بباتو[4] ولهذا ما ان تحرك كيوك تجاه باتو حتى اعلمت الأخير بالأمر وشاءت الاقدار أن يتوفى كيوك في 9 ربيع الثاني سنة (647هـ/1249م) ليتجنب الطرفان القتال بوفاته ولتحصد سيورقتيتي من بلاغها هذا العرفان من باتو[5] الذي سيكون له دور مهم في ايصال ابنها للخانية.

بوفاة كيوك خلا منصب الخانية من شاغله فاتجهت الانظار نحو باتو في تقرير من يتولى تدبير شؤون الحكم لحين اختيار من يخلف كيوك على منصب الخانية، ولم يحدث في حياة كيوك ان اختار ولياً للعهد ليخلفه وهذا ما زاد من تعقيد امر الاختيار ولاسيما ان

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص183.

(2) عن مكانة باتو كعميد للأسرة الجنكيزخانية وصاحب القرار في توجيه شؤون المغول ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص121، 198 – 199، 202، بارتولد: مادة باتوخان، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص256 – 257.

(3) عن مرض كيوك واسباب تدهور صحته ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص188.

(4) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص680. بارتولد: مادة باتو خان، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص256.

Boyle: The Mongol World Empire , p. 340

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185. ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج5، ص529. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص313. الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص391. زامباور: معجم الانساب، ص306.

Saunders: The History of the Mongol Conquests, London, 1977, p.156.

الأمراء سبق لهم ان تعهدوا لكيوك[1] ان لا تخرج الخانية عن نسل عائلة اوكتاي خان وكان الوحيد الذي لم يعطِ مثل هذا التعهد هو باتو بحكم انه لم يحضر ((القوريلتاي)) الذي فيه جرى تنصيب كيوك للخانية بعد قسم يمين الولاء[2] ولذلك كان باتو في حل من هذا الأمر ومع ذلك كان باتو اكثر الأمراء حرصاً على التقيد بالاصول المغولية التي تقتضي ان تتولى الزوجة الاثيرة[3] او الابن الاصغر للخان المتوفى مقاليد الحكم لحين عقد ((القوريلتاي))[4] الذي فيه يتقرر من يحكم دولة المغول، وهكذا فوض باتو أرملة كيوك اوغل غايميش بتدبير مصالح البلاد، مع كبار أمراء الدولة ولاسيما مع الوزير جينقاي[5].

لم تحسن اوغل غايميش حكم البلاد اذ انشغلت في معظم أوقاتها مع السحرة وخرافاتهم تاركة امر شؤون الحكم لوزيرها جينقاي ولولديها اللذين تضاربت مصالحهم ((فصار في المكان الواحد ثلاثة بلاطات للحكام)) فاختلت الامور وافلت الزمام[6] ولتدارك الحال طلب باتو من كافة أمراء البيت الحاكم يدعوهم للاجتماع في الاقماق

---

(1) عن هذا التعهد ينظر. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 182. بارتولد: مادة باتو خان، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص257.

(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص676، 680.

(3) عن مكانة المرأة المغولية ودورها السياسي وتقلد مهام الحكم خلال الفترة الانتقالية، ينظر: قداوي: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، م46، 1999م، ص142.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص199.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص240. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص285. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص242. عمران: المغول وأوربا، ص55. شبولر: العالم الإسلامي، ص42.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186. واكيم، سليم: امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، ص242.

الذي يبعد مسيرة سبعة ايام عن قيالق التي تقع بنواحي جبال الاطاو في سهل القفجاق للتشاور حول وراثة العرش[1].

وهنا أسرعت اوغل غاميش وتبعها بعدَها آبناها إلى مقر الاجتماع[2] أما أبناء اوكتاي وجغتاي أبوا الاستجابة لطلب باتو قائلين إن ((اونان وكلوران - مقاطعتين في منغوليا - هما الموطن الاصلي وحاضرة جنكيزخان ولسنا ملزمين بأن نخطوا خطوة إلى دشت القفجاق))[3] اما سيورقتيتي فإنها استغلت الموقف لتكرر دعمها لمواقف باتو ولتظهر انها لا ترفض له طلباً بأن دعت ابنها منكو بالقول ((ما دام الأبناء - وتقصد أبناء اوكتاي وجغتاي - قد خالفوا الاخ الاكبر باتو ولم يذهبوا اليه، اذهب انت مع اخوتك، وقم بعيادته)) فتوجه منكو وفق اشارة والدته قاصداً باتو الذي اثنى عليهم بالاجلال والتعظيم ممّا اثار حفيظة باقي الأمراء[4].

وبعد مداولات في امر اختيار الخان اظهرت اغول غاميش ميلاً ليكون شيرامون الذي سبق ان اختاره اوكتاي ولياً للعهد ليكون خاناً من أجل تطبيق العهد الذي قطعه الأمراء بأن يبقى الحكم في أسرة اوكتاي[5] وجاء تفضيلها لشيرامون نكاية بولديها الصغيرين في السن واللذين كانا قد خرجا عن طوعها وعاثا فساداً[6] ولكن اعتراض باتو

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص681. اقبال: تاريخ المغول، ص176.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص193. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص682. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص143. واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص243.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص199.

(5) اقبال: تأريخ المغول، ص175.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186.

على هذا الترشيح أفسد هذه الرغبة الأمر الذي دفع أغول غاميش ومن قبلها ولديها على الانسحاب من المؤتمر والعودة إلى قراقورم[1].

وهكذا، أحدث غياب اولاد اوكتاي وجغتاي وانسحاب اغول وولديها انقساماً فاضطر باتو الى تأجيل اتخاذ قرار لزمن اخر لغياب الاجماع الذي كان المغول يحرصون عليه كي لا تتصدع دولتهم.

تدهورت أحوال البلاد بفوضى سياسية عارمة بعد هذا المؤتمر[2] وأخذ الأمراء يحكمون ويتصرفون على هواهم من غير استشارة أحد أما عليّةُ القومِ فأنهم يميلون نحو الأمراء الذين يطيب لهم الميل نحوهم[3]، وقد ازدادت الفرقة بين الحكام الثلاثة مع مرور الأيام ويصف الحالة الجويني بالقول ((واستمال كل واحد منهم بعضاً من الاصدقاء والاقرباء حتى فشى امرالخلاف وتجاذبته الاهواء وانحازوا عن جادة الصواب، وانعدمت حينئذ الحيلة لدى - الوزير - جينقاي وعجز عن رتق الامور، وتاهَ عن الطريق الذي يساعده على تهدئة الازمة لعدم انصياعهم لنصائحه فقد استبد الولدان بآرائهما الفجة في حين ان غاميش أبدت استعدادها لردع أهل الرأي والصواب مسايرة هواها))[4].

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص241، م2، ص193. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص682.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201. واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص242.
Boyle: The Mongol World Empire , p.340.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص242. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186.

(4) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص242. وينظر كذلك واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص242.

وأرسلت هي وابناها إلى باتو تحذره من أن يختار احداً دون ارادتهم مدفوعين في ذلك بتحريض من قداق الذي كان مستشاراً لزوجها ومن أشد اعداء باتو[1] ولوضع حدٍ لهذه الفوضى اختار باتو ابن عمه منكو بن تولوي كأفضل مرشح للخانية[2] وارسل من يعلم الأمراء وزوجاتهم من الأسرة الحاكمة ان اختياره لمنكو خان جاء لأن ((منكو هو من بين الأمراء الانجال قد رأى بعينه قوانين جنكيزخان ومراسيمه وسمعها بأذنه)) واضاف ((وهو من بين الأمراء الانجال له الاستعداد والأهلية للخانية لأنه رأى الدهر خيَرهُ وشرّه وذاق كل عمل حلوه ومره، وقاد الجيوش عدة مرات إلى اطراف، كما أنه يمتاز على الجميع بعقله وكفاءته... وإن مآلهُ من وقار واحترام في نظر اوكتاي وبقية الأمراء الانجال والجنود كان ولا يزال على اتم وجه، وقد ارسله القاءان – يقصد اوكتاي- كما ارسل شقيقه كولكان وابنه كيوك معي، أنا باتو ومع اورده وأسرة جوجي كلنا دفعة واحدة إلى ولاية القفجاق والممالك الواقعة في تلك المناطق لكي نستولي عليها فأخضع منكو قبائل الاوليريك والقفجاق والزوقيناقين والجركس، كذلك قبض منكو على باجمان قائد القفجاق وعلى بومفاس قائد قبائل الجركس وعلى اجيس.. فالمصلحة تقتضي ان نجلسه على عرش الخانية))[3].

وادراكاً منه ان اختياره سيلقى معارضة عارمة من بعض أفراد الأسرة الحاكمة وعلى رأسهم اغول غايميش وولداها وأبناء اوكتاي وجغتاي فأنه دعا إلى مؤتمر مصغر حضره اخوة باتو وهم اورده وشيبان وتركاي وجيمع ابنائهم ونسائهم وقراهولاكو من

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص243. واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص242.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص682. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص143 .

Boyle: The Mongol World Empire. p. 340.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص199-200.

أبناء جغتاي ومنكو واخيه وبعض الأمراء من قادة الجيش، واتفق هؤلاء على اجلاس منكو على عرش الخانية[1].

وكالعادة المتبعة كان على منكو ان يأبى ويعارض، وأخيراً وقف أخوه موكاي اغول وقال ((لقد تعهدنا كلنا في هذه الجمعية وقررنا كتابة الا نحيد عن اوامر باتو فكيف يعدل منكو عن رأيه الصائب)) فاستحسن باتو هذا القول والتزم منكو بهذا القرار ((وعندئذ نهض باتو جرياً على المعتاد وحل جميع الأمراء احزمتهم ورفعوا قلانسهم وجثموا على ركبهم دلالة على الطاعة ثم بايع جميع الحاضرين منكو))[2].

انتشر خبر تنصيب منكو خاناً أعظم في جميع أرجاء الدولة[3] وهنا أخذت والدة منكو سيورقتيتي في استمالة الأمراء والعشائر ممّن لم يحضر المؤتمر وبالسبل كافة تدعوهم المشاركة في القوريلتاي القادم لأجل الحوز على تأييد الجميع غير انها جوبهت برد فعل عنيف من قبل أبناء أسرة اوكتاي وكيوك وأبناء جغتاي وييسومونكا[4] بن جغتاي وهكذا انقسمت الأسرة الحاكمة قسمين الطرف المعارض تمثل بعائلة اوكتاي وجغتاي في مواجهة عائلة جوجي وتولوي ومرشحها منكو، حيث أرسل المعارضون الرسل عدة مرات يقولون ((إننا بعيدون عن هذا الاتفاق ولسنا راضين عن هذا الميثاق، وان الملك يصل

---

(1) ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص261. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص200. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389. اقبال: تأريخ المغول، ص176. القصاب: مغول القفجاق، ص71. بارتولد، مادة باتو، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص257.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص200.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص197.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص197. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص682. اقبال: تأريخ المغول، ص176. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389.

الينا بالارث، فكيف نعطيه شخصاً آخر؟))[1]. فرد عليهم باتو قائلاً ((لقد فكرنا في هذا الأمر بموافقة أعضاء الأسرة الحاكمة انجزنا بصورة لا يمكن فسخها ولو لم يتيسر التصرف على هـذا الوضـع، وتقلـد شـخص اخـر هذا المنصب غير منكوخان، لاختلت امور السلطنة وصارت إلى حالة لا يمكن تداركها، واذا تأمل الأبناء هـذا الأمر ونظروا اليه نظرة المتبصر بعواقب الامور، لاتضح انه قد روعي فيه جانب الأبنـاء والأحفـاد لأن تـدبير شؤون مثل هذاالملك العريض الفسيح الذي يمتد من الشرق إلى الغرب لا ينصلح بقوة سواعد الاطفال))[2].

لم يحصل بموجب هذه الاتصالات اتفاق، وبقيـت سـيورقتيتي ترسـل الرسـل بهـدف الاقنـاع دون استجابة ومضى على هذا الأمر عامان وأمور البلاد تزداد تدهوراً. ولوضع حـدِ لـذلك أخـذ بـاتو يلجأ إلى صيغة الوعيد والتهديد[3] كما أمر أخويه بركة وتوقا تيمور وفي صحبتهم منكوخـان ومعهـما جيش جرار بالتوجه إلى كوران موضع قريب من قراقورم ليعقدوا هناك ((قوريلتـاي)) عامـاً وطلـب من جميع الأمراء الحضور لاعلان ولائهم لمنكو والزم باتو اخويه بقطـع رأس كـل مـن يخـالف هـذا الأمر[4] وإزاء هذا القرار تسارعت المراسلات بين الجميع بهدف الحضور كي لا تطاح الـرؤوس بعـدما عرفوا ان لا حيلة لهم بالامتناع وهكذا غادر مقراتهم جمع من أمراء كيـوك وبمعيـتهم ييـسو حفيـد جغتاي وشيرامون ومنكدو حفيدا اوكتاي والتحـق بهـم جميـع أبنـاء اخـوة جنكيزخـان وقراهولاكـو

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص197. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص201.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201.
(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص198. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201 – 202. قزويني: تأريخ كزيدة، ص587.ابـن خلـدون: تـأريخ ابن خلدون، ج5، ص529. القلقشندي: صبح الاعـشى، ج4، ص313. العـزاوي: تـأريخ العـراق بـين احتلالـين، ج1، ص143. شاكر:التأريخ الإسلامي، ج7، ص141.

بن جغتاي وقدان بن اوكتاي وخواجة بـن كيـوك، حـضر كـل هـؤلاء ليجتمعـوا مـع بقيـة الأمـراء المؤيدين لمنكو من أبناء عائلة جوجي وتولوي والمدعويين من بقية الزعامات ليعلن الجميع موافقتهم على خانية منكو[1] وكدلالة على ذلك رفع الجميع القلانس والقـوا الأحزمـة عـلى اكتـافهم وركعـوا تـسع مـرات واجلسوا منكو على سرير الحكم في منطقة كوران وذلك في شهر ربيع الاخر سنة (649هـ/1251)[2]. بعـدها أذن منكو بالاحتفال لمدة أسبوع ابتهاجاً بالمناسبة[3] وبـذلك انتقـل الحكـم إلى اولاد تولـوي الـذين يمثلـون الفرع الثاني من أسرة جنكيزخان.

لم تكن نية الأمراء المعارضين صادقة عندما منحو يمين الـولاء لمنكـو[4] اذ قبـل ان تنقـضي ايـام الاحتفالات السبع دبر البعض من هؤلاء مؤامرة لقلب نظام الحكم عـن طريـق اغتيـال منكـو اشـترك فيها شيرامون وناقو وتوتوق والثلاثة من احفاد اوكتاي - احضروا عدة عربات محملة بأكداس السلاح والعتاد ومغطات بالمأكولات والمشروبات ليدخلوها إلى مقر منكو بدعوة المشاركة لتقـديم التهنئـة في المأدبة ولكن تعطلت احدى العربات ليطلب صاحبها من احد المـارين مـساعدته في اصـلاحها فوقـع نظر هذا الشخص على الاسلحة، وتظاهر وكأنه لم يرى شيئاً وعنـدما فـرغ مـن الاصـلاح ودع صـاحب العربـة دون ان يثـير الـشكوك، وكانـت خطـة المتـآمرين انهـم في اثنـاء الحفـل وعنـدما يـصل منكـو

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص201-202. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفـاء جنكيزخـان))، ص200. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص143.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص202. ابن العبري: تأريخ الدول الـسرياني، ص8. الهمـذاني: جـامع التـواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص202 - 203. العزاوي: تأريخ العراق بـين احتلالـين، ج1، ص143. اليوسـف: علاقـات بـين الشرق والغرب، ص196. ويشير الصياد في كتابه: المغول في التأريخ، ص208 بـأن تـأريخ انتخـاب منكـو هـو في شـهر ذي الحجـة سـنة (648هــ/ 1250م) دون ذكـر المـصدر الـذي اعتمـده ويبـدو لنـا ان هـذاالتأريخ يعـود إلى انتخابـه في ((القوريلتاي)) الأول الذي حضره عدد قليل من الأمراء والذي اشرنا اليه في متن البحث.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص203.

(4) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389.

واتباعه درجة الثمالة من السكر ينقضون عليه ثم يستدعون الفرقة العسكرية المكونة من خمسمائة فارس والتي كانوا قد تركوها خارج البلاط للسيطرة على مقر الحكم،ولكن فجأة اقتحم البلاط الرجل العارف بالأمر ليعلن بثبات ودون خوف امام منكو قائلاً ((لقد شغلتم باللهو والطرب على حين ان الاعداء قد نهضوا لمهاجمتكم وهم يترقبون الفرصة وقد أعدوا أسباب القتال)) ثم سرد على منكو كل ما شاهده[1] وهكذا اتخذ منكو التدابير العاجلة بأن منع الدخول والخروج من مقر الاحتفال بالقبض على الأمراء الثلاثة دون مقاومة كما ارسلت فرقة عسكرية كبيرة تمكنت من احتواء الجند دون مقاومة والقاء القبض على كافة الأمراء المتعاونين معهم[2] ممّن كانوا في الفرقة المعدة للانقضاض على منكو[3]، في حين أصدر منكو العفو عن جميع الخدم والجنود الذين كانوا مع هؤلاء وطلب منهم ((ان يذهبوا إلى اماكنهم بالالاف والمائة والعشرة لانهم اذا مكثوا هنا فسوف يقتلون))[4].

أخضع منكو جميع المتآمرين للمحاكمة فأقروا جميعاً بذنبهم[5] وهنا استشار منكو كبار الأمراء من العائلة المالكة بخصوص الاجراء الواجب تنفيذه بحقهم فكان رأيهم انزال القصاص بالقتل بحقهم، ومع ذلك تردد وأخذ يفكر زمناً في امرهم بعد ان أودعهم في السجن، وبعد مدة دعاكافة الأمراء وأركان الدولة في بلاطه بإسداء نصيحة بما يرونه

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 209-210. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص205-207، واشار إلى هذه الرواية باقتضاب ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. وينظر كذلك العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص144- 145.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214.

(3) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص9.الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص207. شبولر: العالم الإسلامي، ص42 وقد ذكر الجويني اسماء عدد كبير من هؤلاء الأمراء ولا مجال هنا لذكرهم، عن ذلك ينظر تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص207.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214. بارتولد: مادة باتو، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص257.

مناسباً في حق المتهمين، فأخذ كل منهم يتفوه بكلام لم يكن له اثر في نفس منكو، وكان من جملة الحضور الصاحب محمود يلواج الذي تنبه له منكو وقال له ((لما لا يقول الجد شيئاً؟)) فرد يلواج قائلاً ((الناس في حضرة الملك ان يكونوا اذناً تسمع فذلك خير من أي يكونوا لساناً يتكلم لكني اتذكر حكاية اذا اذن لي - الخان - فسوف اقولها فقال له منكو قُلْ - فقال يلواج لما استولى الاسكندر - المقدوني - على اكثر الممالك اراد ان يسير إلى الهند غير ان أمراء الدولة واعيانها خرجوا على طاعته ورفضوا متابعته فأخذ كل منهم يعلن الاستقلال والاستبداد فلما عجز اسكندر عن اقناعهم ارسل رسولاً إلى بلاد الروم لدى وزيره المنقطع النظير ارسطو طاليس وأطلعه على تمرد امرائه وعصيانهم وسأله ما التدبير في هذا الأمر ؟.. فدخل ارسطو ومعه الرسول إحدى الحدائق وأمر بأن تجتث الاشجار الكبيرة من جذورها وتغرس في موضعها الشجيرات الصغيرة الضعيفة، ولم يكن يجيب على ما طلبه الرسول وعندما مل الرسول الانتظار عاد إلى الاسكندر وقال له انه لم يعط أي جواب، فسأله الاسكندر ماذا شاهدت منه ؟ فأجاب دخل إحدى الحدائق وأخذ يقتلع الاشجار الضخمة ويغرس مكانها شجيرات صغيرة فقال الاسكندر لقد أجاب وانت لم تفهم مقصوده، ثم أهلك الأمراء المتسلطين الذين كانوا ثائرين ونصب أبناءهم مكانهم))[1].

أعجب منكو خان بذلك القول، وعرف انه ينبغي البطش بالأمراء المعتقلين واحلال فئة أخرى مكانهم وكانوا سبعة وسبعين أميراً قتلوا جميعاً[2].

اما أغول غايميش التي امتنعت منح الولاء لمنكو ولم تحضر القوريلتاي فارسل منكو رسولاً يستدعيها[3] فرفضت المثول امامه واجابته قائلة ((انكم معشر الأمراء الانجال قد تعهدتم وقدمتم وثيقة خطية بأن يظل الحكم دائما في أسرة اوكتاي خان والا تخالفوا

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص209-210.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص217.

اولاده - ولكنكم الان قد نقضتم العهد ولم تنفذوا هذا الكلام))[1] فاستشاط منكو من جوابها هذا وعلى الفور ارسل من قبض عليها وعلى بعض اتباعها[2] وعلى والدة شيرامون الخاتون قداقاج[3] حيث اتهمهم بالاعداد لتنصيب خان اخر بدلاً عنه وما ان وصلت اغول غايميش حتى امر بقتلها خنقاً وبقية من كان معها وذلك في رمضان سنة (650هـ/1252م)[4].

خامساً:منكوخان يواصل تصفية من اتهم بالتآمر عليه

بعد تصفية الـ 77 أميراً بقتلهم مع أوغل غايميش[5]، اراد منكوخان ان يعفو عن الباقين[6] ولاسيما عن أبناء عمومته ممن كانوا على صلة بالمتآمرين عليه سواءٌ بفعل مباشر او بالتحريض او ممّن عارض انتخابه خاناً وجميعهم الصقت بهم تهمة التآمر غير ان مستشاريه والموالين له من أبناء أسرته والأمراء والقادة قالوا له ((ينبغي ان لا تتهاون في الخصم... ويبقى جذر الشجرة مراً، وان سقيتها بماء الخلد))[7] حينها أدرك منكو ان مثل هذا الرأي نابع من الاخلاص وليس من منابع النفاق فأمر بقتل كل أمراء السوء[8]

---

(1) الهمذاني:جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، 212. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص9. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص144. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص196. عبيد، اسحق: الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس، مطبعة دارالكتب، بيروت، ص54. اقبال: تأريخ المغول، ص177.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210-212.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214 .

(7) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214 – 215.

(8) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 215.

ممّن كانوا على صلة بالمتآمرين، وبما ان معظم هؤلاء كانوا طليقي الايدي فاستوجب الأمر ارسال قوات للقبض عليهم وتنفيذ أمر الخان بحقهم.

وطبيعي ان المتآمرين ومؤيديهم كانوا في معظمهم من أسرتي جغتاي واوكتاي أبناء جنكيزخان وهذا يعني ان منكو اصدر امراً باستهداف هاتين الأسرتين ومناطق نفوذهما كي لا تقم لها قائمة ثانية وتهدد نفوذ عائلة منكوخان مستقبلاً وهذا ما حدث إذ ارسل منكوخان بجيشين عظيمين إلى الغرب قاصداً اولوس جغتاي واوكتاي أحدهما مؤلف من عشر تومانات من الجند بقيادة برنكوتاي لينيط به مهمة احتلال المناطق الواقعة بين قراقورم، وبيش باليغ امتداداً إلى حدود قياليغ. اما الجيش الثاني الذي كان يتألف من تومانين[1] فقد أرسل إلى بلاد القرغيز وكم جهود[2] وهاتان المنطقتان كانت تتحكم بهما اوغل غايميش زوجة كيوك ابن اوكتاي التي سبق ان اعدمت غير ان اتباعها بقوا موالين لها ومعارضين تنصيب منكو للخانية وكان على رأس هؤلاء القائد العسكري ايلجكتاي[3] بن اوكتاي اشهر قادة المغول الذي اشترك في العديد من الحملات العسكرية غرباً وشرقاً ولكن في النهاية سقط فريسة تآمره على منكو عندما وقع اسيراً بيد

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 217.

(2) كم جهود: نهر في بلاد منغوليا حيث تنتشر حوله قبيلة النايمان وقبائل مغولية أخرى. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص217، والهامش رقم (3).

(3) عن شهرة ايلجكتاي كمحارب ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص31، 63.

برنكوتاي الذي أرسله إلى منكو ليقطع رأسه وقدميه[1]، وتبعه آبنُهُ[2] وأمراء آخرون حوكموا ثم قتلوا[3].

اما اولوس جغتاي الذي كان يمتد على بلاد ما وراء النهر فكان زعيمه ييسو الذي سبق وان نصبه كيوك حاكماً عليه بدلاً من قراهولاكو بحكم الصداقة التي كانت بينهما حيث كنا قد اشرنا إلى ذلك من قبل وقد بقي ييسو وفياً لعائلة كيوك عندما عاضد اوغل غايميش في سعيها لحصر الخانية بعائلة زوجها ولذلك شارك الاخرين العداء لمنكو وعندما تمكن منكو من اوغل غايميش واتباعها في منغوليا توجه لتصفية الحساب مع ييسو الذي ارسل عليه منكو جيشاً وضع على رأسه قراهولاكو فتمكن هذا من الايقاع بييسو ليأسره[4] كما القي القبض على زوجته توقاش خاتون ويبدو انها كانت من اشد المحرضين لزوجها ضد منكو ولهذا اصدرت الاوامر بقتلها امام زوجها بأن تركل وتسحق عظامها تحت سنابك الخيل تشفياً لما كانت تحمله من حقد دفين على عائلة باتو ومنكوخان[5] ثم الحق بها زوجها وعدد من اتباعه[6].

وهنا يشير بارتولد بأنه بعد مقتل هؤلاء صدرت الاوامر بقتل جميع رجال بَيتَيْ اوكتاي وجغتاي حيث قضي على معظمهم، أما اطفالهم فقد تم جمعهم في بلاط الخان

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 215. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210.

(2) ضمت قائمة الـ 77 أميراً الذين قتلهم منكو اثنان من أبناء ايلجكتاي ابن اوكتاي خان وبذلك تكون أسرة ايلجكتاي قد قتل منها 4 افراد الاب وثلاثة أبناء لاشتراكهم في هذه المؤامرة عن ذلك ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210-212.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219.

(4) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

حيث وجه منكو بتربيتهم بما يتوافق مع رغباته لا كما يريد لهم اهلهم[1]. واذا كان العقاب قد شمل بالقتل من تآمر على منكو من الأسرة الملكية الحاكمة فإن عدداً آخر من الأمراء من خارج بيت الأسرة هم الآخرون وقعوا ضحية هذا التآمر بحكم عملهم تحت سلطة هؤلاء او انهم كانوا من المحرضين لهم ومنهم الوزير جينقاي الذي اضطر تأييد اوغل غاميش بحكم انه كان وزيراً لزوجها كيوك ومن قبل لوالده اوكتاي[2] فليس من الوفاء العمل ضدها ولذلك لم يؤيد وصول منكو للخانية فدفع بذلك رأسه ثمناً لموقفه هذا، اما قداق الذي شغل منصب الحاجب عند اوغل غاميش فكان من اشد مناصريها وأكثر الأمراء من غير أبناء العائلة الملكية معارضة لتنصيب منكو للخانية[3] وقد وصفه الهمذاني ((بأنه المهيج لتلك الفتنة والمثير لغبار تلك الوحشة))[4] لذلك كان قتله أمراً مفروغاً منه إذ سلما الاثنين بعد القبض عليهما إلى أحد الأمراء الذي سبق ان الحق الضرر به فقتلهما شر قتلة[5] وذلك في رمضان سنة (650هـ/ 1252م)[6].

وتبع الاثنين ايضاً ايديقوت رئيس الايغور الذي كان من أشد المناصرين لأوغل غاميش وفي عهده أصاب المسلمين في بلاد الايغور الكثير من الضرر ولاسيما في عاصمة الايغوربيش باليغ وقيل ايديقوت دبر بالاتفاق مع اغول غاميش التي هي الأخرى كانت تناصب الإسلام العداء بقتل جميع المسلمين ببلاده في اثناء صلاة الجمعة، وشاءت إرادة الله ان تقتل اوغل غاميش قبل تنفيذ رغبتها ليلقى القبض على ايديقوت وقد قام منكو خان بنفسه بمحاكمته.

---

(1) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص689.

(2) عن عمل جينقاي كوزير عند اوكتاي وكيوك ينظر بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص662 ، 678.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212.

(4) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص110.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212.

وكانت احدى التهم الموجهة اليه التآمر عليه ومحاولة قتل المسلمين من رعايا الخان وباعترافه عند مواجهته بالشهود أقر ايديقوت بجرمه فحكم عليه بالاعدام وتم تنفيذه على يد أخيه اوكنج وأُعدِمَ معه آثنان من كبار أمرائِهِ[1].

وبتصفية هؤلاء يكون قد أسدل الستار على جميع المتآمرين لينصرف منكوخان بعد ذلك في ترتيب شؤون دولته[2] والقيام بأضخم حملتين عسكريتين بهدف التوسع شرقاً وغرباً الأولى استهدفت استكمال فتح ما تبقى من بلاد الصين والثانية لاسقاط الخلافة العباسية في بغداد[3] وقبل ان يحقق احلامه في كلا الجبهتين كانت الاقدار بالمرصاد له ليتوفى وهو في طريقه إلى فتح أقاليم الصين الجنوبية في ولاية تنكياس وذلك في محرم سنة (655هـ/ 1257م)[4] لتنشغل بعد ذلك الأسرة الحاكمة في صراع أسري حول من يشغل خلافة منكوخان.

سادساً: أريق بوقا – قوبلاي والحرب الأهلية على خلافة منكوخان:

أحدثت وفاة منكو خان المفاجئة صدمة للعائلة الحاكمة ويبدو ان أسرة منكو لم تكن مهيأة لمواجهة موقف من يخلفه لأنها كانت منشغلة بأمور تتعلق بدفنه والتعزية[5] ليستغل ذلك أريق بوقا شقيق منكو الذي كان منكو قد عينه نائباً عنه وابقاه في قراقورم اثناء حملته على الصين الجنوبية[6] بأن اعتبر نفسه بمثابة خاناً للمغول[7] دون ان يحصل

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2،ص220. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص213. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص685-686.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص214.

(3) كوك، ريجا: بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، ط1، بغداد 1962 م، ج1، ص200-201.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص223-225.

Boyle: The Mongol World Empire , p. 341.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص225.

(6) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139.

(7) قداوي: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، ج4، م46، ص154

Boyle: The Mongol World Empire , p. 342.

على تفويض بمؤتمر ((قوريلتاي)) كما جرت العادة عند المغول، وفي المقابل اعلن قوبلاي الذي كان يقود حملة عسكرية مع أخيه منكوخان في الصين الجنوبية نفسه خاناً [1] أيضاً وهذا يعني ان الأسرة الحاكمة انقسمت بين الابن الاكبر قوبلاي والابن الاصغر أريق بوقا، وأصبح لأول مرة للمغول خانان الأول في منغوليا والثاني في الصين.

وفي حقيقة الأمر فإن كلا الخانين لا يمتلكان الشرعية في زعامتهما للمغول ذلك لان العرف المغولي يقتضي ان تكون هناك فترة انتقالية بين وفاة الخان وانتخاب خان جديد خلالها يحكم ابن الخان المتوفى او زوجته الأثيرة[2] وهذا ما لم يحدث على الرغم من ان زوجة منكو الخاتون قوتوقتاي وابنيها الاكبر اسوتاي والاخر اورونكتاش كانا موجودين في قراقورم حيث اقاما مراسيم العزاء لمنكو[3] غير انه لا يوجد ما يشير إلى مطالبتها بالخانية لابل المعلومات تؤكد انهما وقفاً مع باقي أمراء قراقورم إلى جانب أريق بوقا ضد قوبلاي[4] وهذا ما سنلاحظه من تطور الاحداث وما يستغرب له كذلك ان الصراع الذي تفاقم بين الاخوين قوبلاي وأريق بوقا الذي استغرق سنوات عديدة[5] لم يشترك فيه مغول القفجاق من عائلة باتو ولا مغول ايران من عائلة هولاكو شقيق الأخوين قوبلاي وأريق بوقا[6] وربما حدث ذلك لبعد المسافة بينهما اذ كان هولاكو

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السر ياني، ص139

Boyle: The Mongol World Empire , p. 341 . Favre: Larussla Etla Turaaie ((Pariss)) p. 41.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص132. الهامش رقم (4).

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص225.

(4) يشير رانسيمان ان أمراء العائلة الملكية الحاكمة في قراقورم كانت تساند أريق بوقا وتؤيد اعتلاءهُ عرش الخانية ينظر تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص531.

(5) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139.

Favre, LaRussia, p 41.

(6) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.

عندما علم بوفاة اخيه منكو كان يحارب في بلاد الشام سنة (658هـ /1260م)، وكان قد مضى اكثر من سنتين على الوفاة والصراع[1] اما مغول القفجاق فكان يتزعمهم خلال هذه الفترة بركة خان بن جوجي ومعلوم ان بركة كان قد اعلن إسلامه[2] وبإسلامه لم يعد يخضع شرعاً لحكم قراقورم الوثني فضلاً عن بعد المسافة وانشغال كلا الجانبين أي بركة وهولاكو في صراع انبثق بعد ان حمل بركة هولاكو مسؤولية قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة (656هـ/ 1258م) وقتل الاف المسلمين فأراد ان يثأر لهم[3] ولهذه الاسباب تعطل اشتراكهما في الحرب التي دارت بين قوبلاي وأريق بوقا.

وكانت بداية الصراع ان ارسل أريق بوقا إلى اخيه قوبلاي رسولاً يطلب منه ايقاف عملياته العسكرية في ولاية تنكياس والعودة إلى قراقورم لاداء مراسيم العزاء غير ان قوبلاي بدلا من الاستجابة لما طلب منه اخفى امره وواصل القتال في تنكياس حتى بلغ مدينة اوجو الصينية ليحتلها وفيها اقام مراسيم العزاء بوفاة أخيه منكو[4] وعلى ما يبدو ان عدم حضور قوبلاي إلى قراقورم وقبل ذلك عدم مصاحبته لجثمان أخيه إلى منغوليا وترك الأمر لزوجته قوتوقتاي وابنها اسوتاي[5]، كل ذلك ترك أثراً سيئاً في نفس

(1) قداوي: تحالف ملوك ارمينيا الصغرى وانطاكية الصليبية مع المغول، ص160.

(2) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك: الوافي بالوفيات، منشورات تشايزبفسبادن، ط2، 1981 م، ج10، ص118. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: تأريخ ابن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية، ط2، النجف، 1969م، ج2، ص312. ابن عربشاه، شهاب الدين احمد بن محمد: عجائب المقدور في اخبار تيمور، ط1، القاهرة، 1285هـ ص53. العيني: عقد الجمان في تأريخ اهل الزمان، تحقيق محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة، 1987م، ج1، ص362

. Favre: La russia , p. 40.

(3) الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو: خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سير الملوك، مكتبة المثنى، بغداد، ص291. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص449- 450.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص226، 246.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص226.

الزوجة والابن ليتخذا بعد ذلك موقفاً سلبياً من قوبلاي بعدم اعتراضهما على تنصيب أريق بوقا نفسه خاناً للمغول.

كرر أريق بوقا طلب حضور قوبلاي إلى قراقورم للتعزية، وهذه المرة عرض قوبلاي الأمر على الأمراء من أسرته فقالوا جميعاً ((ان هذا عين المصلحة وان الذهاب لواجب)) ولكن الظرف يقتضي ان ننصرف للراحة أولا كل إلى دياره ثم نجتمع ثانية ونحضر معاً التعزية[1] ويشير رشيد الدين الهمذاني ان طلب أريق بوقا كان القصد منه ان يعتقل قوبلاي وجميع الأمراء بمعيته حال وصولهم تمهيداً لتنصيب نفسه خاناً[2] ولكن افتقار أريق بوقا للخبرة السياسية لكونه لا زال شاباً يافعاً وتسرعه كان سبباً في إفلات قوبلاي لما أعد له من مصيدة، إذ ما أن وصل رسول قوبلاي إلى قراقورم وبلغ أريق بوقا بما اتفق عليه حتى قال جميع الأمراء الذين كانوا حاضرين ((إلى متى نستطيع ان ننتظرهم؟ وعلى اثر ذلك اتفق الجميع وأقروا قرارهم على اجلاس أريق بوقا على عرش الخانية)) [3] وتلك الجماعة كانت تتكون من أسوتاي واورنكتاش ابني منكوخان والغو حفيد جغتاي وناي‌متاي بن طغاجار وسبعة أمراء آخرين من أحفاد أبناء تولوي وأوكتاي بن جنكيزخان ذكرهم بالاسماء رشيد الدين الهمذاني مدعمين بعدد من الخواتين والأمراء من غير أبناء العائلة الملكية[4].

وبعد هذا التتويج أوفد المجتمعون الرسل إلى ولايات المغول الشرقية وأقوامهم وأشاعوا قائلين على لسان أريق بوقا ((ان هولاكو وبركة خان والأمراء من أسرة

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247.

(2) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247.

(3) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247- 248.

Favre: Larussia , P. 41.

(4) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247-248.

جنكيزخان من الاحفاد قد اتفقوا على اعتلائي عرش الخانية))[1] عدَّ قوبلاي ان أريق بوقا بعمله هذا قد شق عصا الطاعة وتمرد عليه[2] بوصفه كبير أسرة تولوي، وأبلغ الأمراء من أسرته ومن قادة الجيوش ما قام به أريق بوقا فجميعهم عدوا عمله غير شرعي وارسلوا من ابلغ أريق بوقا برأيهم[3] ولكن أريق لم يقبل بالتراجع، الأمر الذي دفع أمراء قوبلاي على تنصيب قوبلاي خاناً أعظم واجلسوه على كرسي العرش[4] في مدينة منك فو الصينية وذلك سنة (658هـ/ 1260م) وكان قد بلغ السادسة والاربعين من العمر وجرياً على رسومهم وعاداتهم أدوا مناسك الاحتفال وكتبوا وثائق خطية بتأييدهم له[5] ثم أوفدوا عنهم مائة رسول ليقولوا لأريق بوقا ((لقد تشاورنا نحن الأمراء الانجال والأمر اء معاً واجلسنا قوبلاي قاآن على عرش القاآنية))[6] والأمراء الانجال هم من العائلة الجنكيزخانية والتي يبدو أن كل واحد منهم ارسل من يتكلم بلسانه ليعلن لأريق بوقا التأييد لقوبلاي ولذلك كان هذا العدد الكبير من الرسل [7].

قتل أريق بوقا الرسل المائة[8] كناية عن رفضه لهذاالتتويج واعلان الحرب، فأمر بتجهيز جيش وضع قيادته لقراجا بن أودور وعدة من أمراء بيته وارسلهم لمحاربة

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص348. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.
(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص248-249.
(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص249.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص249. الصياد:المغول في التأريخ، ص217.
(6) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص249.
(7) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(8) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.

قوبلاي، فلما التقى الجمعان تحاربا فهزم جيش أريق بوقا فكان ذلك صدمة لأريق بوقا[1].

كانت العاصمة قراقورم تعتمد في مأكولاتها ومشروباتها على بلاد الصين حيث تجلب اليها الميرة بالعربات[2] فمنع قوبلاي ذلك فحدثت من جراء ذلك مجاعة فيها[3] لهذا كان ضرورياً ان يستعين أريق بوقا بتركستان ليعوض النقص، وكانت التركستان تابعة لاولوس جغتاي وكان يحكمها في هذا الوقت اورقنة خاتون زوجة قراهولاكو حفيد جغتاي[4] وكانت اورقنة تقف إلى جانب أريق بوقا،وقد قام قوبلاي بمحاولة الاستيلاء على اولوس جغتاي في التركستان وارسل لهذا الغرض أميراً من أمراء بيته هو أبيشقة بن بوري، ولكن انصار أريق بوقا قطعوا عليه الطريق ببلاد التنكوت الصينية ثم لم يلبث ان قتل بأمر أريق بوقا[5] وعلى غرار أخيه فإن أريق بوقا بدوره لم يعتمد على اورقنة وبدلاً من تعزيز علاقته بها أرسل أميراً عنه على رأس جيش ليضمن لنفسه احتلال تلك البلاد وانسيابية المؤن منها وليقطع ثغور جيحون على بركة وهولاكو اذا ما فكر في تأييد المطالب للاخ الاكبر قوبلاي[6].

وكان الذي كلف بانتزاع تركستان الأمير الغو بن بايدار بن جغتاي[7] الذي استطاع أن يجمع حوله أفراد أسرة جغتاي وانصارهم الذين انقلبوا على اورقنة خاتون لقتلها لزوجها قراهولاكو طمعاً بزعامة اولوس جغتاي [8] وهذا ما سهل لألغو مهمة

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص250 .
(5) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.
(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(7) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص254. فامبري: تأريخ بخارى، ص190 - 191.
(8) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص144.

السيطرة على بلاد ما وراء النهر بما فيه مدينة كاشغر وبخارى دون مقاومة لانضمام عسكر اورقنة إلى الغو[1].

ولم يكتفِ ألغو بما أحرز من مكاسب بل ارسل اوجر إلى خوارزم وسداي ايلجي إلى افغانستان وكانت القوة المغولية التي ارسلت للعمل بالهند في عهد منكوخان تحت قيادة سالي بهادر فأفلح سداي ايلجي في استمالة كبار عسكره حتى سلموه قائدهم وبهذا تأكد سلطان الغو على تلك البلاد[2] غير ان الغو كان يعمل بكل طاقته من أجل مصلحته الشخصية ولم يكن في نيته البتة تنفيذ رغبات سيده أريق بوقا. انكشف ذلك عندما ارسل أريق بوقا مبعوثين عنه إلى التركستان حيث جمعوا الأموال والمؤن والخيل والأسلحة وعندما هموا بالرحيل إلى أريق بوقا منعهم الغو ثم قتلهم وصادر ما جمعوه ووزعها على جنده ليعلن بعد ذلك الحرب على أريق بوقا[3].

وكان أريق بوقا خلال ذلك بأمس الحاجة للمؤن والسلاح فالعاصمة قراقورم اجتاحتها المجاعة، كما ان قوبلاي خان كان قد قاد جيشاً ضخماً بلغ به حدود قراقورم وهذا ما أربك أريق بوقا الذي غدا حائراً مع جيش له هزيل وجائع[4].

ولمواجهة الموقف أرسل أريق بوقا مبعوثاً عنه إلى قوبلاي يعتذر لأخيه عما فعل ويقول ((إننا نحن الاخوة الصغار قد ارتكبنا ذنباً مدفوعين بدافع الجهل وأخطأنا وانت أخي الاكبر تعرف الجزاء الذي تستحقه، وحيثما تأمر سوف اجيء، ولن اتجاوز فرمان أخي الاكبر وسوف أشبع الدواب وأسمنها ثم اتوجه إلى الحضرة))[5] إنطلت هذه الخدعة على قوبلاي الذي قال ((إن الصبية كانوا قد ضلوا الطريق لكنهم استيقظوا الان

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص254.
(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص700.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص254-255. فامبري: تأريخ بخارى، ص190.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص251- 255. فامبري: تأريخ بخارى، ص190 -191.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص251.

وتنبهوا وبلغوا درجة العقل والفهم وأقروا بـذنبهم)) وأمـر قـوبلاي قـسماً كبـيراً مـن عـسكره بـالعودة إلى الصين، كما سرح عدداً اخر من القطعات وأمر جندها بالعودة إلى اوطانها، وأبقى ابن عمه ييسونككة معه على راس مائة الف جندي منتظرين أريق بوقا[1].

ولكن أريق بوقا بعد ان سمن خيوله وأراحهـا لم ينفـذ كلمتـه ولم يـفِ بوعـده فـسار مـرة أخـرى لمحاربة قوبلاي وعندما اقترب من عسكره أرسل لقائد عسكر قوبلاي الأمير ييسو يقول لـه ((انني اجيء اليكم طائعاً)) ولكنه غافله وحمل عليه فجأة وهزمه هو وجنده وشتتهم وبالكاد استطاع ييسو الوصول إلى قوبلاي ليبلغه بأن ((العدو قد وصل)) فما كان من قوبلاي الا ان انسحب بما تبقـى لـه مـن جـيش إلى منطقة القرغيز في أعالي نهر الينسي في الصين وليفاجأ هناك باندلاع اضطرابات ضده، وبذلك تخلى قـوبلاي، مؤقتاً عن منغوليا لغريمه لحين القضاء على الاضطرابات هناك[2].

اغتنم أريق بوقا هذه الفرصة ليلتفت إلى عدوه في الغرب الغو الذي كان قد تحـسب لأريـق بوقـا وأعد له جيشاً قوامه مائة وخمسون ألف فارس[3] ليلتقي الجيشان عند بحـيرة سـوم كـول ((سـيرام)) غـير بعيدة عن مدينة يليكين وفيها الحق أريق بوقا هزيمة نكراء بجيش الغو، ويعود الفضل في ذلك إلى أسوتاي بن منكوخان الذي استدرج الغو إلى وادي ضيق يعرف بممر تلـكي لـينقض عليـه فاضـطر الغـو للهـرب إلى التركستان الشرقية وذلك سنة (662هـ/ 1264م)[4].

خيم أريق بوقا في منطقة الماليق ((وادي ايللي)) لقـضاء الـشتاء فيها،وهنـاك ارتكـب أريق بوقا مجزرة كبرى بحق جند الغو ورعايـاهم ممـن وقـع في الأسر وكـانوا بأعـداد كبـيرة جداً،وهذا ما أثار حفيظة أمرائه الذين قالوا ((إن أريق بوقـا يقتـل بـلا حيـاء جنـود المغـول

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص251- 252.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص252-253.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص254. فامبري: تأريخ بخارى، ص191.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخـان))، ص255. بارتولـد: تركـستان مـن الفـتح العـربي إلى الغـزو المغـولي، ص701.

الذين إدخرهم جنكيزخان)) ولهذا تخلوا عنه والتحقوا بقوبلاي[1] وفي ذات الوقت كان أريق بوقا قد ضيّقَ على أهالي الماليق التي كانت قد انتشرت فيها المجاعة لمصادرة أريق بوقا قمحهم وإطعامه لخيله غير أن هذا عادَ بالوبال على أريق بوقا لأن خيله التي تعودت على الحنطة مرضت في الربيع عندما أخذت إلى المراعي ونفقت كلها الا القليل[2] كما ان اورونكتاش بن منكو خان الذي كان على رأس فرقة عسكرية مرابطة في منطقة التاي في وادي يقال له جابقان موران في منغوليا مهمتها التصدي لأي تسلل قد تقوم به قوات من قوبلاي إلى منغوليا، حدث له تمرد قاده كبار أمراء جيشه الذين اشاروا عليه بالحفاظ على حياته اذا ما تبعهم مع بقية الجيش والانضمام إلى قوبلاي فوافقهم[3] كما ان ابن أريق بوقا استجاب لطلب عمه قوبلاي بأن ترك معسكر والده حاملاً معه ختم والده ((التمغا الكبير)) ليسلمه لعمه قوبلاي[4].

وبذلك يكون أريق بوقا قد بلغ حالة من الضعف ممّا جعل ألغو الذي استجمع ما كان قد تشتت من جيشه بان انتزع من أريق بوقا سمرقند وبخارى وأترار واستعان بمسعود بن محمود يلواج ليكون صاحباً لديوانه وأعاد اورقنة خاتون وأكرمها ثم تزوجها وأخذ يستعد للانقضاض على أريق بوقا ولكن الاقدار حالت دون ذلك ليتوفى في العام نفسه أي سنة (662 هـ/ 1264م) [5].

أما أريق بوقا الذي تخلى عنه الجميع باستثناء ابن اخيه أسوتاي بن منكوخان فلم يعد لهما مسلك الا التوجه إلى قوبلاي فأعلنا خضوعهما[6] وكانت الاجراءات المتبعة في

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص256. فامبري: تأريخ بخارى، ص191.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص256. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص701.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص257.
(4) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص701.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص144، 257. فامبري: تأريخ بخارى، ص191.
(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص258.

مثل هذه الحالات ان تجري محاكمتهما وهنا استسلم قوبلاي لعواطفه ولصلة الاخوة وحميميتها فقال مخاطباً أخاه ((يا أخي العزيز أكنا نحن على حق في هذا العناد ام أنتم ؟)) فأجاب أريق بوقا ((نحن في ذلك اليوم - وانتم هذا اليوم)) [1].

وبعد اجراءات شكلية للمحاكمة[2] عفا قوبلاي عنهما[3] وبعد سنتين من ذلك توفى أريق بوقا وذلك سنة (664هـ/1266م) اما قوبلاي الذي كان قد أقرت خانيته سنة (658هـ/1260م) في الصين والذي لم يعد هناك من ينافسه عليها بعد ان استسلم له أريق بوقا فغدا الامبراطور او الخان الأعظم للمغول[4] حيث اعترف به الجميع دون تردد وأخذت الوفود تصل من كل الولايات تعلن الولاء وفي مقدمتهم أمراء آل جنكيزخان[5] من البيوتات الاربعة - اوكتاي وتولوي وجغتاي وجوجي - وبذلك يكون الصراع قد انتهى بعد أن ذهبَ ضحيتُهُ عشرات الالاف من أمراء وجند ورعايا المغول.

سابعاً: قوبلاي خان ونايان ومعركة الدم

انشغل قوبلاي خان بعد ان استقر حكم الامبراطورية المغولية له باعتراف الجميع به خاناً أعظم للمغول بما فيهم أريق بوقا بمواصلة ما كان قد بدأه شقيقه من قبل منكو خان للسيطرة على كامل ولايات الجنوب الصيني[6]. وتطلب تحقيق هذا الأمر حملات

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص258.

(2) فصل رشيد الدين الهمذاني كثيراً في الحديث عما جرى في هذه المحاكمة من أقوال المتهمين والشهود وللاطلاع ينظر، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص258 – 263.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص261 – 262.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص262. واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص175.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص262.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص267-269.

عسكرية متتالية امتدت بحوالي ستة عشر عاماً حتى تمكن سنة (688هـ/1288م) من الاستيلاءعلى تلك الولايات وانهاء حكم أسرة سونج على أقاليم الصين الجنوبية، وبذلك يكون قوبلاي خان اول امبراطور يستطيع ان يوحد الصين بعد مرور 380 سنة على التجزئة[1] وفي عهده شملت امبراطورية المغول اقصى اتساع لها فضمت اضافة إلى الصين شبه الجزيرة الكورية والهند الصينية والتبت والهند إلى حدود نهر الكنج وايران وآسيا الصغرى ((بلاد الاناضول)) وشبه جزيرة القرم وجزء كبير من روسيا إلى حدود نهر الدنيبر[2] وبهذا تكون على عهده قد ضمت اجزاءً واسعة من شرق آسيا وجنوبها لم تكن من قبل ضمن املاك امبراطورية المغول ككوريا والهند الصينية[3]. حافظ قوبلاي خلال حكمه لها على وحدتها ولم يشهد عهده حركة استهداف لمركز الخانية باستثناء محاولة نايان انتزاع الخانية لنفسه[4]. ونايان هو ابن طغاجار (أي انه ابن حفيد اوتجكين[5] أخو جنكيزخان)[6] وهذا يعني ان نايان كان ابن عم لقوبلاي وكان والده طغاجار يحمل

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص267-269. الصياد: المغول في التأريخ، ص218.
(2) براون: تأريخ الأدب في ايران، ص563. اليسيف، دانييل: تأريخ الصين، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2007م، ص111.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص269. الصياد: المغول في التأريخ، ص 218.
(4) ماركو بولو: رحلات ماركوبولو، ص129.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص73، ويلفظ اوتجين عند الهمذاني بارتجي اوتكين واحياناً اوتجكين او اوتجين والتسميات الثلاثة هي لشقيق جنكيزخان، ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص6، 29، 178، 203، 253، 282، 294.

رتبة نويان[1] في جيش قوبلاي اشترك في معظم الحملات العسكرية لقوبلاي خان وكان أكثر القادة العسكريين تقرباً للخان[2]، وكانت عائلة اوتجكين منذ عهد جنكيزخان قد حازت على حكم مقاطعات في إقليم الصين الشمالية[3]، وقد توارثها أبناء اوتجكين وأحفاده فيما بعد وعلى ما يبدو ان طغاجار كان له في هذا الإقليم نصيب ولكن المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا معلومات عن ذلك، وماركوبولو يشير بكل وضوح إلى ان قوبلاي خان كان قد منح ابن طغاجار الأمير نايان حكم افضل أربعة ولايات في الصين الشمالية هي تشورزا وكارلي وبارسكول وستينجوي على الرغم من ان عمره لم يكن قد تجاوز الثلاثين عاماً[4]، وقد حاز نايان على محبة شعب هذه الولايات لكرمه المفرط وتسامحه معهم واستطاع أن يكوّنَ منهم جيشاً بلغ تعداده اربعمائة الف فارس، دفعه غرور الشباب كونه على رأس هذه القوة الجبارة ليس فقط إلى نبذ ولائه لقوبلاي خان بل المطالبة بالخانية[5]. وفكرة الانقلاب على الخان ليست بالغريبة على هذه العائلة، فقد سبق لجده الكبير اوتجكين شقيق جنكيزخان ان طالب بالخانية بعد وفاة اوكتاي ودفع عدد من أمرائه رؤوسهم ثمناً لذلك[6].

---

(1) نويان: اعلى رتبة عسكرية في جيش المغول وفي العادة كان يحملها أمراء الأسرة الحاكمة. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ص551.

(2) عن مكانة طغاجار، ويلفظ احياناً تبغاجار او تقاجار او تفجار، ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص243، 259، 275، 279.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص73.

(4) رحلات ماركوبولو، ص131.

(5) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص129 – 131.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص225. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178 – 182.

وبهدف انجاح خطته للوصول للخانية أراد نايان التحالف مع قايدو[1] بن قايشين بن اوكتاي حاكم تركستان ولكن قايدو الذي عرف بدهائه السياسي وان طموحه لا يتعدى حكمه لولايته لذلك فضّلَ المماطلة على ما كان قد وعد بإرسال مائة الف جندي يشترك بها مع جيش نايان لغزو إقليم الصين[2]. كما ان علاقة قايدو بقوبلاي لم تكن بدرجة من السوء تجعل قايدو يعلن الحرب على قوبلاي لا بل ان رشيد الدين الهمذاني يذكر ان قوبلاي خان عندما أراد عقد قوريلتاي لجيمع عائلة آل جنكيزخان كان قايدو من جملة المدعوين لها[3] بحكم انه من سليل الأسرة الحاكمة فهو حفيد اوكتاي خان، وهكذا تخلى قايدو عن المشاركة مع نايان في الحرب ضد قوبلاي.

أدرك قوبلاي بأن نايان لم يكن بذلك المتمرد السهل فهو حاكم لولايات فاخرة على حد قول ماركوبولو يعمل تحت معيته اربعمائة الف فارس في أرض شعبها محب له ومستعد للموت من أجله[4] ولذلك أخذ يستعد لهذه الحرب وكان أول اجراء اتخذه هو

---

(1) قايدو: وهو ابن قايشين بن اوكتاي بن جنكيزخان، كان أحد أمراء منكوخان انحاز إلى جانب أريق بوقا ضد قوبلاي وعندما استسلم أريق بوقا التجأ قايدو عند ابن عمه بركة بن جوجي خان مغول القفجاق وبمساعدة بركة حاز قايدو على بعض الاملاك في بلاد ما وراء النهر ضمن إقليم التركستان وانتهز قايدو الذي عرف بدهائه السياسي الفوضى التي حلت بتركستان في أعقاب وفاة الغو سنة (664هـ/1265م) بأن وسع من مناطق نفوذه لتشمل اجزاء واسعة من تركستان وخلال ذلك استدعاه قوبلاي خان لغرض استمالته إلى جانبه بالقول ((إن أمنيتي هي ان تنير عيوننا برؤية بعضنا البعض ونتشاور في مختلف الموضوعات ثم تعودوا مشمولين بالعناية والرعاية)) لكن قايدو لم يقبل الدخول في طاعة الخان، فاعتذر قائلاً ان دوابنا هزيلة وعندما تسمن نمتثل للامر))، وهكذا ظل يتحجج بهذه الذرائع ولهذا عَدَ خارجاً عن الطاعة ويبدو ان قوبلاي لم يرغب بمواجهة كبيرة مع قايدو كي لا يفتح جبهة جديدة عليه ولاسيما أن تهديدات نايان كانت خطيرة وتحالفه معه قد يقلب الموازين لغير صالح قوبلاي وللتفاصيل ينظر، الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص21 – 22، 263. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص129 -130. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص704 – 711. فامبري: تأريخ بخارى، ص192.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص129-130.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص263.

(4) رحلات ماركوبولو، ص129- 131.

سد جميع المنافذ المؤدية إلى بلاده من جهة بلاد نايان تحسباً لأية هجمات مفاجئة كي يعطي لاستعداداته العسكرية طابع السرية[1] ثم أصدر أوامره بأن تحشد بأقصى سرعة جميع القوات على مسيرة عشرة أيام من مدينة كامبالو وخلال عشرين يوماً كان قد تجمع لديه ثلاثمائة وستون الف فارس وجيش من المشاة عدده مائة الف جندي راجل وكان هدفه ان يتمكن بسرعة المبادرة التي هي مفتاح النصر من ان يحبط مقدماً استعدادات نايان ويدمر تجهيزاته قبل ان تكتمل للمعركة[2].

ويشير ماركوبولو أن قوبلاي كان بإمكانه ان يحشد أعداداً أكثر بكثير من هذه القوات، ولكن ادراكاً منه لوجود متربصين له ((في كل ولاية من ولايات كاثاي ((الصين) فضلاً عن أجزاء أخرى من مملكته فيها أشخاص كثيرون عرفوا بالخيانة والتحريض على الفتنة ممّن كانوا على استعداد في جميع الأحوال الانشقاق على مولاهم الملك))[3]. لذا اقتضت الضرورة ان يحتفظ بكل ولاية تحتوي على مدنٍ كبيرة وعدد ضخم من السكان بجيش قادر على إخماد أية حركة تمرد[4]، وكان قوبلاي محقاً في هذا التحسب لأنه على حد قول رشيد الدين الهمذاني كان عدد من الأمراء من أبناء العائلة الحاكمة في بلاط الخان ((قد تغيرت قلوبهم من جهة الخان)) وكانوا متواطئين مع نايان سراً ضده[5] ولذلك ما ان كشف أمرهم حتى تولى هؤلاء الجند مهمة التصدي لهم وافشال خططهم[6].

تقدم قوبلاي بجيشه الضخم باتجاه بلاد نايان وتمكن بالزحف الشاق المتواصل ليلاً ونهاراً من بلوغ أرض المعركة بعد انقضاء خمسة وعشرين يوماً على بداية تحركه من مدينة كامبالو، واتخذ من سلسلة تلال لم يحدد آسمها وموقعها ليعسكر فيها، يقابله سهل عسكر

---

(1) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.
(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.
(3) رحلات ماركوبولو، ص130.
(4) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.
(5) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(6) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.

فيه جيش نايان، وبعد يومين من الاستعدادات على أرض المعركة[1] حدثت المواجهة الكبرى، وكان قوبلاي خان يدير المعركة من على قلعة خشبية محمولة على أربعة أفيال[2] تحمي اجسادها أغطية من الجلد الثخين التي أكسبتها النار الصلابة وأسبلت عليها استار من قماش الذهب، وكانت القلعة محمية بالكثير من الفرسان وحملة السهام وقد رفع على قمة القلعة العلم الامبراطوري المحلى بصورة القمر[3]، ويبدو انه نفس صورة العلم الذي كان يرفع في عهد جنكيزخان حيث كان عليه صورة قمر وهو في المحاق والذي كان قد أقره جنكيزخان في قوريلتاي سنة (603 هـ / 1206م). والتي سبقت الاشارة إليه في الفصل الأول.

وبخصوص المعركة يشير رشيد الدين الهمذاني ان سبب اتخاذ قوبلاي خان إدارة قيادة المعركة على قلعة محمولة على ظهر أفيال ترجع إلى كونه مريضاً بداء المفاصل فضلاً عن كونه كان قد شاخ وضعف وحدد تأريخ المعركة بسنة (688هـ/1288م)[4]. وفي هذا التأريخ يشير ماركوبولو الذي كان يعيش معه في بلاطه ان قوبلاي خان بلغ سنُّهُ خمساً وثمانين سنة في هذا العام أي سنة (688هـ/ 1288م)[5]. ويضيف تفاصيل دقيقة عن جيش قوبلاي المشارك في المعركة من حيث عدد الفرق والكتائب وعدد مقاتليها وما تضمنه من أصناف المقاتلة ونوع السلاح وخطة القتال وكيفية التحرك ودلالات الات النفخ من الصنوج والطبول والأناشيد لرفع الروح القتالية وبلغ من شدة ارتفاع صيحات الجند وصرخاتهم ومعهم أصوات الطبول وجلبة الخيول واصطكاك الاسلحة ان ثبت الرعب في قلوب من سمعها، وعندئذ بدأ قتال عنيف ودموي فامتلأ الجو على الفور

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.
(3) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131 .
(4) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(5) رحلات ماركوبولو، ص129.

بغمامة من السهام تساقطت من كلا الطرفين منهمرة في كل ناحية وشوهد اعداد هائلة من الرجال والخيول تسقط صرعى على الأرض بفعل السهام واشتبك الجمعان المتحاربان في قتال متلاحم بسيوفهم ودبابيسهم[1] وبلغ من هول المذبحة ومن ضخامة أكوام جثث الرجال وجثث الخيول بوجه خاص في الميدان ان صار من المحال ان تزحف أية وحدة من الطائفتين على الأخرى[2].

ويشير رشيد الدين الهمذاني ان جيش قوبلاي كاد ان ينهزم في المعركة لولا ثبات قوبلاي واصراره على النصر[3] وفي المقابل قاتل جند نايان بكل حمية وبسالة واخلاص، وكانوا يفضلون الموت على ان يديروا ظهورهم لجند قوبلاي ولكن الغلبة في النهاية كانت لقوبلاي الذي استطاعت كتيبة من خيالته الايقاع بنايان في فخ الأسر وفوراً أمر قوبلاي بإعدامه كي لا يواصل أتباعه القتال لفك أسره[4] وهكذا بعد مقتل قائدهم استجاب جند نايان لطلب قوبلاي بالاستسلام لقاء العفو عنهم وحلف يمين الولاء للخان[5] فأمر بتوزيعهم على الولايات بهدف تشتيتهم[6].

وبعد هذا النصر المبين عاد قوبلاي إلى مدينة كامبالو بموكب فخم حيث اعد له احتفال عظيم فرحاً بالنصر[7].

---

(1) الدبابيس: عمود من الخشب قصير ذات رأس من الحديد، العبيدي، صلاح حسين، أنواع الأسلحة العربية الإسلامية واوصافها بحث منشور ضمن موسوعة الجيش والسلاح، بغداد، 1988م، ج4، ص142.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.

(5) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.

(7) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص133.

ثامناً: تيمور وأخوه كملا والنزاع على منصب الخانية

كان قوبلاي خان في حياته قد عهد بولاية العهد لآبنه جيم كيم الذي كان قد فضله على باقي اخوته لرجاحة عقله وكفاءته[1]، وهذا الاختيار أثار حفيظة ابنه الاخر نوموغان الذي تحدث بقسوة وعدم رضا عن عدم ترشيحه بدلاً عن كيم ممّا أغضب والده وأمر بطرده من مجلسه وحرم عليه حضوره[2].

وشاءت الاقدار ان نوموغان وجيم كيم توفيا في حياة والدهم[3] وبذلك شغر منصب ولي العهد حتى أواخر عهد قوبلاي وبناءاً على نصيحة السيد الاجل الذي كان وزيراً وصاحب ديوان لقوبلاي خان[4] والذي أشار على الخان بضرورة تسمية أحد أبنائه لولاية العهد كي لا يحدث خلاف من بعده على منصب الخانية سمى حفيده تيمور بن جيم كيم لولاية العهد الذي كان قد بلغ عمره انذاك الخامسة والعشرين[5].

توفي قوبلاي خان سنة (693هـ/1294م)[6] وحسب العرف المغولي تتولى الزوجة الاثيرة او أحد أبنائها ادارة الامبراطورية لحين عقد قوريلتاي لاقرار ولي العهد لمنصب الخانية او اختيار أمير آخر من بين العائلة الملكية ليكون خاناً وبما ان الزوجة المحببة لقوبلاي خان كانت جابون خاتون قد توفت في حياة زوجها[7] وان اولادهما الاربعة جيم كيم وتورجي ونوموغان ومينكقلان هم الاخرون توفوا في حياة والدهم[8]. وان

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294. قداوي: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، ص155.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(4) عن مكانة السيد الاجل وأبنائه وما حازوه من مناصب لدى قوبلاي وأبنائه وما قاموا به من اصلاحات ينظر الصياد: المغول في التأريخ، ص222-223.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص296-297.
(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص298. هوخام: تأريخ الصين، ص232.
(7) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص237.
(8) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص238، 294.

زوجة جيم كيم الخاتون كوكوجين التي كانت تحظى بمحبة الخان لها ووصفت بأنها آمرأة عاقلة، وكان قوبلاي يستشيرها في شؤون الحكم، ونظرا لهذه المكانة فقد اتفق الأمراء على توليتها امر تصريف شؤون الحكم لحين انتخاب خان جديد للبلاد[1].

انعقد القوريلتاي في مدينة كمين فو[2] بعد عام من وفاة قوبلاي خان أي سنة (694هـ/1295م)[3] وبحضور أعداد كثيرة من أمراء وخواتين العائلة الملكية من آل جنكيزخان[4] وخلال المؤتمر ظهر نزاع بين تيمور وأخيه كملا على منصب الخانية وكل منهما له أسبابه، فشرعية تيمور تستند على انه اختير من قبل جده قوبلاي كمرشح لهذا المنصب بتوليه ولاية العهد اما كملا فعد نفسَهُ صاحبَ الأفضلية لتولي هذا المنصب بحكم انه الأكبر سناً[5] من بين أبناء جيم كيم، وان كان العرف المغولي لا يشترط ان تكون الاحقية للاكبر سناً من الأبناء ليكون هو الخان، فأوكتاي اول خان بعد جنكيزخان وكان الثالث من حيث الترتيب العمري بين أبناء جنكيزخان[6]. وهكذا احتدم النزاع بين الأخوين وكاد أن يؤدي إلى قتال لولا تدخل والدتهم كوكوجين خاتون التي اقترحت عليهما حلاً للمشكلة وأمام جميع من حضر القوريلتاي من الأمراء والخواتين طلبت من كل منهما بأن يوضحا قوانين جنكيزخان والأفضل هو الذي يجلس على عرش الخانية، وهنا تغلب تيمور لمعرفته وفصاحة لسانه على أخيه كملا الذي كان شحيح المعرفة ولا يجيد الكلام فصاح الجميع ((ان تيمور أكثر معرفة وأحسن بياناً، فهو الجدير بالتاج والعرش))[7].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294 ، 313.

(2) كمين فو: مدينة كانت تعد المصيف الصيني لقوبلاي خان واولاده وموقعها في إقليم بلاد الخطا الصينية. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص271، 274.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313.

(4) عدد الهمذاني اسماء معظم من حضر من الأمراء الكبار من العائلة الملكية القوريلتاي وللاطلاع على اسمائهم ينظر جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص72، 172- 173.

(7) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313 – 314.

وهكذا أجريت مراسيم تتويج تيمور لمنصب الخانية وحسب الرسوم والاعراف التي سبق ان توج بها من قبل باقي خانات المغول، وبعد الانتهاء من الاحتفالات أخذ في اصدار الاوامر والتعليمات التي تخص إدارة الامبراطورية ومجاراةً لأخيه كملا كي لا يحمل ضغينة عليه نسب له ان يكون حاكماً على منغوليا متخذاً من قراقورم مقراً له، وبعد منح حكم منغوليا له تكريماً بحد ذاته ذلك باعتبار انها ديار جنكيزخان الكبرى[1]. وهكذا استجاب كملا لهذا التعيين وسارت العلاقة بينهما دون خصام.

تاسعاً: انهيار حكم أسرة قوبلاي خان في بلاد الصين

لم يواجه تيمور خلال فترة حكمه بعد انتهاء أزمة كملا تمرداً على منصب الخانية من أبناء الأسرة الحاكمة، ولكن كبير أمرائه سرتاق صور للخان تيمور ان ابن عمه الأمير اننده آبن منيكقلان بن قوبلاي خان حاكم ولاية تنكقوت الصينية قد دخل الإسلام وان إسلامه أخذ يشكل مصدر خطر على الدولة[2] ذلك لأن اننده تمكن من أن يدخل غالبية جنده وسكان ولاية تنكوت الإسلام وقدر عدد من دخل من جنده الإسلام بمائة وخمسين الف، فأثار ذلك حفيظة تيمور الذي أمر باعتقال اننده وأمر بمحاكمته وتولى هو شخصياً مسائلته فدار بينهما حوار وفيها سأل الخان اننده ((هل رأيت رؤية او سمعت إلهاماً، او حدث لك شيء او ارشدك شخص في طريق الإسلام كي يهدني انا كذلك)) فأجابه أننده ((لقد هداني الله الأعظم إلى معرفته)) فقال الخان ((إنما هداك الشيطان ذلك السبيل)) فأجاب اننده ((إذا كان الشيطان قد هداني فمن الذي هدى غازان الذي هو أخي الاكبر))[3] ولامتصاص غضب الخان ولتفادي تطور الأمر إلى حالة تمرد تدخلت والدة الخان كوكوجين خاتون التي احتوت الموقف بقولها لآبنها الخان ((لقد جلست على العرش منذ عامين، ولم يستقر لك الملك بعد - ولأننده جنود كثيرون وجميع هؤلاء الجنود واهل ولاية تنكوت مسلمون ويستنكرون منك هذا الموقف، وربما يغيرون قلوبهم فيكونون قريبين من بلاد الاعداء واذن فليس من المصلحة اجباره على ترك الإسلام

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص314.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص315 - 316.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص316 - 317.

فلندعه وشأنه لمذهبه ونحلته))[1] فأخذ الخان بنصيحة أمه الحكيمة فخلى سبيله وطيب خاطره وخلع عليه وأعاده حاكماً معززاً على ولايته[2]. كما استجاب لنصيحتها عندما أشارت عليه بتأجيل محاربة ابن عمه قايدو بن قايشين بن اوكتاي حاكم إقليم بلاد التركستان الغربية الذي كان قد أعلن انفصاله عنه لحين استكمال قواته، وقد كانت مشورتها صائبة فبعد عامين من الاستعداد أنزل تيمور خان الهزيمة بقايدو الذي أصيب بجرح بليغ في المعركة توفي على أثرها وذلك سنة (701 هـ/ 1301م)[3].

وكانت هزيمة قايدو آخر حركة تمرد شهدتها الامبراطورية المغولية من قبل أبناء الأسرة المغولية الحاكمة في الصين حيث تحسنت أحوال البلاد وانصرف الخان إلى الشؤون الاصلاحية في البلاد ونشطت حركة التجارة في عهده وفي عهد خلفه هوي زونغ(708 – 711 هـ/ 1308- 1311م) وتشير المعلومات إلى ان الخان هوي كان شديد الهوى بالثقافة وفي عهده تمت طباعة كتاب في الصيدلة فيه 893 مادة طبية وفيها وصف للمادة وخصائصها[4]، كما نشطت حركة الصناعة ولاسيما صناعة المنسوجات وصناعة الخشب والسيوف ورؤوس السهام والدروع وكان قسم كبير منها يصدر إلى العالم الإسلامي، وصاحب ذلك انتعاش في التجارة الخارجية واقيمت خانات ومحطات تجارية جديدة وازدادت عدد عربات النقل وأعداد الجاليات الأجنبية في البلاد ولاسيما من التجار المسلمين والاوربيين والبعثات التبشيرية[5] غير ان هذا التطور لم يستمر طويلاً بسبب السياسة الخرقاء التي اتبعها الخانات الذين اعقبوا هوي زونغ تجاه رعاياهم من الشعب الصيني، فقد تعاقب بعد هوي ستة من الخانات[6] كان آخرهم غوزكسينغ (729-

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص317.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص317. قداوي: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، ص157.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص322. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص 193. فامبري: تأريخ بخارى، ص197.

(4) الحمد، محمد عبد الحميد: حضارات طريق الحرير، منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007 م، ص80.

(5) الحمد: حضارات طريق الحرير، ص80-81.

(6) عن اسماء الخانات ينظر لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص197 – 198.

766هـ/1328- 1365م)) وجميعهم مارسوا اساليب الاضطهاد والعبودية تجاه معظم رعاياهم من الشعب الصيني بحيث غدت اساليب اجبارهم على العمل دون أجر من الأمور التي اعتاد الفلاحون الذين كانوا يشكلون غالبية الشعب الصيني القيام بها [1] كما حدث على عهد هؤلاء ان افتقدت القبائل المغولية في الصين اهتماماتها ومهاراتها القتالية ولاسيما مباراة الرماية من فوق الخيل التي كانت تميز أجدادهم[2] ونتيجة لهذا التدهور تزايدت المعارضة الصينية ضدهم أكثر فأكثر حتى إن الحوليات الصينية تذكر انه ((كان هناك هجوم في الشرق واضطهاد في الغرب واعمال انتقامية في الجنوب وحرب في الشمال حيث كان الجميع يأملون في ظهور محرر))[3].

فظهرت انتفاضة في الشمال قادها الثائر الصيني تشي ليوليانغ سنة (720هـ/ 1320م) ومع ان حركته استمرت سنين طويلة غير انها لم تسقط الدولة[4] إلى ان ظهرت حركة جديدة أخرى في شمال الصين مطلع الخمسينات من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، عرفت بحركة العمائم الحمراء وكان قادتها من الفلاحين والحرفيين ومن صغار التجار إذ تمكنوا من الاستيلاء على مدينة نانكنج القريبة من هانجتشو وذلك سنة (755هـ/ 1354م) ثم أصبح الثوار تحت قيادة تشويوان شانج وكان هذا في شبابه يعيش على التسول والشحاذة ثم أصبح بوذياً وبعدَها انضم إلى الثوار وسرعان ما وصل إلى السلطة اذ في غضون عشرة سنوات كان قد أحكم سيطرته على معظم أراضي الصين وفي عام (766هـ/1365م) أعلن تشويوان شانج نفسه امبراطور واصبح اسمه ((هونج وو)) كأول امبراطور لأسرة منج الحاكمة واقام عاصمته بالمنطقة المنخفضة بوادي نهر اليانكتسي في نانكنج وفي العام نفسه قاد هونج هجوماً شاملاً احتل فيه العاصمة بكين حيث منها هرب خان المغول وأسرته وأمرائه إلى منغوليا وفيها اختفى اثرهم[5] ويعد ذلك نهاية للامبراطورية المغولية.

---

(1) الحمد: حضارات طريق الحرير، ص81.
(2) هوخام: تأريخ الصين، ص246 – 247.
(3) هوخام: تأريخ الصين، ص247.
(4) الحمد: حضارات طريق الحرير، ص81.
(5) هوخام: تأريخ الصين، ص247 – 248.

الفصل الثالث

صراعُ الأُسرة الملكية الحاكمة على خانية مغول القفجاق

الفصل الثالث

أولاً: القفجاق وقيام دولة خانية مغول القفجاق

1- شعب القفجاق وأرضه

القفجاق ويسموا ايضاً بالخفشاخ [1] والخفجاخ والقفشاخ والروس أطلقوا عليهم تسمية قومان بالوتيست وجميعها تسميات تحمل دلالة واحدة لتشمل شعباً وأرضاً.

أما الشعب فهم قبائل القفجاق ذو الأصول التركية المنحدرين من شعب الكيماك موطنهم حوض نهر أرتيش عاشوا فيه زمناً طويلاً كبدو رحل متنقلين حول أطرافه طلباً للكلأ وفي القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) ازدادت اعدادهم فاضطر الكثير منهم الهجرة إلى جنوبي هذا النهر في سهول نواحي بالاساغون وغدوا يحفون بحدود البلاد الإسلامية الواقعة جنوب مضاربهم الجديدة وبمرور الوقت أخذوا يضغطون من جهة الجنوب والغرب على قبائل الغز التركية ليستوطنوا أرضها وهذا ما يفسر حركة التبدلات ((الاثنوغرافية)) لشعوب هذه المنطقة ولاسيما حركة قبائل الغز التركية التي تركت موطنها حول الضفة الشمالية لنهر سيحون وفي الصحراء المسماة بصحراء الغز لمصلحة قبائل القفجاق لتستقر في شِبه جزيرة ما نغشلاق وفي الأراضي التي خلفها لهم البجنك في جنوب روسيا وما يؤكد وقوع حركة التنقلات هذه ان صحراء الغز كانت في القرن(الرابع الهجري/العاشر الميلادي) تسمى بصحراء الغز او بلاد الغز نسبة إلى قبائل الغز التركية(لتستبدل التسمية في القرن الخامس الهجري والفترات اللاحقة بأسم صحراء أودشت القفجاق نسبة إلى قبائل القفجاق، وقد احتفظت هذه الصحراء بآسمها الجديد هذا حتى بعد ان فقد القفجاق صفتهم كشعب مستقل، ومثل ذلك عبارة (بحر الخزر)

---

(1) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص149.

فقد ظلت تطلق على هذا البحر تسمية بحر الخزر حتى بعد انقراض الخزر وقد بقي اسم صحراء القفجاق مستعملاً حتى العصور المتأخرة.

يشير المؤرخ الروسي بارتولد إلى حالة نادرة صاحبت قبائل القفجاق من حيث انهم شغلوا أقاليم واسعة دون ان تكون لهم وحدة سياسة ودون ان يؤسسوا لأنفسهم دولة، فكان لكل مجموعة منهم رئيس ولم يحدث ان خضع الجميع لرئيس او خان واحد وكانت البلاد التي شغلوها خلال هذه الفترة أي القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) خارجة عن حدود سيطرة العالم الإسلامي وقد اشتركوا مع بعض القوى السياسية والقبليية في القوقاز في الغارات ضد المسلمين، وأحياناً كان يحدث ان يتحد المسلمون مع كرج القوقاز للتصدي لهجمات القفجاق الآتية من جهة الشمال، وقد فقد المسلمون لفترات محدودة مدينة الدربند ولكن ما لبثوا ان استطاعوا بمساعدة الكرج من استردادها منهم ثانية.

ظلت قبائل القفجاق تعيش حياة البداوة متنقلين من مصايفهم إلى مشاتيهم في ارتياد مياههم ومراعيهم باستثناء ما ذكر بأن قلة قليلة منهم استقروا في مدينة سوغتاق التي كانت على اتصال بعلاقات تجارية مع الخوارزميين بحكم أنها كانت تقع على الحدود الشمالية للدولة الخوارزمية.

حدد ابن تغري بردي حدود انتشارهم في الربع الأول من القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) الذي فيه تعرض القفجاق لغزوات المغول وبالتحديد سنة (618هـ/ 220م) بأن موطنهم امتد ((من بحر القسطنطينية إلى نهر ارتيش مسيرة 800 فرسخ طولاً وعرضاً ومن باب الابواب إلى مدينة بلغار مسيرة 600 فرسخ واكثر مساحتها قرى ومراعٍ)) وهي بهذا تشمل الأراضي الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين إلى منابع نهر ارتيش أي انها تشمل في الوقت الحاضر جمهورية اوكرانيا وبلاد القوقاز التي تضم ((جمهورية جورجيا وأرمينيا وأذربيجان والشيشان)) ومنها تمتد إلى جمهورية كازخستان الذي يقع نهر ارتيش على نهايات حدودها الشرقية.

2- قيام دولة خانية مغول القفجاق

تعود بدايات تكوين دولة خانية مغول القفجاق إلى عهد جنكيزخان عندما منح ابنه الكبير جوجي حكم المنطقة الممتدة من نهر ارتيش إلى نهري ايللي وسيمون واقليم خوارزم، وما سيتم فتحه من أقاليم غربية حتى سواحل البحر الاسود الشرقية والشمالية أي المنطقة التي يطلق عليها اسم بلاد القفجاق.

وبهذا كانت بلاد القفجاق تقع ضمن سلم أولويات المغول التوسعية لذا ما انتهت عمليات مطاردة القائدين المغوليين سبوتاي وجبه نوين للسلطان علاء الدين خوارزمشاه بوفاته في إحدى جزر بحر قزوين سنة (617هـ/1220م) حتى اذن جنكيزخان لسبوتاي وجبه نوين التوغل في اقليم اذربيجان وبلاد القفجاق مقضياً شتاء سنة (618هـ/1220م) قرب مصبي نهر أراكس وكورا - ثم تحركا من أعالي وادي كورا باتجاه الاجزاء الشرقية من بلاد الكرج ((الجورجين)) ليلحقوا هزيمة قاسية بقوات كرجية اعترضتهم في معركة سهل خوتان جنوب تفليس وعادا بعد ذلك إلى اذربيجان حيث هاجما مدينة مراغة وفتحاها في صفر سنة (618هـ/1220م) وذبحا اهلها وكذلك فعلا بمدينة همذان.

وفي خريف العام نفسه عاد القائدان المغوليان إلى بلاد الكرج عبر بوابة الدربند ليهزموا الكرج ثانية وليصطدموا بعدها بأقوام من اللان والكلز ((اللكز)) وطوائف من الترك فأوقعوا بالكلز ولكنهم فشلوا مع اللان الذين استعانوا بقبائل القفجاق فتحالفوا معهم وأوقفوا زحف المغول، ولكن سبوتاي وجبه نوين تمكنا من خداع القفجاق عندما أرسلا إليهم من يقول لهم ((نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم اننا لا نتعرض لكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم)).

وهكذا استجاب القفجاقيون لهذا العرض فحملت الأموال والثياب لهم لينفرد بعدها المغول باللان الذين سحقت قواتهم ليغدروا بعدها بالقفجاقيين الذين ما ان علموا بأن المغول قد خدعوهم وانهم جادون في الوصول اليهم حتى تركوا ديارهم هاربين إلى الجبال البعيدة ليحتموا بها وقسم منهم دخل بلاد الروس متخلين عن متاعهم ومواشيهم غنيمة للمغول مع أُسر وأطفال لهم اشتراهم تجار باعوهم للمصريين.

لم يكتف المغول بما حققوه من مكاسب إذ طاردوا من دخل من اللان والقفجاقيين بلاد الروس، فما كان من حاكم مدينة كييف الروسية الا ان تصدى لهم، ولكن المغول اوقعوا به الهزيمة عند نهر كالكا من بحر ازوف ليتوجهوا بعد ذلك نحو شبه جزيرة القرم التي كانت من ضمن بلاد القفجاق لينهبوا بما مروا به عائدين بعد ذلك إلى الشرق عن طريق خوارزم عبر نهر سيحون ومنه اتبعوا الطريق الموصل إلى منغوليا وذلك سنة (621هـ/1223م).

إن انسحاب المغول من بلاد القفجاق يرجح بتقديري لأمرين الأول ان الحملة المغولية هذه على بلاد القفجاق لم تكن بقصد الاحتفاظ بالأرض وانما الاستطلاع للكشف عن مواطن القوة والضعف فيها تمهيداً لحملة كبرى عليها لضمها للامبراطورية المغولية مستقبلا وثانيا ان جنكيزخان كان بحاجة إلى هذه القوات لتعزيز عملياته العسكرية في بلاد الدولة الخوارزمية بعد اشتداد المقاومة الخوارزمية بقيادة جلال الدين منكبرتي لها.

توفي جوجي قبل وفاة والده بعدة اشهر أي بحدود سنة (624هـ/1226م) تأريخ وفاة جنكيزخان واختار جنكيزخان باتو ليخلف والده جوجي على حكم بلاد القفجاق وجاء اختياره لباتو لشجاعته ورجاحة عقله وقوة شخصيته ولقبه بصائن خان أي الملك الجيد ثم ارسله إلى بلاد أبيه وأرسل معه العم اوتجكين ((أخو جنكيزخان)) لاجلاسه على عرش أبيه جوجي وأمره بتنفيذ ما كان جوجي قد كلف به في آخر عمره بغزو الأقاليم الغربية في بلاد القفجاق.

غير ان وفاة جنكيزخان المفاجئة سنة (624هـ/1226م) وانشغال الأسرة الحاكمة المغولية في مسألة انتخاب اوكتاي لخلافة والده حتى سنة (626هـ/1228م) واستمرار مقاومة جلال الدين منكبرتي للمغول حتى مقتله سنة (629هـ/1231م) وما أعقب ذلك من عمليات عسكرية مغولية في غربي بلاد إيران للسيطرة على ماكان لجلال الدين من نفوذ على مدنها، ثم تفضيل اوكتاي خان القضاء على دولة الكين في الصين الشمالية قبل التوجه نحو الأهداف الغريبة في بلاد القفجاق كون دولة الكين بحكم جوارها لمنغوليا وقوتها كانت تشكل مصدر خطر دائم للدولة المغولية الفتية، كل هذه الأعمال كانت

وراء تأخر تنفيذ حملة القفجاق التي كان قد أمر بها جنكيزخان لحفيده باتو فتأخرت حتى سنة (633هـ/1235م) إذ في هذا التأريخ استدعى اوكتاي خان الأمراء من الأسرة الحاكمة، وقادة الجيوش إلى قراقورم، فعقد قوريلتاي تقرر فيه ارسال حملة عسرية كبرى لاعادة احتلال بلاد القفجاق وضمها نهائياً للامبراطورية المغولية وقد كلف باتو بقيادة هذه الحملة تنفيذا لما كان قد أمر به جنكيزخان من قبل، يشاركه في الحملة ممثلون عن كل فروع أسرة جنكيزخان أمثال اردوبركة وشيبان أخوة باتو وكيوك وقدان ولدي اوكتاي وبوري وبايدر أبناء جغتاي ومنكو وبوجك ولدي تولوي على ان تكون القيادة الفعلية للقائد المحنك سبوتاي الذي كان قد بلغ الستين من العمر ولخبرته العسكرية حيث سبق ان اشترك في العمليات الحربية في بلاد فارس والقفجاق والصين.

بلغ تعداد الحملة 150.000 الف مقاتل مغولي تحركت سنة (633هـ/1236م) فسقطت بيدهم مملكة البلغار بعد سقوط عاصمتهم بلغار الواقعة بالقرب من نهر الفولكا في الجهة الجنوبية منه عند التقائه بنهر قاما جنوب مدينة قازان الحالية ثم بعد ذلك استهدف باتو منطقة البراري الروسية بين جبال الاورال وشِبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود التي كانت موطناً لقبائل القفجاق وأقوام أخرى فتمكنوا من إنزال السيف فيهم غير ان حركة التمردات استمرت ضدهم ولم تنتهِ الا بعد ان قضى بركة على اخر حركة تمرد كان قد قادها بعض أمراء القفجاق وهم قيران وماسن وكوتان وذلك سنة (635هـ/1237م) وعلى اثرها ترك معظم القفجاقيين ممن نجوا من سيف المغول بلادهم وكانوا حوالي اربعة الاف خيمة إلى المجر حيث اعتنقوا المسيحية.

طور المغول بعد ذلك خططهم لتشمل معظم بلاد الروس وبولندا والمجر فتمكنوا سنة (635 هـ/1237م) من انزال الهزيمة بأمراء الروس فاحتلوا موسكو وموروم ويادوسلاف وفلاديميري أعالي نهر الفولغا، ثم توجهوا نحو مملكة اوكرانيا حيث عاثوا فيها فساداً وتدميراً واستولوا على العاصمة كييف سنة (638هـ/1240م) ليتوجهوا منها نحو امارة غاليشيا غربي روسيا ليوقعوا بها، ثم بعدها انقسمت قواتهم إلى جيشين زحف الأول إلى بولندا وتوجه الثاني إلى بلاد المجر فسقطت العديد من المدن البولندية ككراكوف وبرسلو ثم اندفع الجيش الأول بعد ذلك داخل المانيا ليحتل برلين بعد ان خرب العديد

من المدن التي صادفته، ومن برلين توجه هذا الجيش عبر ممرات موراقيا نحو مدينة اولموتز فاستولوا عليها.

اما الجيش الثاني فدخل بلاد المجر عبر ترانسلفانيا وهزم الجيش المجري في وقعة سهل موهي سنة (638هـ/ 1240م) واستولى على بودابست عاصمة المجر وتقدموا إلى فينا حيث اتصلوا بالجيش الأول. وهكذا استولى على معظم وسط أوربا وغربها وبدلا من تثبيت اقدامهم فيها وصلت إلى باتو الاخبار بوفاة الخان اوكتاي فما كان منه الا ان اصدر اوامره بالانسحاب إلى المنطقة المفتوحة شمال البحر الأسود على طول نهر الفولكا لينتظر ما ستتمخض عنه الأحداث حول خلافة اوكتاي.

وهكذا افلتت من يد باتو جميع الفتوحات التي احرزها في وسط وغرب أوربا لتستقر قواته والقبائل التابعة له بعد ذلك في سهول الفولكا الوسطى والعليا ومنطقة شمال شرقي البحر الاسود وبحر قزوين ليندمج بعدها شعبه بمرور الوقت مع سكان هذه البلاد ومعظمهم من جنس الاتراك ولاسيما من الاتراك القفجاق فضلا عن السلاف والفلنديين وليشكلوا جميعاً اتحاداً قبلياً بزعامة باتو، عرفوا بمملكة باتو أو بمملكة دشت القفجاق او المملكة الشمالية والبلاد الشمالية او مملكة التون اوردو أي مملكة الخيام الذهبية او بمملكة القبيلة الذهبية نسبة إلى خيمة الخان الموشاة قبتها بغطاء من الذهب ولكن التسمية الاكثر شيوعاً هي دولة خانية مغول القفجاق.

اتخذ باتو موقعاً يقال له أق توبة على المجرى الأدنى لنهر الفولكا جوار قرية سلتر ينوي الحالية الواقعة في منتصف الطريق ما بين مدينتي ستالينغراد الحديثة واستراخان ليقيم عليه عاصمة لدولته سماها سراي وذلك سنة (640 هـ/1242م)، أي بعد عودته من غزوات أوربا الغربية، ومنها أحكم قبضته على هذه البلاد ليسود فيها السلم المغولي بعد الدمار الذي كان قد حل بها خلال غزواتهم لها فاستقرت البلاد وشاع الأمان،ومن الامثلة التي شاعت في روسيا كدلالة على الأمن ما قيل ((إن كلباً لا يستطيع ان ينبح من غير إذن باتوخان)) كما حكي ان صبية صغيرة بمفردها يمكن ان تحمل كيساً من الذهب وتجوب فيه البلاد بأمان وامتدت على عهده شبكة طرق البريد السريع الذي عرف فيه المغول وبدأ التجار يبعثون بقوافلهم عبر هذه البلاد مطمئنين فيها على سلامة وصول

بضائعهم على الرغم من سعة مساحة هذه البلاد التي قدر طولها من الجنوب إلى الشمال بثمانمائة فرسخ وعرضاً من الشرق إلى الغرب بستمائة فرسخ.

بقي سكان هذه البلاد على عهد خانية مغول القفجاق على بداوتهم يعيشون على حياة الرعي والتنقل وقسم منهم كان يمارس الزراعة في حين بقيت اراضي بلادهم في معظمها خالية من مراكز عمرانية كمدن وأسواق وهنا يصف الراهب الفرنساوي وليم روبروك مبعوث ملك فرنسا لويس التاسع إلى خان المغول منكو الذي اجتاز هذه البلاد في رحلته الطويلة إلى قراقورم سنة (649هـ/1253م) ((وأنا عشت بينهم شعرت انني انتقلت إلى عالم جديد، فلم ننم البتة تحت سقف منزل وانما كنا ننام دائما في العراء او تحت العربات كما لم ترَ عيوننا أي مدينة)) خلال رحلتنا الطويلة ويصف بلاط باتو بفخامة مخيمه فقد كانت الخيام في كل ناحية إلى مسافة بعيدة، أما مقر اقامته فكانت في سرداق كبير أبوابه مفتوحة إلى الجنوب[1] وهذا يعني ان مدينة السراي العاصمة لم تكن بمستوى مدينة فيها عمران فهي اقرب إلى مجمع او معسكر خيام[2] ولكن البناء استقر فيها على عهد خلفائه ابتداءاً من عهد بركة خان.

ويشير الرحالة العربي ابن بطوطة ((إلى مدينة السراي)) وتعرف بسرا بركة ((ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغص بأهلها كثرة، حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركبنا يوماً مع بعض كبرائها... ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خرابَ فيها ولا بساتين وفيها ثلاثة عشر مسجداً لاقامة الجمعة احدها للشافعية، وأما المساجد سوى ذلك فكثيرة جدا وفيها طوائف من الناس منهم المغول وهم اهل البلاد والسلاطين وبعضهم مسلمون ومنهم الاص وهم مسلمون ومنهم القفجق والجركس والروس والروم وهم نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدةٍ فيها اسواقها والتجار والغرباء من أهل العراق ومصر

---

(1) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص150 -154.

(2) Spuler: Die Golden horde, p. 163 - 164.

والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطاً على أموال التجارة وقصر السلطان بها يسمى الطون طاش والطون معناه الذهب، وطاش معناه حجر))[1].

ثانياً: بركة والاطاحة بسرتاق والمتنافسين على خلافته

توفي باتو سنة (653هـ/ 1255م)[2] وكان قبل وفاته قد عهد إلى ابنه البكر سرتاق بولاية العهد[3] وسرتاق شهد بعض الاحداث السياسية على عهد أبيه فكان مع عمه بركة على رأس 30.000 الف مقاتل أرسلهم باتو إلى اولن كلودان قرب قراقورم لتأمين انتخاب منكو لمنصب الخانية والتصدي لآية حركة معارضة قد تعيق عملية الانتخاب[4]

---

(1) وينظر العمري، ابن فضل الله: مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق، أحمد عبد القادر، منشورات المجمع الثقافي في أبو ظبي 2003م، ج3، ص191. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، 1968م، ص342-343. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص455. ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص56. ولمزيد من التفاصيل عن العاصمة سراي ينظر:

Spuler: Die Golden Horde. p. 164-170.

(2) اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة باتو فقد أشار الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص123. والمنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص7. وابن تغري بردي في المنهل الصافي، ج4، ص79، بأن وفاته كانت سنة (650هـ/1252م) بينما اشار قزويني: تأريخ كزيدة، ص585. والمقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص395. الرمزي، تلفيق الأخبار، ج1، ص396. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص691. بأن وفاته كانت سنة (653هـ/1255م) ونرجح سنة (653هـ/1255م) وذلك لان الجويني يشير بأن باتو أرسل ابنه سرتاق في هذه السنة إلى منكو ليحصل منه على الموافقة على ولاية العهد وهذا يعني ان باتو كان حياً في هذا العام والذي توفي فيه أيضاً عن ذلك ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123.

وكان منكو خلال فترة حكمه كخان للمغول يثني على سرتاق ويشمله بالتكريم والعطف والاغداق[1].

وسرتاق فضلاً عن كونه ولي للعهد كان ايضاً حاكماً على مقاطعة شِبه جزيرة القرم[2] وذاع صيته في روسيا من خلال زيارة أمراء الروس التابعين له[3] وفي الغرب الأوربي من خلال رحلة روبروك، وروبروك ارسله ملك فرنسا لويس التاسع كمبعوث عنه إلى الخان منكو وخلال رحلته التقى سرتاق في شبه جزيرة القرم وذلك سنة (651هـ/1253م)[4] وأعطى انطباعاً عنه بأنه متعاطف مع المسيحية ولكنه ليس معتنقاً الديانة المسيحية واشار بأن كاتب سرتاق النسطوري قوياق حذره من القول بأن سرتاق مسيحي ((فهو مغولي وليس بنصراني)) وعن تعاطفه مع المسيحية يشير روبروك بأن سرتاق قد منح المبشر الالماني غوستيف التفويض ببناء كنيسة في مدينة سمركنت التي كانت تقوم على جزيرة بمنطقة نهر الفولكا الأدنى[5]. غير ان هناك من يجزم بأن سرتاق كان مسيحياً ومنهم الجويني الذي يشير صراحة بأن سرتاق كان يدين بالنصرانية [6] وابن العبري الذي يجعل منه شماساً[7] ويؤكد مستوفي قزويني اعتناقه الديانة النصرانية[8] وبارتولد يذكر انه عاش على العقيدة المسيحية وكان له كنيسة صغيرة متحركة في إحدى

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123.

(2) العريني: المغول، ص 195.

(3) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص691.

(4) الصياد: المغول في التأريخ، ص212 – 213. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص510 – 511، وعن رحلة روبروك ينظر التفاصيل عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، 1971م، ج2، ص1100-1101. يوسف، جوزيف نسيم: لويس التاسع في الشرق الاوسط، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1959 م، ص227-234.

(5) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص692.

(6) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245.

(7) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص692.

(8) تأريخ كزيدة، ص585.

الخيام تعقد بها الطقوس الدينية على الدوام[1] وانه ادخل في العقيدة المسيحية جماعات من شعبه ومن الأجانب ايضاً وانه كان شديد الكره للإسلام والمسلمين وقد عبر عن كرهه هذا في حديث وجهه إلى عمه بركة قال فيه ((أنت مسلم وانا نصراني وإني لأتطير برؤية وجه مسلم))[2] وهذا يفسر سر العداء الذي وقع بين بركة وسرتاق ومعلوم عن بركة انه نشأ على الإسلام وكان صاحب حمية على دينه[3] ومع اننا لسنا بصدد الحديث عن إسلام بركة غير ان ذلك كان سبباً في ابعاد بركة عن المنافسة على من يخلف باتو على كرسي الحكم فقد حدث ان تمرض باتو وأدرك ان نهايته قريبة لكبر سنه ومرضه[4] ولكونه أراد أن يجعل من آبنه خليفة له على منصب الخانية لذلك أبعدَ أخاه بركة ذا النفوذ الكبير في أسرة ال جوجي عن العاصمة ((السراي)) بحجة ان بركة قد اعتنق الإسلام وانه لا يستطيع ان يرى سفراء المسلمين في معسكره[5]، لذلك ألزم بركة بنقل معسكره عن العاصمة سراي إلى موقع على الجانب الاخر من نهر الفولكا وذلك سنة (652هـ/1254م)[6].

---

(1) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص692 هامش رقم (176).

(2) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص692.

(3) أفاضت الكثير من المصادر والمراجع الحديث عن إسلام بركة وما كان له من تأثير على انتشار الإسلام في خانية مغول القفجاق وللتفاصيل عن ذلك ينظر المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص14. العمري: مسالك الابصار، ج3، ص182. ابن الوردي: تأريخ ابن الوردي، ج2، ص312. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص313. المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص561. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص79. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص397-409. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص197. لوثورب، ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، 1971م، ج2، ص225.

(4) عن مرض باتو ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198.

(5) القصاب: مغول القفجاق، ص85.

(6) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص177 – 178.

وبغياب بركة تسنى لباتو ان يعهد بولاية العهد لابنه سرتاق[1] وارسله إلى منكو خان ليحصل له على الموافقة وذلك سنة (653هـ/1255م)[2] وفي الطريق علم سرتاق بوفاة والده باتو[3] ومع ذلك لم يقطع رحلته بل واصل سيره إلى منكو[4] وكان ذلك مبعث رضا شديد لمنكو فشمله بالعطف والاعزاز واقره على عرش أبيه[5] ومنحه الحق في ان يدعو نفسه الرجل الثاني في الدولة بعد الخان وفوضه حق إصدار القرارات الملكية[6] تكريماً له ولوالده الذي كانت له مواقف طيبة اوصلت منكو لمنصب الخانية[7] والتي سبقت الاشارة اليها وبعدها اذن له في الانصراف إلى بلاده[8] بعد ان اضاف لملكه اراضي جديدة[9] وقبل وصوله أرض بلاده توفي سرتاق[10] وهناك من يتهم بركة بأنه كان وراء موته بأن دس له السم قبل وصوله السراي عاصمة بلاده طمعاً في ملكه[11] وانتقاماً

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص124. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص396.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص124. شاكر: التأريخ الإسلامي، ج7، ص141.

(6) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص691.

(7) أشرنا في الفصل الثاني عن دور باتو في ايصال منكو لمنصب الخانية، أما عن دور سرتاق فينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123.

(8) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245.

(9) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص691.

(10) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))،ص124.

(11) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص397.

منه لما كان له من إساءات على المسلمين[1] واذا كان ذلك صحيحاً فأن موت سرتاق يدخل في نطاق الصراع على السلطة بين أبناء العائلة الحاكمة وان هدف بركة من قتله هو توفير الفرصة لايصال نفسه لمنصب الخانية[2] كي يحمي المسلمين من أذى سرتاق وقد اشترك اخو بركة المدعو براكاجي في عملية دس السم رغبةً في ايصال أخيه بركة لمنصب الخانية[3].

غير ان منكو خان لم يعهد لبركة بهذا المنصب وإنما أرسل رسله إلى زوجة باتوبراق جين خاتون التي هي اكبر نساء باتو من يقدم لها التعزية وأمر بأن تتولى هي حكم البلاد على ان تكون وصية على اولاغجي بن سرتاق حتى اذا ما كبر واشتد عوده حل محلها على الحكم[4].

ولكن القدر لم يمهل اولاغجي اذ توفي بعد بضع شهور[5] من وفاة والده ليشتد بعده الصراع على خانية مغول القفجاق بين أبناء الأسرة الحاكمة وكان اول ساعٍ لهذا الهدف براق جين التي ارادت ان تستغل مكانتها كونها الزوجة الاثيرة لباتو وحاكمة للبلاد خلال عهد اولاغجي القصير[6] بأن أرادت ان يكون ابنها تدان منكو[7] هو الخان

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص397. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص693، واشار العيني في عقد الجمان، ج2، ص77-89 إلى وجود صراع بين سرتاق وبركة وان سرتاق لقي حتفه ولكن لا يعطي تفاصيل عن ذلك.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص397.

(3) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص693.

(4) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245.

(5) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص124.

(6) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص245.

(7) يشير المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص14 والعيني: عقد الجمان، ج2، ص90، ان تدان منكو هو ابن طغان بن باتو وان براق جين والدته هي زوجة طغان وعند الرجوع إلى قائمة أبناء باتو عند الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص109 لانجد بين اسماء أبنائهم اسم لطغان، كما ان الجويني يشير صراحة إلى ان براق جين هي الزوجة الاثيرة لباتو. تأريخ فاتح العالم

وأخذت تتصل بـأولاد بـاتو وبقيـة الأمـراء لأخـذ مـوافقتهم ولكنهـا فشـلت[1] في ذلـك بحكـم ان الغالبيـة العظمى من الأمراء كانت ميولهم مع بركة الذي كان يحظى باحترام لدى منكوخان وكانت جهوده معروفة في الدفاع عن منكو ضد معارضيه خلال فترة ترشيح منكو للخانية وبعد ذلك بقيت علاقاتهم طيبة[2].

وعندما رأت براق جين ان الكفة لصالح بركة حاولت تثبيت ابنها بطريقة أخرى بأن أرسـلت إلى هولاكو ((مؤسس الدولة المغولية الايلخانية في إيران والعـراق))[3] نشـابة بـلا ريـش وقبـاء بغـير بنود وبعثت تقول له ((قد فرغ الكـاش مـن النشـاب وخـلا القرنـان مـن القـوس فـتحضر لتسـليم الملك))[4]، ومعنى ذلك انه لم يبقَ ممانع ولا مدافع فتهيأ لاستلام الخانية، ثـم سـارت في أثـر الرسـول لقصد اللحاق بهولاكو لاحضاره إلى بلاد القفجاق لاسـتلام الخانيـة[5] ومـا ان علـم أبنـاء بـاتو بـذلك حتى ارسلوا من اعترضها وأعادوها مكرهة[6] وكان هدفها من الاسـتعانة بهولاكـو واضـحاً وهـو ضـم خانية بلاد القفجاق لدولته على ان تكون هي او ابنها تدان منكو نائبة او نائب عنه في حكـم هـذه البلاد غير ان جهودها باءت بالفشل كما سبب فعلها هذا توتراً في العلاقة بين خانية مغول القفجاق

جهانكشاي، م1، ص245، وان الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص109 يشير بوضوح ان تـدان منكـو هـو ابن باتو وهذا يعني ان تدان منكو هو ابن باتو وليس طغان وان امه هي براق جين.

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص14.

(2) عن هذه العلاقة ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص123،200-202.

(3) عن هولاكو وقيام الدولة الايلخانية ينظر الفصل الرابع.

(4) العيني: عقد الجمان، ج1، ص89 -90.

(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص14.

(6) العيني: عقد الجمان، ج1، ص90.

والدولة الايلخانية بعد ان كانت هذه العلاقة طيبة بين بركة وهولاكو[1] اذ كان هولاكو بعد ان وصلته رسالة براق جين قد تجهز وسار بجيوشه اليها وفي الطريق وصله خبر مقتلها[2] على يد بركة، ومع ذلك واصل المسير فما كان من بركة وأبناء باتو الموالين له الا ان تجهزوا وخرجوا لقتاله فالتقى الجمعان عند موضع يقال له نهر ترك[3] جنوب بلاد القوقاز فاصطدم الجمعان فوقعت الهزيمة بعسكر هولاكو الذي هرب هو ومن نجا من اتباعه عائدين إلى بلاده[4]، أما بركة فقد أعطاهُ هذا النصر مكانة كبيرة بين اتباعه وما ان عاد إلى مقر حكمه حتى انتخبه اخوته وأجلسوه على عرش الخانية[5] وصارت زمام الأمور في أنحاء البلاد كافة بيده.

---

(1) عن العلاقة الطيبة بين بركة وهولاكو قبل هذا التوتر ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص124. الذهبي: العبر، ج5، ص258.

Favre.: La Russia, p.39.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص14-15.

(3) نهر الترك نهر ينبع من القوقاز ويجري إلى الشرق وراء دربند (باب الابواب) مسافة طويلة حتى يصب في بحر قزوين بعد ان يمر ببلدة قزلار. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص417. عزت باشا يوسف: تأريخ القوقاز، ترجمة خوسنونة عبد الحميد غالب بك، مطبعة عيسى البابي الحلبي، اسطنبول، 1933م، ص12.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص15. التحفة المملوكية في الدولة التركية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1987 م، ص37. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص534. العيني: عقد الجمان، ج1، ص108-109.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص124.

ثالثاً: استقلال دولة خانية مغول القفجاق واستقرارها

يعد عهد بركة خان (654- 665هـ/ 1256- 1267م)[1] أفضل عهود دولة خانية مغول القفجاق، فله يحسب تحول بلاد القفجاق تدريجياً إلى الإسلام وسواءاً أكان إسلام بركة قبل توليه العرش أم بعده[2] فقد اخذت دولته وضعها وشكلها في عهده بوصفها دولة إسلامية فقد كرس بركة حياته كلها لنشر الإسلام سواء بين قومه في بلاد القفجاق او بين الاقوام الخاضعة لسلطانه فأظهر شعائر الإسلام في بلاده وحمل أمم القفجاق على الدخول في هذا الدين وأخذ به جل عشيرته وقومه وأسلمت زوجاته وكان بعضهن قد اتخذن مسجداً من الخيم يحمل معهن حيث اتجهن وتضرب لهن حيث نزلن، كما اعتنق جيش بركة الإسلام، وكان كل فارس يحمل معه سجادة للصلاة حتى إذا حان وقتها ادى الفريضة على أكمل وجه مثلما كان له مساجد من خيم تحمل له وتقام فيها الصلوات الخمس له مؤذنون وأئمة، كما اتخذ المساجد والمدارس في جميع بلاده وقرّبَ العلماء والفقهاء ووصلهم[3].

---

(1) انفرد الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص125 في تحديد سنة وفاة بركة بـ (664 هـ/1265م) في حين أجمعت باقي المصادر في أن سنة وفاته (665هـ/1267م) وأخذنا برأي الاغلبية ونشير للبعض منها اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى: ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، ط1، حيدراباد الدكن، الهند، 1954 م، م2، ص363. أبو الفداء،: المختصر في اخبار البشر، منشورات دار البحار، بيروت، 1959م، ج7، ص7. الكتبي: عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيل عبد المنعم، دار الرشيد، بغداد، 1980م، ج20، ص350. القلقشندي: مآثر الانافة، ج2، ص129. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص350. الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص317.

(2) اختلفت الاراء والمعلومات عن زمن إسلام بركة للتفاصيل ينظر الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص397-404.

(3) أفاضت المصادر والمراجع العربية والأجنبية الحديثة عن دور بركة في نشر الإسلام في بلاده وللتفاصيل: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، م2، ص365. ابن ايبك: أبو بكر بن عبدالله الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق اولرخ هارمان، منشورات المعهد الالماني، القاهرة، 1971 م، ج8، ص101. آبن أبي الفضائل، المفضل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تأريخ ابن العميد،

ويحسب لبركة خان أيضاً الفضل في استقلال خانية مغول القفجاق عن الامبراطورية المغولية التي غدت عاصمتها بكين، حدث ذلك خلال الصراع الذي وقع بين قوبلاي واريق بوقا على منصب الخان الأعظم في أعقاب وفاة منكوخان سنة (655 هـ/1257م)[1] فقد وقف بركة خان إلى جانب اريق بوقا ضد قوبلاي[2] وعندما حسم الصراع لمصلحة قوبلاي[3] امتنع بركة عن حضور القوريلتاي الذي دعا اليه قوبلاي لتنصيب نفسه خاناً أعظم كما انه لم يرسل من ينوب عنه لاعطاء مثل هذا التأييد وبهذا الامتناع قطع بركة جميع علاقاته مع عاصمة الخان الأعظم وانتهى بذلك التأثير السياسي والمعنوي الذي كانت تمارسه سلطة المركز على خانية مغول القفجاق[4].

وكان من تداعيات هذا الموقف على الامبراطورية المغولية انه وللمرة الأولى في تأريخ العلاقات المتبادلة بين الشعب المغولي ان يخطو أحد زعمائها وهو بركة خان خطوة لا تقل خطورة عن قطع العلاقة مع سلطة المركز بكين، بأن تقرب إلى دولة المماليك في

باريس، 1928م، ج 1، ص462. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص118. العيني: عقد الجمان، ج1، ص90 -92. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص350، ج4، ص79. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص401. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص178. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص259. عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص113 – 114

Golubeva: Early Russia The Ussr historical. p. 31

Lane – pool, Stanley: History of Egypt in the middle ages, Hollanda, 1968 , p.265.

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص249-254.

Boyle: The Mongole World Empire. p. 341-342.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص55.

(3) ابن العميد: أخبار الايوبيين، ص173. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص258.

(4) شبولر: العالم الإسلامي، ص51.

مصر وبلاد الشام وشكّل معها تحالفاً ضد أبناء عمومته ايلخانات بلاد ايران والعراق[1] وعزز هذا التحالف بتزويج ابنته للسلطان الظاهر بيبرس المملوكي وقد أنجبت منه ولداً هو الملك السعيد[2].

ولاشك ان مثل هذا التحالف مع المماليك يعد خرقاً للتقاليد المغولية السابقة فحتى ذلك الوقت لم تتفق أية سلطة مغولية ولم تعمل حلفاً مع اية دولة غير مغولية الا في حالة خضوع الدولة المتحالفة معهم رسمياً، او بشكل غير رسمي للسلطة المغولية فحكام جورجيا وأرمينيا مثلا عوملوا معاملة الاتباع الاقطاعيين وامبراطور بيزنطة وطرابزون وانطاكيا كانوا يعاملون مثل هذه المعاملة كأتباع على الاقل من وجهة النظر المغولية[3] على الرغم من انهم كانوا حلفاء للمغول، كما انه لم يحدث أن تحالفَ أحدٌ من زعماء المغول مع دولة معادية لدولتهم.

وهكذا بهذا الاستقلال والتحالف تخلى بركة عن انتمائه للمجتمع المغولي وللامبراطورية المغولية التي كان على رأسها الخان الأعظم قوبلاي وان احدى السمات التي ميزت هذا الاستقلال عن الامبراطورية المغولية هو اختفاء اسم الخان الأعظم من على قطع العملة المسكوكة في دولة خانية مغول القفجاق وقد بدأ هذا الأمر واضحاً سنة (658هـ/1260م) تأريخ اعلان قوبلاي نفسه خاناً أعظم للمغول واختفاء اسم الخان

---

(1) عاشور: العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965م، ص226-228. الحجي، حياة ناصر: العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، الرسالة الثامنة في التأريخ، 1981م، ص11-12.

Lane – Pool: History of Egypt , p.265.

Favre: La Russia , p 40.

(2) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص180.

Lane – Pool: History of Egypt , p. 265, 277.

(3) شبولر: العالم الإسلامي، ص53. قداوي: تحالف مملكة أرمينا الصغرى وانطاكيا الصليبية مع المغول، ص156-158.

الأعظم عن العملة أعطى دلالة قاطعة على عدم الاعتراف به او بشرعيته[1] لان العملة تمثل في العادة رمزاً للسلطة قديماً وحديثاً.

وعلى مستوى العلاقة مع أوربا فقد أظهر بركة الحزم مع من كانوا على الالتزام مع دولته بالتبعية ودفع الجزية، فقد حدث ان أعلن دانيال حاكم غاليسيا بإنهاء تبعيته لدولة خانية مغول القفجاق وقام سنة (655هـ/1257م) بمهاجمة جامعي الجزية المرسلين من قبل بركة اليه[2] وقد رد بركة على ذلك بإرسال حملة مغولية كبرى بقيادة الأمير نوغاي سنة (656هـ/1258م) توغلت في أوربا الغربية حتى وصلت إلى بولندا والمجر[3] منزلةً في العديد من مدنها الخراب والدمار، كمدن كولم ولوبلين وساندومير وكراكوف وهروب حاكم غاليسيا دانيال[4] وهكذا ذكرت هذه الحملة الأوربيين بما كانوا قد نالوه من قبل من دمار على يد باتو سنة (638هـ/1240م).

وبهذه الحملة يكون بركة قد جدد هيمنةَ دولتهِ على ما كان لها من نفوذ في أوربا الغربية، أما على مستوى العلاقة مع الامارات الروسية نوفجورد وفلاديمير ويادوسلاف وسوزدال فقد اظهر أمراؤها الولاء الكامل لبركة خان ولاسيما ما يتعلق منه بمسألة ضمان وصول الضرائب المقررة عليهم في مواعيدها، ولذلك لم يحدث ان تدخلت الحاميات المغولية فيها، وكثيراً ما كان يقوم أمراء الروس بأنفسهم بكبح أية محاولة للتمرد ضد موظفي جمع الضرائب[5].

وهكذا أدار بركة خان دولته بشكل نال المديح من قبل العديد من المؤرخين المسلمين الذين وصفوه ((بأنه أعظمُ ملوك التتر)) وقرنوا اسم دولته به فسميت بلاد

---

(1) شبولر: العالم الإسلامي، ص54.

Saunders: The History of the Mongole , p.160.

(2) Saunders: The History of the Mongole , p.156.

(3) عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص166.

(4) Saunders: The History of the Mongole , p.157.

(5) عمران: المغول وأوربا، ص183-184

Saunders: The History of the Mongole , p.156.

القفجاق بدشت بركة والعاصمة سراي بسراي بركة[1] توفي بركة خان سنة (665هـ/1267م)[2] وكان قبل وفاته قد اختار لولاية العهد ابن اخيه منكو تمر[3] وقد اقر الأمراء هذا الاختيار وتم اجلاس منكوتمر على كرسي الخانية[4].

سار منكوتمر على سياسة عمه بركة في تثبيت أركان الحكم والحفاظ على التحالف مع المماليك في مصر وبلاد الشام[5] غير ان ما يحسب له انه تمكن من تحسين العلاقة مع أبناء عمومته من أسرة هولاكو حكام الدولة الايلخانية في ايران والعراق فخف على عهده حدة التوتر بينهما[6]، كما انه كان على علاقة طيبة مع مغول بلاد ما وراء النهر وكثيرا ما كان امراؤها يرجعون اليه لايقاف خصوماتهم السياسية[7]، كما كان أمراء الروس التابعين لدولته يؤدون ما مقرر عليهم من ضرائب دون عائق ومثلما كان معمولاً به على عهد بركة[8]. وعلى عهده الذي امتد من سنة (665هـ/1267م) وحتى وفاته سنة

---

(1) أبو الفداء: المختصر، ج4، ص4-17. القلقشندي: مآثر الانافة، ج2، ص99. ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص53-56 عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص166.

Saunders: The History of the Mongole , p.159.

(2) أبو الفداء: المختصر، ج7، ص7. الذهبي: العبر، ج5، ص280. القلقشندي:مآثر الانافة، ج2، ص129. الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص317.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص429.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص125. الذهبي: العبر، ج5، ص280.

Saunders: The History of the Mongole , p.160.

(5) عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص115

Lane – Pool: History of Egypt. p.281.

Spuler: Die Golden Horde. p.346.

(6) الهمذاني جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص125. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص132. عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص116.

Saunders: The History of the Mongole , p.160.

(7) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص709 – 710.

(8) Saunders: The History of the Mongole , p.161.

(681 هـ/ 1281م)[1] شهدت الخانية حركة ازدهار اقتصادي وحضاري وانخفض عنصر البداوة وازدادت طبقة التحضر بين مغول القفجاق وكان لاجراءاته الاقتصادية في اعفاء مالكي الاقطاعات الصغيرة من الأراضي الزراعية من الضرائب والخدمة العسكرية أثرها في هذا التحسن[2] كما أُنشِئت على عهده مساجد وقصور عديدة في شِبه جزيرة القرم وفي العاصمة سراي، وامتلأت هذه المدينة بالتجار والرحالة والحرفيين[3] من كافة الشعوب ولاسيما الاوربية والعربية فتجد فيها من أهل العراق ومصر والشام وغيرها من اهل الإسلام ومن الروس والروم والفرنسيين والجنويين[4].

رابعاً: تدان منكو بين التعسف والعزوف عن السلطة

توفي منكو تمر سنة (681هـ/ 1283م)[5] وكان له تسعة اولاد[6] وأربعة أخوة هم تدان منكو وملغان وطقطاي وتارتو[7] ولا يوجد بين المصادر ما يشير إلى ان منكو تمر خلال حياته قد عهد إلى احد أبنائه او من بين أبناء الأسرة الحاكمة لولاية العهد وكل ما لدينا من معلومات تشير ان أخاه غير الشقيق تدان منكو[8] جلس بعد وفاة منكو تمر على

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص444، 456.

(2) Saunders: The History of the Mongole , p. 160 - 161.

(3) القصاب: مغول القفجاق، ص93-94.

Saunders: The History of the Mongole , p.170.

(4) عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص115.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126. المنصوري الدوادار: التحفة المملوكية، ص107. أبو الفداء: المختصر، ج7، ص21. ابن الوردي: تأريخ ابن الوردي، ج2، ص328. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص470.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص458-459.

(7) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227.

(8) كان لمنكو تمر ابن يسمى قدان وهناك من اخطأ في الاعتقاد بأن قدان هو نفسه تدان منكو كالقلقشندي في كتابه مآثر الانافة، ج2، ص129 والصحيح ان تدان منكو هو أخوه وليس ابنه

كرسي عرش الخانية[1] رغم معارضة أبناء منكوتمر له[2] ويشير الرمزي نقلاً عن مصادر فارسية لم يحددها بالاسم ان تدان استفتح عهده بالظلم والتعسف[3] وكان من جملة ضحاياه كما يبين ذلك المؤرخ المصري بيبرس الدوادار أبناء منكوتمر الذين ابعدهم عن الحكم[4] كما اضطهد أخاه طقطاي ((توقتا)) الذي كان على ما يبدو وهو الاخر معارضاً لتسلم تدان منكو الخانية وراغباً بالخانية لنفسه، وكان فشله في إزاحة تدان عن الخانية سبباً في هروبه والاختفاء في بعض النواحي تحاشياً من الانتقام[5] فبقي متخفياً حتى ان غادر تدان منصب الخانية سنة (686 هـ/ 1287م)[6].

واذا كانت شخصية تدان منكو قد وصفت في بداية حكمه بالظلم والتعسف فإن شخصيته في بقية حكمه التي دامت خمس سنوات[7] قد انتابها منحيان الأول وصف بأنه كان مسلماً متديناً ورعاً ميالاً للصوفية زاهداً[8] وفي زمنه كثرت الزوايا التابعة للطرق الصوفية المختلفة[9] التي امتدَ نشاطُها حتى الزمن الذي اعقب حكمه بعشرات السنين،

وللتفاصيل ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227.

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126. الدوادار: زبدة الفكرة، ص227 . القلقشندي: مآثر النافة، ج2، ص129. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص459.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227.

(3) تلفيق الأخبار، ج1، ص129.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227.

(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227 . الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص129.

(6) القلقشندي: مآثر الانافة، ج2، ص129.

(7) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص461.

(8) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص260. أبو الفداء: المختصر، ج7، ص28. القلقشندي: مآثر الانافة، ج2، ص129. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص79.

(9) عبدالحليم: انتشار الإسلام، ص94.

حيث إن بعض زواياها زارها الرحالة العربي ابن بطوطة خلال رحلته إلى بلاد القفجاق[1].

كما اشارت المصادر أن تدان منكو قرّبَ علماء الدين من الفقهاء والمشايخ واهتم بـالفقراء[2] وتـرك أعمال الدولة يديرها كبار قادته[3] ولم يلبث هذا الخان الصوفي نهاية الأمر ان تنازل عن الخانية لابـن اخيـه تلابغا على الرغم من ان له اولاد ثلاث[4] غير ان هؤلاء على ما يبـدو لم يكـن لهـم مـن تـأثير عـلى والـدهم ليختار واحداً منهم ليخلفوه على الحكم اما لصغر سنهم او لكون تلابغا كـان الـشخص الاكـثر أهليـة لهـذا المنصب والاكثر قبولاً بين أمراء الأسرة الحاكمة[5].

اما الوصف الثاني لشخصه فيمكن التوصل له من خلال حادثة تتعلق باستقبال مبعـوث لـه مـن قبل حاكم بلاد ما وراء النهر وهذه الحادثة ان صحت روايتها تقطع دون ادنى شـك ان تـدان في آخِـر فـترة حكمه كان قد اصيب باختلال عقلي وحالات هذيان افقدته القدرة على التركيز وادارة البلاد.

وملخـص هـذه الروايـة ان حاشـيته مـن الأمـراء والـوزراء ارادوا اخفـاء ظـاهرة الاختلال العقلي لدى تدان بأن اتفقوا فيما بيـنهم بـأن يربطـوا برجـل تـدان خـان حـبلاً ويدسوا تحت كرسيه واحدا من حاشـيته يأخـذ بـرأس ذلـك الحبـل فـإذا شرع الخـان في الهذيان خلال فترة مقابلته لمبعوث حاكم بلاد ما وراء النهر يجر الحبل فيمتنع الخان من

---

(1) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص313 – 316، 343-344.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص260. أبو الفداء: المختصر، ج7، ص28. القلقشندي: مآثر الانافـة، ج2، ص129. الرمـزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص461.

(3) عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص94.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكـرة، ص260. التحفـة المملوكيـة، ص118. أبـو الفـداء: المختـصر، ج7، ص28. الرمـزي: تلفيـق الأخبار، ج1، ص461.

(5) اشار الرمزي ان تلابغا حظي بموافقة جميع الأبناء والأعمام وخواتين الأسرة الحاكمة دون اعتراض وهذا يدل على انه كـان الرجل الاكثر قبولاً من الاخرين لتسلم منصب الخانية عن ذلك ينظر تلفيق الأخبار، ج1، ص461.

الهذيان وأُبلغ الخان بما سيقومون به وقالوا له لا تتكلم مع المبعوث سوى ثلاث كلمات وهي ان تسأل المبعوث عن احوال حاكم بلاد ما وراء النهر وصحته وعن أحوال مملكته، فرضي الخان بذلك فأدخلوا المبعوث اليه فسأل الخان الاسئلة الثلاث التي طلبت منه قولها ثم سكت قليلاً ثم قال للمبعوث هل في بلادكم فأرة ؟ قال المبعوث نعم، فجر الشخص المكلف بمراقبته الحبل فسكت ثم قال له: ((ان لدي اسئلة لك كثيرة لكن يجرون من تحت قدمي)) وهنا نهضت حاشية الخان من الوزراء والأمراء وطلبوا من المبعوث الخروج من المجلس، فكان لهذه الحادثة اثرها في طلب التنازل منه عن الخانية لأن ((الملك لابد له من ملك يسوسه)) ويحسن ادارته فوافقهم الرأي بالتنازل لمصلحة ابن أخيه تلابغا ((تولا بوقا)) بن تارتو[1]. ومع ان هذه الرواية التي كان الرمزي قد انفرد بها والتي بتقديري لا ترتقي إلى حد التصديق بها، غير ان مؤرخ المغول الهمذاني يشير بوضوح ان تدان منكو ((تودا مونككا)) عزل عن الخانية بحجة انه كان مجنوناً وان معارضيه من أبناء أخيه منكوتمر هم الذين عزلوه بالاتفاق مع تلابغا وأخيه كنجك[2] ومعلوم ان تدان منكو كان قد ابعد وتعسف بأبناء منكو تمر التسعة وحرمهم المشاركة بدست الحكم[3] ولذلك فضل هؤلاء التعاون مع تلابغا للاطاحة بتدان منكو مقابل تضحيتهم بكرسي الخانية لمصلحة تلابغا.

وهنا لابد من طرح سؤال لماذا لم تتحرك الدولة الايلخانية على عهد أحمد تكودار وارغون اللذين عاصرا تدان منكو في استغلال هذه الفرصة؟ اذ كان لهولاكو والد تكودار وجد ارغون ثأر قديم مع بركة خان حيث خاض الاثنان حرباً سالت فيها دماء كثيرة في سنوات (653هـ/1255م)[4] و (660 هـ/1262م)[5] و (661هـ/1263م)[6]

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص461.
(2) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126.
(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227.
(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص417.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص138 ، 154 - 155.
(6) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص138 ،154-155.

بسبب رغبة هولاكو آنذاك في انتزاع خانية مغول القفجاق من أبناء عمومته من سلالة جوجي لنفسه عندما رَغّبتهُ اليها زوجة باتو براق جين[1] التي سبقت الاشارة اليها.

وتفسير ذلك ان اطماع الايلخانيين بقيت قائمة حتى أواخر عهدها في خانية مغول القفجاق[2] كما سنرى ذلك لاحقاً، ولكن بقدر تعلق الأمر بالسلطان احمد تكودار وارغون يمكن القول إنَّ هذين الايلخانيين كانا على دراية كاملة بان دولة خانية مغول القفجاق لم تكن بحالة من الضعف بحيث تجعل الآخرين ومنهم الايلخانيون يطمعون فيها فكان الذي يقود جيوش هذه الدولة ويوجه سياستها الأمير نوغاي الذي يوصف بالمحنك والداهية فكان الساعد الأيمن لكل خانات مغول القفجاق ابتداءاً من عهد باتو حتى عهد تلابغا فقد اخلص لهؤلاء الخانات وكان نافذ الحكم بينهم مجرباً للامور وله معرفة وممارسة بالمكائد والحروب[3].

وكان يتصدر القيادة في كل الحروب التي وقعت مع الايلخانيين ابتداءاً من اول معركة وقعت مع هولاكو سنة (653هـ/1255م) حتى آخر معركة اشترك فيها سنة (687 هـ/ 1288م)[4]، وفي جميعها حقق انتصارات على الايلخانيين[5] لذلك تحاشى الايلخان تكودار التحرش بخانية مغول القفجاق، هذا فضلاً عن أن تكودار كان قد أعلنَ إسلامه وتسمى بأحمد[6] وأخذ ينشد إلى التضامن الإسلامي مع القوى الإسلامية هذا ما

---

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص14. العيني: عقد الجمان، ج1، ص89-90.

(2) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص453- 456.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص227. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص463.

(4) اقبال: تأريخ المغول، ص247.

(5) للتفاصيل عن الحروب التي خاضها ضد الايلخانيين ينظر: المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص100. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، م1، ص487. ابن ايبك: كنز الدرر، ج8، ص91. ابن ابي الفضائل: النهج السديد، ج1، ص444. العيني: عقد الجمان، ج1، ص417. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص413، 417 -442، 450-462.

(6) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، م3، ص141. الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي: التأريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة اسعد، بغداد، 1975م، ص45-46. القرماني: أخبار الدول، ص287. مرتضى افندي، نظمي زادة: كلشن خلفا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، منشورات المجمع

يفهم من مراسلاته للسلطان المملوكي المنصور قلاوون[1] كما انه خلال هذه الفترة كان مشغولاً في حرب أهلية مع آبن أخيه ارغون بن أباقا المطالب بعرش الخانية[2] وعندما تمكن منه ارغون واصبح هو الايلخان سنة (683هـ/1285م)[3] فكان لأرغون من المشاكل وحركة التمردات ضده ما تكفيه للانشغال بها دون الحاجة لفتح جبهة جديدة للصراع قد تسبب له المزيد من المتاعب[4] ولذلك تحاشى الاصطدام مع أبناء عمومته حكام خانية مغول القفجاق في حين سنرى ان مغول القفجاق هم الذين تحركوا فيما بعد بعمل عسكري ضد أرغون كما حدث سنة (687هـ/1288م)[5] على عهد تلابغا خليفة تدان منكو على الخانية وهذا ما سنوضحه لاحقاً ان شاء الله تعالى.

خامساً:حرب الزعامات بين أبناء الأسرة الملكية المغولية ((تلابغا – توقتا – نوغاي))

سبقت الاشارة ان تلابغا ((تولابوقا)) وصل إلى كرسي الخانية سنة (686هـ/1287م) بمساعدة أبناء منكوتمر[6] كما اشار إلى ذلك الهمذاني وكان الاتفاق ان

العلمي العراقي، مطبعة الاداب، النجف، 1971م، ص154-155. ولبر: ايران ماضيها وحاضرها، ص67.

(1) عن ذلك ينظر: ابن عبد الظاهر محيي الدين أبو الفضل عبد الله: تشريف الأيام والعصور في سير الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1961م، ص5-10، 69 – 71. المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص708. حسين، محمود جميل حرب: المنصور سيف الدين قلاوون، سيرته، حروبه، علاقاته الخارجية - دراسة تأريخية – رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م، باشراف، أ.د. جعفر حسين خصباك، ص243- 245. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص261.

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، م3، ص213، قداوي: حكومة ولاية بغداد الايلخانية، بحث مقبول للنشر في مجلة اداب الرافدين، ص10.

(3) الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص186.

(4) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص470.

(5) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص453. اقبال: تأريخ المغول، ص247.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص461.

يكون الغوي طغريل بن منكو تمر مشاركاً لتلابغا في الحكم يساعدهم شقيق تلابغا كنجك بوقا أي ان يشترك الثلاثة في إدارة الحكم على ان يتصدرهم تلابغا[1].

اشترك الثلاثة في الحكم لمدة خمس سنوات[2] دون أن يقع بينهما خصام على السلطة غير ان اخطر ما واجه الثلاثة هوالتصدي لطموحات توقتا بن منكو تمر، حيث وجدوا فيه القدرة على منافستهم على السلطة لما فيه من شجاعة وبطولة وتأييد بعض الاخوة والخواتين له، لذا اتفقوا على الخلاص منه، ولكن توقتا شعر بما كان يبيت له الثلاثة من عملية لقتله فهرب والتجأ إلى سلقيجي بن براكاجي بن جوجي طالبا الحماية منه كونه الاكبر سناً والاكثر مكانة بين العائلة الحاكمة[3].

وهنا لم يتحرك تلابغا ومساعداه ضد توقتا كي لا يستثيروا سلقيجي والعائلة الحاكمة ولاسيما ان توقتا لم يكن قد قام بفعل عسكري او بمؤامرة واضحة المعالم ضدهم لتبرير رغبتهم بقتله.

شهد عهد تلابغا احداثاً سياسيةً خطيرةً اشترك فيها قائده العسكري نوغاي وعدد من أمراء البيت الحاكم لينتهي بحرب اهلية اطاحت بالكثير من رؤوس أبناء العائلة الحاكمة وكانت بدايتها عندما جهز تلابغا حملة عسكرية على بلاد الكرل ((بلاد الهنغار أي المجر)) لاعادة تثبيت ما كان لدولته من نفوذ عليها[4] فطلب من مقدم عسكره نوغاي بالمسير بمن عنده من العسكر ليجتمعا على الاغارة على بلاد الكرل[5] وسار نوغاي بعدد من التومانات من الجند التي تحت أمرتِه[6] باتجاه ترانسلفانيا، في حين غزاتلابغا بولندا و

---

(1) جامع التواريخ، ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص260. Saunders: The History of the Mongol. p. 161.

(5) علي، شرف الدين: تيمور تزوكاتي، ترجمه من الفرنسية إلى التركية، مصطفى رحيمي، استنبول، 1339هـ ص80. العدوي، ابراهيم احمد: العرب والتتار، دار القلم، القاهرة، 1963م، ص34.

(6) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص260. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص535. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص84. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص462.

تقدم بعد ذلك نحو ساندومير[1] والتقى الاثنان في الكرل ((هنغاريا)) منزلين فيها الدمار والقتل والنهب ثم اضطر بعد ذلك العودة لمداهمة الشتاء له وتكاثر سقوط الثلج[2]، فاستصعبت الطرقات فانفصل نوغاي بمن معه من العسكر وسار إلى بلاده سالكاً طريق سهلاً فوصل مشتاه[3] دون أية خسائر، في حين سلك تلابغا طريقاً آخر عبر ممرات جبلية شديدة الوعورة والمنحدرات فناله وعسكره غاية الضنك والضيق وهلك اكثرهم من شدة البرد والجوع لنفاذ القوت واضطر من سلم منهم على أكل لحوم خيولهم وكلابهم والموتى منهم فعزا ذلك على تلابغا وظن ان انفصال نوغاي عنه كان عملاً مقصوداً من أجل القضاء على جيشه تمهيداً لعزله ليحل محله او احلال غيره بدلا عنه فأضمر له الغدر وأبطن له الشر واتفق مع أصحابه ومواليه على الايقاع بنوغاي[4].

لم يكن نوغاي بذلك القائد السهل الذي لايعرف من يكيد له الشرور فهو الممارس في المكائد والخدع وتجربته السياسية والعسكرية الطويلة جعلته قادراً على إحباط من كانوا يكيدون له[5] ومنهم تلابغا ولذلك ما ان استشعر بمخاطر تلابغا حتى أخذ يعد لها بهدف الايقاع به[6] وكانت اولى خطواته في ذلك هو فتح جبهة الصراع مع الايلخانيين بهدف اضعافه حيث قاد في سنة (687هـ/1288م) حوالي 5000 الاف مقاتل عبر بهم الدربند باتجاه مازندران، حيث نهب قوافل التجار وصادر املاكهم وبضائعهم وخرب ما

---

(1) Saunders:The History of the Mongol , p. 161.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص260. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص535. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص84. الرمزي: تلفيبق الأخبار، ج1، ص462.

(6) يشير الرمزي في كتابه تلفيق الأخبار، ج1، هامش (1)، ص470 بأن مشتى نوغاي كان يقع في شبه جزيرة القرم شمال شرقي البحر الأسود.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص260-261، 285. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص535. آبن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص84.

(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص 285. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص462.

(6) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص285.

مر به[1] فما كان من الايلخان ارغون إلاّ أن ارسل قوة مـن عـشرة الآف مقاتـل للتـصدي لـه فعمـد نوغـاي للانسحاب بهدف جر تلك القوة إلى الـداخل لاسـتفزاز تلابغـا ولكـن تلـك القـوى اكتفـت بالمحافظـة عـلى الحدود والحيلولة دون السماح لنوغاي بإعادة الكـرة مـن جديـد[2] ويبـدو أن ارغـون كـان يـدرك اهـداف نوغاي من تلك الحركة، وانه كان لا يرغب بإعادة التوتر مع أبناء عمومته ولاسيما ان أوضاع بلاده الداخلية لا تسمح له بذلك إذ كان منشغلاً بالقضاء على حركة التمرد التي اشترك فيها عدد كبير مـن الأمـراء بقيـادة كبير أمرائه بوقا والأمير نوروز[3] وكان هذا التمرد مـن القـوة بحيـث عجـزت جيـوش الايلخـان ارغـون مـن القضاء عليها على الرغم من مقتل بوقا، إذ واصل نوروز التمرد حتى عهد غازان[4].

وعندما لم تنجح خطة نوغاي للايقاع بـين تلابغـا وآرغـون وجّـهَ نوغـاي اهتمامـه إلى الـداخل لغـرض الايقاع بتلابغا وجاءته هنا الفرصة الذهبية من قبل توقتا الذي كان على ما يبدو مطلعاً عـلى تطـورات التـوتر بين تلابغا ونوغاي فأرسل إلى نوغاي من يقول له ((إن بني الأعمام يريدون قتلي، ولانك أميرٌ كبيرٌ سوف التجـأ اليك لكي تحميني وتكف عني يد تطـاولهم، وسـأكون لـك مطيعـاً مـا دمـت حيـاً ولـن أخـرج عـن رضـاك))[5] فعندما اطلـع نوغـاي عـلى محتـوى الرسـالة تـصرف بمكـر وخديعـة لايهـام الجميـع بأنـه يريـد ان يؤلـف

---

(1) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص453. اقبال: تأريخ المغول، ص247.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ م2، ج2، ص155. اقبال: تأريخ المغول، ص247.

(3) الصياد: الشرق الإسلامي، ص164-166. الأمير نوروز: هو ابن ارغون آقا احد زعماء قبيلـة اويـرات المغوليـة، ارتـبط بعلاقـة مصاهرة مع الأسر الايلخانية بزواجه مـن طغـانجوت ابنـة آباقـا خـان وبهـذا الـزواج غـدا لـه شـأن كبـير لـدى الأسرة الايلخانية الحاكمة حتى إنه أصبح من الأمراء المقربين والمخلصين لارغون وكان سبباً في ايصال ارغون ومن بعده غـازان لمنصب الايلخانية. وللتفاصيل ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص6-7، 105، 111، 128، 137، 148-149. قزوينـي: تأريخ كزيدة، ص602-603. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص391.

(4) الصياد: الشرق الإسلامي، ص281-283.

(5) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص126.

بين المتخاصمين توقتا وتلابغا في حين كان اتفاقه مع توقتا على الايقـاع بتلابغـا وإحلالـه محلـه عـلى كـرسي الخانية[1] ولتطبيق خطته تظاهر بالمرض وغادر مشتاه في ولاية اوروس متنقلا بين الولايات وكلما مر بـأفراد كتيبة او أمير كان يعمل على استمالتهم إلى جانبه ويقول لهـم ((لقـد ادركتنـي الـشيخوخة فتركـت العنـاد والجدل والفتنة وليس لدي تفكير في مجادلة أي مخلوق او محاربته لكن لدينا امر صريح مـن جنكيزخـان بأنه لو سلك أي شخص مسلك الضلال في رعاياه واتباعه وشتت شـملهم فعلينـا تحقيقـاً لهـذا القـول - ان نؤلف بين قلوب المتنازعين بعضهم مع بعض))[2].

فلما سمع افراد الكتائب والجنود هذا القول المعسول إنقادوا له واطاعوه[3] حتى اذا ما اقترب مـن معسكر تلابغا واعوانه ارسل إلى توقتا رسالة يقول فيها ((يجب ان تكون مستعداً وان تحضر مع ما لـديك من الجند بعد اطلاعك على الرسالة))[4] هذا في الوقت الذي اوحى لبعض المقربين ممّن قـابلهم مـن أتبـاع تلابغا بأنه على حافة الموت اذ كان يشرب قليلاً من الدم خِلسةً ثم يتقيأه امامهم وكان يشدد في كلامه على انه يريد حسن الخاتمة مع أبناء قومه بالصلح ونبذ الخصام[5].

وعندما أُبلغت ام تلابغا بما شاهدوه من عجز نوغاي ومرضه وقعت هي الأخرى في الوهم وطلبت من ابنائها قائلة لهم ((اعلموا جيدا أنه يجب الأسراع بقدر المستطاع إلى صحبة ذلك الشيخ الضعيف الـذي ترك الدنيا، واعتزم السفر إلى الاخرة فإذا تهاونتم وقصرتم في ذلك فإن لبنَ الأم يكون حراماً عليكم))[6].

(1) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.
(2) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.
(3) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.
(4) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.
(5) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.
(6) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.

فأطاع الأبناء كلام امهم دون حذر وحيطة وقدموا إلى نوغاي لعيادته[1] فقال لهم على سبيل النصح ((يا أبنائي.. لقد خدمتُ اباءكم وثبت لي عليهم أنواع من الحقوق قديما وحديثا، ومن هذا الوجه يكون لكم كلامي البعيد عن الهوى جديراً بالاستماع، وذلك حتى استبدل بمخالفتي لكم موافقة حقيقية، ان مصلحتكم في الصلح فاعقدوا القوريلتاي حتى اصلح بينكم))[2] وصار يتقيأ الدم من حلقه بين الحينةِ والأخرى مزيداً من الايهام وكسباً للوقت لحين وصول توقتا، وما أن وصل توقتا حتى انقض عليهم فجأة ليتخلص منهم بالقتل وكان من جملة هؤلاء تلابغا[3].

أما المصادر العربية التي تناولت الحديث عن هذا الصراع ففيها بعض الاختلاف عن رواية الهمذاني ولاسيما منها ما يتعلق بنوغاي الذي تسميه نوغينه[4] فتشير بأنه اظهر الاستبداد وكان من جملة أسباب حقد تلابغا عليه فضلاً عما ذكر عن غزوة بلاد الكرل انه قتل آمرأة كنجك بوقا شقيق تلابغا بطريقة بشعة كما قتل أميراً كان في خدمتها وزوجة كنجك كانت لها مكانة كبيرة بين الأمراء فأثار ذلك حفيظة زوجها واخيه تلابغا اللذين اجمعا على الفتك به وارسلا إلى نوغاي باستدعائه فاكتشف نوغاي نواياهم، فأخفى معرفته تلك وأخذ يظهر نصائحه وخاطب والدتهما بأن عنده نصائح يود إلقائها على ولديها ولكنها ثنتهما عن الذهاب اليه وأشارت عليهما باستدعائه والاطلاع في مكان يخلو من عساكر الخان الا في ثلة قليلة للحماية الشخصية وفي المقابل تعهد نوغاي ان يحضر دون عسكر مصطحباً معه سبعة من أولاد عم تلابغا وهم خصمه توقتا ((طقطاي)) واخوته الفي وطغرلجا وصراي بغا وقدان وملغان، وقتغان أبناء منكوتمر الذين كانوا قد انحازوا إلى جانب نوغاي باستثناء الغوي طغريل الذي كان مع تلابغا مناصراً له وخلال المسير فوجيء تلابغا ومن معه بمن كمن له من أتباع نوغاي فأحاطوا بالخان والقوا القبض عليه دون مقاومة فسلموه لنوغاي مع طغريل وعدد آخر من اتباع

(1) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص127.
(2) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص128.
(3) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص128.
(4) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص535.

تلابغا وهنا خاطب نوغاي توقتا ((طقطاي)) قائلا له ((ان تلابغا قد تغلب على ملك ابيك وهـؤلاء موالـون معه لقتلك وقد سلمتهم اليك فاقتلهم أنت كما تشاء)) فقتلهم بكسر ظهورهم بما فيهم تلابغا وذلـك سـنة (690 هـ/1290م)[1]، وسواءٌ أخذنا برواية الهمذاني ام برواية المؤرخين العرب فإن الاثنين اتفقا على ان مقتـل تلابغا حدث على يد توقتا بمساعدة نوغاي الذي كان بإمكانه ان يكون هـو الخـان ولكنـه فـضَلَ ان يكـون توقتا هو بدلا عنه ليدير هو من ورائه السلطة حيث أجلسه على كـرسي الخانيـة[2] وعـيّنَ إلى جانبـه أخـوة توقتا يتولون بعض شؤون الحكم[3]، ثم غادر بعد ذلك العاصمة سراي إلى مشتاه في شَبه جزيرة القرم بعـد أن رتب شؤون الحكم[4].

استفتح توقتا خان حكمه بالاعداد لغزو أوربا بهدف اشـغال الجميـع في الغـزو الخـارجي ليـصرف نظرهم على ما حدث من صراعات داخلية خلال فترة وصوله للخانية، فغـزا بولنـدا سـنة (690 هــ/1291م) كـما ارسـل فرقـة عـسكرية دمـرت مدينـة كافـا[5] وطـردت مـن فيهـا ومـن في شـبه جزيـرة القـرم مـن التجارالجنويين وذلك انتقاماً منه لهم لما قاموا به من استرقاق لأولاد المغول وبيعهم في أسواق الرقيق[6].

اتبع توقتا نهـجَ أسـلافِهِ في الابقـاء عـلى سياسـة التحـالف التقليـدي مـع مماليـك مصر وبلاد الشام[7] وخفف من حدة التوتر الـذي كـان قائمـاً مـع أبنـاء عمومتـه المغـول

---

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص285-286. التحفة المملوكية، ص129. ابن الوردي: تأريخ ابن الوردي، ج2، ص337. آبـن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص535 – 536. المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص775. ابن تغـري بـردي: المنهـل الـصافي، ج4، ص84.

(2) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص465 – 466.

(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص286. شبولر: العالم الإسلامي، ص97.

(4) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص128. المنـصوري الـدوادار: زبـدة الفكـرة، ص286. ابـن خـدلون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص466.

(5) كافا: مدينة تجارية تقع بين اسطنبول وشبه جزيرة القرم. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص327.

(6) عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص121.

(7) القصاب: مغول القفجاق، ص170.

الايلخانيين على عهد كيخاتو[1] (690- 694هـ/1290-1294م) وفيما يتعلق بـالروس فأنـه دعـم سـيطرته عـلى تلك البلاد من خلال ابقاء تبعيتها لبلاده وعندما اظهر ديمتري حاكم إمارة الروس التمرد على الخانيـة سـنة (693هـ/1293م) أرسل توقتا ((طقطاي)) أخاه دودين على رأس قوة عسكرية هاجمت بلاد ديمتري الروسية مثل مدن موسكو ومورم وسوزدل ويوريف وبرصلا وأوكلج وقلمنا فاسـتولوا عليهـا ونهبوهـا وأسروا أهلهـا وباعوا الكثير منهم كرقيق ومن نجا فقد احتمى بالغابات، أما حاكم هذه البلاد ديمتري فقد اختفى في بلدة رصكوف فعين دودين بدلا عنه أخاه الأمير أندريه الذي كان على خصام مـع أخيـه ديمـتري فـاظهر اندريـه الطاعة والتبعية للخان توقتا وبذلك يكون توقتا قد أحكم سيطرته على بلاد الروس[2].

وفي الداخل ارتأ نوغاي تصفية ما تبقى من الأمراء ممّن كانوا قد ساندوا تلابغا ضده وعارضـوا تنصيب توقتا على كرسي الخانية ففي سنة (692هـ/1293م) أرسل نوغاي زوجته بيليق خـاتون تحمـل رسالة إلى توقتا الذي استقبلها بالاعزاز والاكرام واحتفى بها غاية الاحتفاء فأقامـت الـضيافة أيامـاً ثـم سألها عن سبب مجيئها فقالت له: ((إن نوغاي يـسلم عليـك ويقـول لـك قـد بقـيَ في طريقـك قليـل شوك فتنظفه فقال ما هو الشوك))[3] فسمت له الأمراء الـذي ذكـرهم لهـا نوغـاي وهـم زهـاء ثلاثـة وعشرين أميراً[4] وهم الذين كانو قد اتفقوا مع تلابغا ضدك وضد نوغاي، فلما ابلغته الرسالة وسـمت لـه هـؤلاء الأمـراء أخـذَ في طلـبهم واحـداً بعـد الآخـر وقـتلهم جميعـاً[5] وبعـدها عـادت بيليـق

---

(1) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص453. فوزي، فاروق عمر ومرتضى، حسن النقيب: تأريخ ايران، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1989 م، ص208.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص467 – 468.

(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص466.

(4) عن اسماء هؤلاء الأمراء ينظر المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294.

(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294. آبـن خلـدون: تـأريخ آبـن خلـدون، ج5، ص536. الرمـزي: تلفيـق الأخبـار، ج1، ص466.

خاتون إلى زوجها نوغاي فأعلمته بقتلهم جميعاً عند ذاك زال قلق نوغاي فسكن روعه منهم إذ كان يعد أولاده للحكم من بعده في السلطة وكان يعتقد ان هؤلاء كانوا يقفون في طريق تنفيذ هدفه هذا فأزالهم بهذه الطريقة[1] ويشير الرمزي انه بعد مقتل هؤلاء أخذ ((أولاده وأتباعه يتحكمون في البلاد ويجرون احكامهم على العباد))[2]. وكان له من الأولاد الذكور اربعة هم: جكا ((جوكه جحك)) وتكا ((بكة)) وكاتا ((بوري))[3] وطراي[4] وابنة تسمى طغلجة وابن بنت يسمى قطاجي وكانت ابنته هذه متزوجة لشخص يسمى طازبن منهجك فقويت شوكة هؤلاء وتمكنت مهابتهم وسيطرتهم دون ان يحد منها نوغاي[5] الذي غدا هو الحاكم الفعلي للبلاد[6] حتى إن سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام ممن عاصروه كالسلطان المنصور قلاوون وابنه الاشرف خليل والناصر قلاوون كانت لهم معه مراسلات وهدايا لإدراكهم انه المتحكم في البلاد[7].

وعلى ما يبدو ان تحكم نوغاي وأبناء عائلته في شؤون الحكم اثار حفيظة توقتا الذي ضاق ذرعاً من ذلك لذا أخذ يعد العدة للايقاع به فبدأ اولاً بتصفية المحسوبين على نوغاي ممن كانوا معه في البلاد فابتدأ أولاً بأخويه اللذين كان نوغاي قد الزم توقتا بأن

---

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294.

(2) تلفيق الأخبار، ج1، ص466.

(3) يوجد بعض الاختلاف في مسميات اولاد وأحفاد نوغاي بين المصادر وهذا الأمر يسري على الكثير من المسميات المغولية وثمة صعوبة في مقارنتها لكثرتها ولذلك احياناً نذكر الاسم حسب ما يردنا في اكثر المصادر دقة ونضع الاسم الاخر بين قوسين لغرض الايضاح ومنعا للالتباس.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص129. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294. ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص466.

(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص466.

(6) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294، 322. شبولر: العالم الإسلامي، ص97.

(7) ابن ايبك: كنز الدرر، ج9، ص128. الحجي: العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، ص17.

يكونا شركاء له في الحكم فقتلهما[1]، كما استطاع ان يضم من بقي من عائلة تلابغا إلى جانبه موعداً اياهم بالاقتصاص من نوغاي الذي عدّهُ هو المحرض على قتل تلابغا[2] كما انضمت اليه زوجة نوغاي بيليق خاتون التي اخذت تحرض توقتا على قتل زوجها وابنه جكا وتكا اللذين كانا قد أساءا معاملتها[3] غير ان القشة التي قصمت ظهر البعير وأشعلت فتيل الحرب بينهما كانت قضية سالجيداي كوركان وقيان، وأصل المشكلة بدأت عندما طلب سالجيداي - الذي هو قريب لتوقتا وأميرٌ كبيرٌ في قصره - لابنه يـيلاق ابنة نوغاي المسماة قيان فوافق نوغاي وتم الزفاف وبعد مدة اعتنقت قيان خاتون الإسلام، فلم يرضَ بذلك ييلاق لانه كان يدين بالشامانية وأخذت تتعرض للاذى والاحتقار، فأخبرت أباها الذي عدّ ذلك إهانة له ولعائلته فأرسل رسالة إلى توقتا يقول فيها ((ان الناس يعلمون كيف تحملت المتاعب والمشقات في سبيلك ونسبت إلى نفسي عدم الوفاء ونقض العهود حتى استخلصت لك بالحيلة العرش والآن يحكم سالجيداي نويان على ذلك العرش، فلو أراد الابن توقتا ان تكون قاعدة الابوة والبنوة ممهدة بيننا فإن عليه ان يسلم سالجيداي وابنه اليّ))[4].

ولكن توقتا لم يجبه إلى طلبه فبعث نوغاي ثانية رسولاً يطلب تسليمه فقال توقتا ((انه لي بمثابة الوالد والمربي والأمير فكيف أسلمُهُ إلى العدو؟))[5].

وهنا أدرك نوغاي ان توقتا انقلب عليه لذا كان لابد من التصرف لاضعافه فأخذ عن طريق زوجته جوني التي كانت حاذقة تجيد فن الاقناع وبمساعدة ابنائها الثلاث جكا ((جوكيا)) وتكا ((بكة)) وكاتا ((بوري)) تمكنت من استمالة عدة كتائب لتوقتا حيث

---

(1) شبولر: العالم الإسلامي، ص97.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص364-365.

(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص294، 321. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص469. الحجي: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، ص17.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص128-129.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص129.

التحقوا بمعسكر نوغاي فاستشاط من ذلك توقتا وطلب من نوغاي استعادة كتائبه ولكن نوغاي لن يوافقه الا بشرط تسليم توقتا سالجيداي وابنه ييلاق له[1].

وهنا وضع توقتا نهاية للتفاوض عندما أرسل له أحدَ رسلِهِ إلى نوغاي حاملاً معه كمية قليلة من التراب ومعه محراث وسهم ونشاب فلما عرض الرسول على نوغاي ما يحمله قال إن لهذا الخبر رمزاً فطلب جمع كبار قومه وذوي المشورة وقال لهم: ((ما عندكم في هذا الرمز وما قصد توقتا بإرسال التراب والنشاب والمحراث، فقال كل منهم مقالاً وجال في تأويلها مجالاً فقال ما أصبتم القصد وأنا الذي سأخبركم بمراده وأعرفكم بقصده فأما المحراث فهو يقول ان نزلتم إلى أسفل الأرض أطلعتكم بهذا المحراث، واما النشاب فيقول: وإن طلعتم الجو أنزلتكم بهذا السهم، وأما التراب فيقول اختاروا لكم أرضاً يكون فيها الملتقى))[2] وهكذا فهم نوغاي محتوى الرسالة وقال للرسول قل لتوقتا ((إن خيلنا قد عطشت ونريد ان نسقيها من نهر تن))[3] وهو نهر بقرب العاصمة سراي حيث مقر الخان توقتا ومساكن اتباعه[4] وعاد الرسول فبلغ توقتا بالجواب[5].

وهكذا غدت الحرب أمراً لا مفرّ منه، فاستعد لها الطرفان، ويشير الهمذاني ان توقتا جمع عسكراً قُدِرَ عددُهُ بثلاثمائة الف جندي خيم به على ضفاف نهر تن صيف سنة (699هـ/1299م)[6] أما نوغاي فهو الآخر جمع عسكراً كبيراً قدر بحوالي مائتي الف فارس[7] فضلاً عن عدد من الكتائب التي سبقت ان انفصلت عن عسكر توقتا وانضمت إلى نوغاي[8] وكان على راس هذه الكتائب عدد من الأمراء من أبناء قرمشي هم أباجي

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص129.
(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص321. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص469.
(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص321.
(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص469.
(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص322.
(6) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص129.
(7) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص322.
(8) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص129.

وقراجين واينجي[1] وكان هؤلاء من القوة ما جعل المؤرخ المنصوري الدوادار يقول عنهم ((انهم كانوا يظاهرون نوغاي في المنزلة والتقدم وعدة العسكر))[2].

وهنا أدت الخبرة العسكرية دوراً مهماً في حسم نتيجة المعركة حيث نوغاي القائد المتمرس الذي خبر جميع أساليب القتال وساحات المعارك وظل على كرسي القيادة العسكرية عقود عديدة منذ عهد باتو[3] وفي المقابل توقتا الشاب الذي لا يملك من الخبرة ما تجعله قادراً على مجاراة شيخ قضى عمره على صهوة جواده وهكذا تمكن نوغاي من جر عسكر توقتا إلى موقع يسهل الانقضاض عليهم يسمى ((تجسماري)) على نهر تن لتقع المعركة التي انتهت بهزيمة ساحقة بعسكر توقتا حيث ((من عبر النهر سلم ومن هوى به فرسه غرق)) وأمر نوغاي عسكره بأن لا يتبعوا من هرب ولا يجهزوا على جريح وأخذ الغنائم والسبايا والأسلاب وعاد إلى بلاده، أما توقتا فتقهقر حتى العاصمة سراي[4] وقدر ماركوبولو عدد قتلى الطرفين بحدود ستين الف جندي[5].

أخذ كل طرف بعد هذه المعركة يعمل على إضعاف الطرف الاخر من خلال إغارة كل طرف على مناطق نفوذ الطرف الاخر فضلا عن العمل على تشكيل تحالفات مع قوى مغولية أخرى ضد الاخر فقد عمد نوغاي الاغارة على مدينة كافا التجارية التي سبق ان ضمها توقتا لنفوذه والتي كانت مصدراً لخزينة العاصمة سراي حيث كان يؤمها مختلف التجار من مختلف البلدان ولاسيما الاوربية والشامية والمصرية[6] فأنزلوا بها الدمار والحرق بعد ان نهبوا تجارها من المسلمين والاوربيين وذلك اواخر سنة (698هـ/1298م)[7].

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص322. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص496.
(2) زبدة الفكرة، ص328.
(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص322. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص366.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130.
(5) رحلات ماركوبولو، ص366.
(6) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص327.
(7) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص327 . الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص470.

وفي المقابل قاد توقتا توقتا عسكره وتوجه به نحو مدينة سوداق التجارية الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي للبحر الاسود[1] حيث قتل معظم اهلها ثم القى فيها النار وتركها دكاً انتقاماً لما فعله نوغاي في مدينة كافا[2] وعلى الجانب الاخر سعى الطرفان لتحسين علاقتهما مع أبناء عمومتهما من الأسرة الحاكمة الايلخانية وكان يحكمها آنذاك الايلخان غازان (694-703هـ/1295-1303م) الذي ارسل نوغاي مبعوثا عنه يطلب منه قبول ان يكون تابعا له أي لغازان لقاء مساعدته ضد توقتا[3].

وهنا يذكر الهمذاني ان هذا العرض كان فرصة طيبة لغازان لو استغلها لحاز بها على املاك خانية مغول القفجاق ولكن بدلا من الاستجابة كان رد غازان بالقول ((انه في هذا الوقت يكون الغدر وخلف الوعد بعيدين عن المروءة كما ان المكر والتمويه صفتان مذمومتان ومحظورتان في العقد والشرع والقانون ورغم انه تربطنا بنوغاي صداقة تامة، فإننا لا نتدخل في خصوماته ومنازعاته انتهاز الفرصة السيئة خصلة غير محمودة ولاسيما من الملوك والعظماء))[4].

وفي المقابل كان توقتا يبعث الرسل لغازان ((مظهراً له الاخلاص والمودة)) ولكن غازان لم ينحاز لأحد الطرفين وكان يجمع رسل الفريقين ويقول لهما ((لن أتدخل فيما بينكم، ولن اغتنم الفرصة السيئة وإذا انتم ايضاً عقدتم الصلح مع بعضكم البعض لكان هذا امراً مستحسنا وطيباًٍ))[5].

كما أكد غازان على ضرورة امتناع الأمراء الكبار من الأسرة الحاكمة في إثارة الفتنة وان ينبذوا الخصومة واكد للطرفين انه لن يبدأ الخصومة ولاالتحيز لأي منهما ولن يسلك سبيل اثارة الفتنة بينهما كي ((لا تؤول الينا الخسائر))[6].

(1) الصياد: الشرق الإسلامي، ص553.
(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص470.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131.
(4) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131-132.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص132.
(6) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص132.

وهكذا امتنع غازان عن تقديم الدعم العسكري لأي منهما لأنه كان خلال ذلك منشغلاً بحملته الكبرى على بلاد الشام حيث كانت عساكره قد عبرت في ربيع الأول سنة (699هـ/1299م) نهر الفرات وهي في طريقها لمواجهة الجيش المملوكي الذي كان يقوده السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1] وان مساعدته لواحد منهما قد يستفز الاخر ليستغل غيابه للاغارة على البلاد ولاسيما العاصمة تبريز القريبة من الحدود الجنوبية لبلاد القفجاق.

سادساً: مقتل نوغاي وانهيار مملكته

كان نوغاي قد بلغ أعلى المقام بهزيمة توقتا سنة (699 هـ/1299م) فأصبح سيداً على أجزاء واسعة من بلاد القفجاق اذ امتدت مناطق نفوذه من نهر الدون الذي يصب في الجهة الشمالية الشرقية من البحر الاسود في خليج ازوف ومن جبال القوقاز شرقاً حتى مصب نهر الدانوب غرباً فتشمل بذلك الأراضي التي يطلق عليها في وقتنا الحاضر جورجيا واجزاء من اذربيجان والأراضي المنبسطة من اوكرانيا واجزاء من سهول هنغاريا وبلغاريا وشمال اليونان[2] وهكذا غدت بلاد القفجاق منقسمة على نفسها يحكمها خانان هما توقتا ((طقطاي)) وعاصمته سراي، ونوغاي الذي كانت مدينته قريم في شبه جزيرة القرم مقرا لحكمه[3].

كان نوغاي قد بلغ من العمر عتياً اذ قدر عمره بما يزيد عن التسعين عاماً[4] وهو يوصف حاله في اخر عمره بأنه رجل هرم وضعيف[5] وكان ابناؤه قد تمكنوا منه فأخذوا

---

(1) الصياد: الشرق الإسلامي، ص290 -291.

(2) Saunders:The history of the Mongol. p. 168.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص470، الهامش رقم (1).

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. Saunders: The history of the Mongol. p. 163.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130-131.

يخرجون عن طاعته[1]، كما أن الأمراء أبناء قرمشي الذين سبق لهم ان انفصلوا عن توقتا بانضمامهم إلى نوغاي[2] بدأ هؤلاء يثيرون المتاعب لنوغاي حيث كان بمعيتهم عدد من الكتائب وحدث ان طالب هؤلاء بنصيبهم من الغنائم التي كان قد حصل عليها نوغاي من حروبه التي اشتركوا فيها كأن كانوا يطمعون في ان يكون لهم نفوذ في ادارة البلاد ولما كان أبناء نوغاي هم المتحكمين في البلاد فمنعوهم عن ما يستحقونه من تكريم[3] فأثار ذلك حفيظتهم عند ذاك اعلنوا ندمهم وأرسلوا رسالة إلى توقتا يقولون له فيها ((نحن عبيدك ومطيعون لك فإذا عفا الخان عنا فإننا سوف نعتقل نوغاي ونسلمه له))[4].

ولكن أبناء نوغاي علموا بما احتوت تلك الرسالة وارادوا الاقتصاص من أبناء قرمشي لذلك تجهزوا لهم فوقع القتال ولم تحسم المعركة في اليوم الأول وفي اليوم الثاني هرب أحد أمراء أبناء قرمشي وهو الأمير قطغو مقدم الف فارس وانحاز إلى جانب أبناء نوغاي[5] كما تمكن أبناء نوغاي من استمالة الابن الاصغر لقرمشي الأمير ينجي الذي طلبوا منه ان يسأل اخوته في الصلح فعاد اباجي يعرض عليه ما طلبوه من المسالمة ونبذ القتال فوافقهم وتوجه بنفسه اليهم[6] اما اخوهما قراجين فأنه كان اثبتهم جأشاً واكثرهم معرفة بدقائق الامور[7] فرفض طلبهم فراسلوا والدته فأشارت عليه بالصلح عند ذاك خضع لطلبها وتوجه إلى أبناء نوغاي عندها خدعوه واخوته، وبدلا من الترحيب بهم دبروا مؤامرة قتل فيها أباجي وقراجين وتمكن ينجي من الهرب والنجاة بنفسه ونهب

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص471. Spuler: Die Golden Horde. p.70.

(2) عن أسماء هؤلاء الأمراء ينظر المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص346

(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص328. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص471.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536.

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص471.

(6) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص328.

(7) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص471.

اولاد نوغاي معسكر أبناء قرمشي، هذا في الوقت الذي انزلوا باتباعهم قتلاً وأسراً وسبياً[1] وهكذا امتدت ايدي أبناء نوغاي بهذا العمل على سلطة أبيهم.

بقي نوغاي على الرغم من المهابة التي كان يملكها على عسكره غير قادرٍ على الحد من سلطة أبنائه الذين دبَّ الخلاف بينهم على من يتحكم بأمر البلاد وغدا كل واحد منهم يوسع مناطق نفوذه على حساب الآخر مثيرين الدسائس والفتن بين الأمراء طمعاً في كسب كل واحد منهم العدد الاكبر من الأمراء إلى جانبه فأثار ذلك الكثير من الأمراء الذين لم يعودوا يأمنون على أنفسهم من غدر أبناء نوغاي لهم ولذلك انسلخ الكثير منهم عن سلطة هؤلاء وانضموا إلى توقتا[2] كما انضم معهم اكثر من 30.000 الف مقاتل[3] ومع ذلك لم تُثِرْ هذه الواقعة مخاوف الأبناء الذين استمروا في صراعاتهم اذ اوقع جكا بأخيه تكا ((بكة)) عندما اتفق مع بعض الأمراء على ارسال من يقول له ((نحن جميعا كنا نتشاور من أجلك فان أسرعت إلينا ولبناك أمرنا)) فلما ذهب اليهم حبسوه ولكن حبسه لم يدم طويلا اذ تمكن بمساعدة ثلاثمائة من اتباعه من فك أسره حيلة فالتجأ إلى أبيهِ نوغاي[4].

كان توقتا خان مطلعاً على أمر الخلاف بين أبناءنوغاي ومدركا عن طريق الأمراء الذين هربوا عنده ان نوغاي لا سلطة له على الأبناء ولذلك اخذ يعد العدة العسكرية للقضاء على نوغاي وأبنائهِ وجمعَ لحربهم من العساكر اعداداً كبيرة حتى إن الهمذاني قدر العدد بـ 600 الف مقاتل[5] وهذا الرقم مبالغ فيه اذ ليس من السهولة بمكان جمع مثل هذا العسكر وتوفير مستلزمات إدامته من تموين ومعدات ونقل ولكن في كل الاحوال كان عسكره يفوق عدداًعسكر نوغاي وأبنائه نظراً لتوالي تخلي اعداد كبيرة من اتباعهم

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص328. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1،ص 471.
(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص346. وعدد الرمزي في تلفيق الأخبار، ج1، ص472 اسماء الأمراء الذين انضموا إلى توقتا وهم ماجي وسدن واتراج واق بغا.
(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص346.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130.
(5) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130.

إلى جيش توقتا بسبب استمرار حماقات أبنائه تجاه عسكرهم[1] وعندما شعر الأبناء بمخاطر استحضارات توقتا عند ذاك تناسوا صراعاتهم وانضموا إلى عسكر والدهم أملاً بالايقاع بتوقتا ولكن الوقت كان قد فات اذ كانت عساكر توقتا على بعد يومٍ من معسكر نوغاي[2] وهنا أراد نوغاي العودة إلى حيلهِ القديمة للايقاع بتوقتا ولكن الزمن والتجربة كانت كفيلة في جعل توقتا قادراً على فهم الاعيب وخدع نوغاي، لذا عندما ارسل نوغاي إلى توقتا من يقول له ((لم اكن اعلم ان الملك سيصل بنفسه فإن ملكي وجيشي انما هو ملك للخان وأنا رجلٌ هَرِمٌ وضعيفٌ، عاش عمره كله في خدمة آبائك، واذا حدث تقصير بسيط فهو ذنب الأبناء فأتوقع من كرم الملك ان يعفو عن ذلك الذنب))[3]، غير ان توقتا حرص على القتال ادراكاً منه ان نوغاي متى يتقوى عليه سيقتلُهُ وبالفعل نوغاي خلال ذلك كان يعد العدة ليداهم عسكر توقتا حيث كان في السر قد أرسل آبنَهُ جكا على رأس جيش كبير لكي يعبر نهر ترك ويداهم توقتا وجيشه، واتفق ان قبض طلائع عسكر توقتا على احد الجواسيس فذكر لهم حقيقة الموقف فلما اطلع توقتا على نواياهم امر جنده بالاستعداد والزحف للقتال والتحم الجند من الفريقين في قتال سنة (699هـ/1299م) في موضع يقال له كوكان لك[4] حيث دارت فيها رحى حرب طاحنة وقودها مئات الاف من الجند، اذ كان عدد جند نوغاي بحدود مئتي الف جندي[5] وبسبب الكثرة العددية لجند توقتا واصرارهم على هزيمة نوغاي وافتقار عسكر نوغاي للتماسك اذ كانت الخصومة بين الأبناء قد أضعفت من عزيمتهم على القتال على الرغم

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130.
(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص472.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص130 – 131.
Spuler: Die Golden Horde , p. 70.
(4) كوكان لك: موضع يقع على نهر ترك، ينظر المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347 الهامش رقم (1).
(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536.

من ان نوغاي كان صاحب الحنكة العسكرية الذي لم يعرف الهزيمة ولكن الخبرة وحدها لا تكفي لتحقيق النصر اذا لم تضاف اليها العوامل الأخرى منها وحدة القيادة والعدد الكاف من الجند وتماسكهم وتوفر الارادة لتحقيق النصر وعلى ما يبدو ان جميعها كانت غائبة باستثناء الخبرة قياسا لعسكر توقتا الذين كانوا جميعا منقادين تحت لوائه راغبين في تحقيق النصر وبالفعل تمكن توقتا وعسكره من هزيمة نوغاي وأبنائه حيث قتل عشرات الاف من الجند[1] لتبان النتيجة لصالح توقتا حيث هرب من ساحة المعركة اولاد نوغاي تاركين والدهم يقاتل بشرف ظنا منه انه سيحقق النصر[2] وعندما تيقن ان الأمر خرج عن نطاق سيطرته على جنده عند ذاك التجأ بعربته إلى احد الوديان لإعادة ترتيب ما تبقى من عسكره، ولكن لم يلحق به احد لذلك وقع بيد أحد الروس ممن كانوا في المنطقة فعرف نوغاي نفسه به وبدلا من توفير ملجأ أمن له تعمد الروسي قتله[3] بقطع رأسه حيث حمله إلى توقتا طمعاً في التكريم[4].

وعندما قدم الروسي برأس نوغاي إلى توقتا خان خاطبَهُ الخان قائلاً ((ما أعلمك انه رأس نوغاي، قال إنه عرفني بنفسه واستوقفني عن قتله، فلم اصغِ إليهِ وأجهزتُ عليه[5] فغضب توقتا على الروسي وأمر بقتله لانه تجاوز القيم المغولية التي كانت تنص على انه لا يجوز أن يُسالَ دم من هم منحدرون من عروق الأسر الملكية[6] اذ كانت الاعراف تقتضي اذا كان لابد من قتلهم ان يكون بطريقة الخنق او الرفس بأرجل الخيل

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. شبولر: العالم الإسلامي، ص97.
(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347-348. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص472.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص472. شبولر: العالم الإسلامي، ص97.
(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص472.
(5) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347.
(6) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص472.

او الغرق او بطرق مشابهة لذلك، كما انه لا يجوز للعامة الحق في تنفيذ حكم القتل وان ذلك من اختصاص أمراء كبار كي تبقى حرمة لمن هم من الطبقة العليا[1].

كما ان توقتا أراد بقتل الروسي كي لا يتهم بأنه قتل رجلاً كبيرَ السن كان له شأن كبير في ايصاله إلى منصب الخانية، وهكذا بمقتل نوغاي ازيح عن توقتا اخطر منافس له على السلطة واصبح امر القضاء على أبنائه لا يتعدى مسألة وقت لان توقتا كان قد اجهز على الكثير من اتباعهم كما سبى الكثير من ذريتهم ونسائهم حيث بِيعَ قسمٌ منهم فاشتراهم أمراءُ المماليك في مصر وبلاد الشام[2].

عاد أبناء نوغاي إلى بلادهم بعد هزيمتهم القاسية ومعهم قلة من العسكر، ولما كان كل منهم يريد السلطة لنفسه انفجر الصراع ثانية بينهم[3] وهنا أدرك تكا ((بكة)) ووالدته جوني ((إن الصلاح ان نترك الخلاف ونذهب إلى توقتا))[4] فخشى جكا تلك الرغبة فدبر مؤامرةً قتلَ فيها أخاه تكا وأمه جوني[5] ولكن ما فعله سرعان ما كشف فأثار ذلك حفيظة أمراء جكا ومنهم نائبه طنغور الذي قال للأمير طاز أبي منجك صهر نوغاي ((إذا كان جكا لم يبق على أخيه وشقيقه فكيف يبق علينا))[6] وهو المعروف عنه بسوء السيرة فاتفقا على ان يقبضا عليه وعند تنفيذ الأمر اكتشف امرهما من قبل أحد الأمراء الذي أسرع لابلاغه فما كان منه الا ان هرب مع مائة وخمسين من اتباعه إلى قلعة حيث

---

(1) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص472.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص473.

(3) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص347-348. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص473.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص348. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص 474 – 475.

احتمى فيها[1] اما الأمير طنغور وطاز فما ان علما بهروب جكا حتى قاما بالاغارة على معسكره حيث نهبوا ما فيه ثم توجها إلى القلعة ولكنهما فشلا في اقتحامها نظرا لحصانتها عند ذاك ارسلا إلى توقتا يعلنان انضمامها له ويطلبان المساعدة للقبض على جكا فأرسل توقتا اخاه برلك السراي على رأس قوة كبيرة ولكن جكا تمكن من التسلل خفية ليلتجأ عند نائب له كان يحكم في بلاد الكلز وهناك تجمع اتباعه وقويت شوكته فعاد لحرب مخالفيه طنغور وطاز فالتقى الجمعان فاستظهر عليهم جكا وكسرهم وفرق شملهم واسترد منهم معسكره ومنازله ولكن الأمر لم يستقم له اذ سرعان ما داهمته عساكر توقتا التي كان على رأسها برلك سراي فاضطر للهرب عند قريب له كان يحكم أحد مقاطعات أبيه نوغاي، فخاف هذا ان تداهم عساكر برلك له لذلك اثر كسب ودها وود الخان توقتا بأن قام بالقاء القبض عليه وأعلم توقتا بذلك فأمره بقتله فقتله وذلك سنة(701 هـ/1301م)[2] وبمقتله تكون مملكة نوغاي قد انهارت ويكون توقتا قد أعاد توحيد البلاد حيث نصب على بلاد نوغاي أمراء من قبله من الأسرة الحاكمة وبهذا التوحيد للبلاد تكون قد طويت صفحة من تأريخ الصراع بين أمراء الأسرة الحاكمة من سلالة جوجي ليبدأ عهد جديد كان اقل احتداماً اذ ما قيس بما خلفته حروب الزعامات آنفة الذكر.

سابعاً- توقتا واظهار العداء لغازان وخدابندا ((اولجايتو))

لم يكد توقتا خان ينتصر في الحرب الاهلية على نوغاي واولاده حتى انشغل بصراع مع أبناء عمومته حكام الدولة المغولية الايلخانية ممثلا بغازان (694-

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص131. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص536.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص365. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص 536. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص475-477.

703هـ/1294-1303م) ومن بعده اخيه اولجايتو ((خدابندا))[1] (703-716هـ/1303-1316م) مطالباً اياهم بأملاك في بلاد القوقاز كانت قد خضعت للايلخانيين منذ عهد هولاكو[2].

ويبدو ان السبب الذي قاد توقتا إلى هذه المطالبة لا ترجع فقط إلى الرغبة في توسيع مناطق نفوذه بقدر ما تعود إلى استياء توقتا من غازان في رفض طلب توقتا مساعدته عسكريا خلال فترة صراعه مع نوغاي[3]، كما انه اراد اشعال نار الحرب مع الايلخانيين أملاً في انهاء سلطة الايلخانيين المنحدرين من نسل هولاكو على حكم بلاد ايران والعراق وضمها لحكمه رداً على ما كان قد قام به من قبل هولاكو في محاولة الاستيلاء على خانية مغول القفجاق على عهد بركة[4] التي سبقت الاشارة اليها من قبل، فهي اذاً جزء من الصراع على سلطة النفوذ بين الأسرتين الحاكمتين المنتميتين لعائلة جنكيزخان على زعامة المغول في بلاد القفجاق وايران والعراق.

---

(1) خدابندا: اسمه الحقيقي اولجايتو وهو ابن الايلخان ارغون واطلق عليه لقب إسلامي بأسم خدابندا ومعناه عبد الله كما تلقب بلقب غياث الدين ولاسباب مذهبية وطائفية حيث عرف عنه تقلبه في الانتماء المذهبي فأطلق عليه اسم خربندا من قبل معارضيه ومعناها الحمار باللغة الفارسية وهناك رأي اخر يشير ان هذه التسمية جاءت بعد وفاة والده أرغون حيث هرب إلى شيرازوكرمان خوفاً من غازان الذي كان يعتقد انه سينافسه على السلطة فاختلط بطائفة يطلق عليها بالمكادين أي الحمارين وقتاً غير قليل ومنها اخذ هذا اللقب، ولتفاصيل اكثر عن ذلك ينظر: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص227. العيني: عقد الجمان، ج2، ص319. والحاشية رقم (2). الصياد: الشرق الإسلامي، ص345 – 346. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص215.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص478. الخويطر، عبد العزيز بن عبد الله: الملك الظاهر بيبرس، ط1، 1976 م، ص46. شبولر: العالم الإسلامي، ص50.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص132.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص16-17.

وما يؤكد ان هذا الصراع يقع ضمن ما ذهبنا اليه ان توقتا طالب غازان بأن يتنازل له عن حكم اران واذربيجان من جنوب القوقاز وانه في حال الرفض فليتهيأ للحرب وليستعد للقتال[1] ومعرفة اهمية هذين الاقليمين بالنسبة للايلخانيين يدرك القارئ ان طلب توقتا امراً يعد بحكم المستحيل تنفيذه من قبل الايلخانيين وان طلبه ما هو الا دعوة صريحة لاعلان الحرب ذلك لأن اقليم اذربيجان تقع فيه مدينة تبريز عاصمة الدولة الايلخانية والتنازل عنها يعني التخلي عن سيادة الدولة لتوقتا أي لدولة مغول القفجاق، وجاء توقيت هذا الطلب بعد الهزيمة الماحقة التي كانت قد اصيبت بها جيوش غازان على يد المماليك سنة (701هـ/1301م)[2] وبعد ان أبدى حاكم جورجيا استعداده لمساعدة توقتا خان ضد غازان[3].

جاء رد غازان على تهديد توقتا برسالة قال فيها ((الملك عقيم ودعواه كمثله سقيم وقد انضافت هذه المماليك إلى المملكة الايلخانية المحروسة من عهد هولاكو خان إلى يومنا هذا، وحفظناها من تعرض الاعداء باستعمال السيف والسنان فكيف يمكن له الان انتزاعها من ايدينا بدون استعمال السيف والسنان وتفريق الرؤوس من الابدان وهل يشير وصال عروس المملكة - تبريز - بمجرد الرسالة والطلب وباللسان)) ثم فرق كيس الرز الذي كان قد ارسله توقتا لغازان كناية عن كثرة عسكره فأمرا غازان ان يكبوه على الدجاج فالتقطته في الحال[4] كدلالة على عدم اكتراثه بعدد جند توقتا وكان توقتا قد بين لغازان بأن عشرة تومانات من جنده واقفين على الحدود ينتظرون اشارة منه للهجوم على تبريز في حال الرفض[5].

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص478. شاكر: التأريخ الإسلامي، ج7، ص150.

(2) عن هزيمة المماليك على يد غازان سنة (701 هـ/ 1301م) ينظر ابن ايبك: كنز الدرر، ج9، ص82-88. سرور، محمد: جمال الدين: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م، ص197.

(3) شبولر: العالم الإسلامي، ص98.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص478.

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص478.

غير ان توقتا لم ينفذ وعده لاسباب يتعلق بعضها بحالة بلاده الداخلية اذ كان قد انهارت سلطته في الأجزاء الشرقية من بلاده فيما وراء نهر الترك بفعل حركة تمرد وقعت ضده[1]، كما ان الأمراء الروس اخذوا يتمردون على أوامره ويمتنعون عن دفع ما كان يقع عليهم من ضرائب لا بل أخذوا يهزؤون بالمغول[2].

كما ان محاولته الحصول على دعم عسكري من السلطان المملوكي الناصر قلاوون باءت بالفشل اذ جاءه الرد من السلطان الناصر بالقول ((بان اللـه قد كفانا أمر غازان وان اخاه خربندا قد أذعن للصلح...))[3] إذ كان غازان حينها قد توفي وكانت وفاته سنة (703هـ/1303م) وتولى بعده اخوه خدابندا[4].

لهذه الاسباب هدأت جبهة الصراع مع الايلخانيين ولكن إلى حين اذ ما ان استعاد توقتا سلطته على البلاد باجهاض حركة التمردات فيما وراء نهر الترك وإذعان أمراء الروس لسلطته[5] حتى ارسل إلى السلطان المملوكي الناصر قلاوون يدعوه فيها إلى القضاء على الدولة الايلخانية واقتسام املاكهم بالقول ((اننا عزمنا الركوب اليهم فتجمع عساكرك وتدخل من قبلك ونحن من قبلنا ونجتمع نحن وانت على طردهم من البلاد ونكون نحن وانتم يداً واحدة وحيث ما وصلت خيلنا من البلاد فهو لنا وحيث ما وصلت خيلكم من البلاد فهو لكم))[6].

وما يفهم من هذه الرسالة ان توقتا كان على استعداد لتقاسم بلاد دولة المغول الايلخانيين مع المماليك مضحياً بصلة القربى التي كانت تربطه بالايلخانيين من اجل الاستحواذ على مناطق نفوذهم وإسقاط دولتهم، ولكن ثانية جاء الرد سلبياً من السلطان المملوكي الناصر الذي هو الآخر كان مشغولاً في إخماد حركات تمرد في بلاده كانت تمنعه

---

(1) شبولر: العالم الإسلامي، ص98.
(2) شبولر: العالم الإسلامي، ص98
(3) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص7.
(4) ابن ايبك: كنز الدرر، ج9، ص112-113. سرور: دولة بني قلاوون، ص203.
(5) Saunders: The history of The Mongol , p. 163- 194.
(6) ابن ايبك: كنز الدرر، ج 9، ص128.

عن القيام بأي تحرك خارجي لذلك فضل الاستمرار في الحفاظ على حالة الصلح التي كانت قائمة بينه وبين خدابندا[1].

وعندما فشل توقتا في ضم المماليك إلى جانبه في قتال خدابندا قرر خوض الحرب لوحده فأعد جيشاً قوامه 300.000 الف مقاتل وأوكل مهمة قيادته إلى صاروبغا في حين كان جيش خدابندا احد عشر توماناً أي بحدود 110.000 الف جندي والتقى الجمعان في 4 جمادي الاخرة سنة (712هـ/ 1312م) وفيها حقق الايلخانيون نصراً باهراً على قوات توقتا التي كانت قد استخفت بجيش خدابندا، ومع محاولة القائد صاروبغا انقاذ الموقف بلم شتات جيشه لمعاودة الكرة ولكن اجيب بطعنة كاد فيها ان يلقى حتفه ليهرب جريحاً وكان عدد قتلى جيش خدابندا أحد عشر ألف قتيل في حين بلغ عدد قتلى جيش توقتا واحداً وثلاثين ألف قتيل[2].

ويصف ابن ايبك موقف خدابندا من احراز ذلك النصر بالقول ((رجع خدابندا فرحاً مسروراً انعم الله عليه من النصر على اعدائه وفرق على اصحابه الخيول والبخاتي[3] والمماليك والجواري))([4]).

تركت هزيمة توقتا أثراً سيئاً عليه، وكانت سبباً في تدهور صحته اذ ما لبث ان توفي بعد ذلك بوقت قصير، وذلك سنة (712هـ/1312م)[5].

---

(1) عن حركة التمردات التي وقعت في الدولة المملوكية التي قادها الأمير شمس الدين سنقر وجمال الدين الاقرم وأمراء آخرون ضد السلطان قلاوون ينظر: الصياد: الشرق الإسلامي، ص389.

(2) ابن ايبك: كنز الدرر، ج9، ص272 – 282.

(3) البخاتي: بخت اسم اعجمي معرب يطلق على الابل الخُراسانية المعروفة بطول الاعناق، ويقال للجمع منها بخاتي. ابن منظور: لسان العرب، م2، ص9.

(4) كنز الدرر، ج9، ص278.

(5) الذهبي: ذيول العبر، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، ج4، ص35. ابن الوردي: تأريخ ابن الوردي، ج2، ص37. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق، محمد سيد جاد الحق، منشورات دار الكتب الحديثة، 1966م، ج2، ص327. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص79.

ثامناً: استقرار اوضاع خانية مغول القفجاق على عهد اوزبك خان

كان لتوقتا ((طقطاي)) عددٌ من الأولاد أشهرهم ايل باصار وكان مرشحاً ليخلفَ والده على الخانية نظراً لتقدمه على باقي اخوته في شؤون الحكم وفي تنظيم الجيش وقيادته وممارسته القتال غير أن المنية وافته قبل والده[1] الأمر الذي دفع والده وكتعبير عن مدى حبه لأبنه المتوفى ايل بأن عهد بولاية العهد لآبن ابنه ايل[2]، غير ان قطلقتيمر الذي كان يتولى تدبر امور الخانية في حياة توقتا حال دون تولي ابن ايل منصب الخانية[3] بعد وفاة توقتا سنة (712هـ/1312م)[4] حدث ذلك باتفاق بين قطلقتيمر واثنين من اخوته كان يعملان معه في ديوان المملكة هما سراي تيمر ومحمد خواجة[5] حيث تآمر الثلاثة مع الخاتون بيالون زوجة طغرلجا أخي توقتا والتي كان لها نفوذ كبير في العائلة الحاكمة في تدبير عملية ايصال ابنها اوزبك لمنصب الخانية[6] ومع اننا لا نملك تفاصيل عن الطريقة التي اوصلوا فيها اوزبك للخانية سوى ما ذكر ان بيالون قد كسبت الكثير من الأمراء عن طريق رشوهم بالأموال وان قطلقتيمر قد اشترط على اوزبك التعهد بأن يعلن إسلامه ويتمسك بالإسلام وان يقاتل من يعادي الإسلام من أمراء دولته لقاء اجلاسه على كرسي الخانية[7]، فلما تسلم منصب الخانية دخل في دين اللـه راغباً[8] واتخذ له جامعا يصلي فيه الصلوات الخمس في اوقاتها[9] فتنكر له بعض أمراء المغول[10]

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص482.
(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص486.
(3) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص537.
(4) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2، ص327.
(5) الرمزي: تلفيق الأخبار: ج1، ص487.
(6) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص537. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص487.
(7) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص537. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص487.
(8) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص343.
(9) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص487.
(10) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص537.

وعزموا على خلعه وهم طنغور وطازبن بن منجك مع عدد اخر من الأمراء فتصدى لهم بحزم وقتلهم جميعاً وقتلهم جاء وفق خطة رسمها له قطلقتيمر اذ دعا إلى عقد قوريلتاي يحضره أمراء الاجناد لوحدهم وكان جميع المتآمرين عليه من هؤلاء وكان في ذات الوقت قد رتب من يتولى امر اعتقالهم حال دخولهم المكان المخصص للاجتماع وما ان دخل هؤلاء خيمة الاجتماع تاركين حماياتهم خارجاً حتى كان السيف ينتظرهم الواحد تلو الاخر دون ان يشعر احد في الخارج بالأمر وهكذا تم قتلهم فاضطر اتباعهم للرضوخ للامر الواقع وأعلنوا ولاءهم للخان الجديد[1] الذي ما كاد ان يتخلص من معارضيه حتى اوشك الصدام مع والدته بيالون التي اعترضت على عزل اخيها باي يتمريلي عن اقليم خوارزم وتعيين قطلقتيمر بدلا عنه فعنفته بسبب ذلك وقالت له ((أنا الذي حصلت لك الملك وبذلت المال لمن طلب مالاً والخيل لمن طلب خيلاً والقماش لمن طلب قماشاً وأنت تعزل أخي)) فاعتذر لها تخوفاً من سلطتها وتراضيا[2] وابقى قطلقتيمر على المنصب الذي كان عليه زمن توقتا أي مدبراً شؤون المملكة ونائبا للخان[3] وقد اثنى ابن بطوطة على سيرة الخان اوزبك الذي زاره في بلاطه في العاصمة سراي ووصف تعلقه بالإسلام وجانباً من حياته وعائلته اليومية ومراسم الاحتفالات في المناسبات والاعياد كما وصف لنا جانباً من أوضاع مملكته ولاسيما المدن التي زارها وعن حركة التجارة النشطة فيها كما تطرق إلى بعض جوانب نشاطاته السياسية وعدد جنده وامرائه وذكر ان في احتفال مراسم العيد حضر عند بلاط الخان سبعة عشر أمير تومان وهذا يعني ان هؤلاء كانوا قادة لمئة وسبعين الف مقاتل وان عدد جنده اكثر من ذلك بكثير كما وصف لنا عن مكانة المرأة المغولية ولاسيما عن النساء من العائلة الحاكمة كوالدته ونسائه حيث كُنّ يشاركن الخان في شؤون الحكم وكُنّ يحضرن النقاشات التي تخص امر الدولة ورأيهن مسموع عند تقرير امر ما وكان لكل منهن مرتبة خاصة في البلاد ولهن اتباعٌ كثر وعند حضورهن البلاط يرافقهن موكب مهيب لا يقل مكانة عن موكب الخان فهناك حشد

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص487.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص487 – 488.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص 494.

كبير من المرافقات والغلمان والفرسان والعربات المزينات بالذهب والفضة والخيول المسرجة بالحلي من ضمن موكبهن، كما كان لأبناء وبنات الخان ذات المكانة ولزوجات أخوته وأبناء عمومته مكانة لا تقل عن ذلك[1].

وأشارت المصادر والمراجع عن دور هذا الخان في نشر الإسلام وعن عدله في رعيته وحبه للفقراء وتقربه للعلماء وعن شجاعته[2] وتسامحه تجاه الديانة المسيحية فمنح الحق لرعاياها في إقامة شعائرهم الدينية[3].

وشهدت فترة حكمه الطويلة للبلاد التي استغرقت زهاء الثلاثين عاماً من (712هـ/ 1312م) ولغاية (742هـ/1341م) حالة من الاستقرار والازدهار الاقتصادي[4] لم تشهدها دولة خانية مغول القفجاق لا على عهد من سبقوه من الخانات ولا على عهد من اعقبوه، كما حافظ على علاقات طيبة مع ملوك أوربا ومع البابوية وأمراء الروس[5] وامبراطور القسطنطينية الذي تزوج الخان من ابنته المسماة بيلون[6] وكذلك بقيت علاقته

---

(1) رحلة ابن بطوطة، ص319 – 321، ص326-329.

(2) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص326-329. ابن حبيب، الحسن بن عمر: تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد امين، الهيئة المصرية العليا، 1986م، ج3، ص92. آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص537. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص471. العيني: السيف المهند، ص183. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص74. المنهل الصافي، ج2، ص343. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص271.

(3) سرور: دولة بني قلاوون، ص218. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص272. الجندي، انور: تأريخ الإسلام، دار الانصار، القاهرة، 1979م، ج2، ص177

Saunders: Thr history of the Mongol , p. 164 .

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص74. المنهل الصافي، ج2، ص344.

(5) شبولر: العالم الإسلامي، ص99. Saunders: The history of the Mongol , p. 164.

(6) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص330. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص487.

طيبة مع المماليك في مصر وبلاد الشام حتى ان السلطان المملوكي الناصر تزوج من ابنته[1].

والشيء الذي يثير التساؤل والاستغراب عن هذا الخان، الطلب الذي تقدم به الأمير جوبان الذي كان وزيراً للايلخان خدابندا يستدعيه سنة (716هـ/1316م) لان يتولى امر ايلخانية بلاد فارس والعراق بدلا من ابي سعيد الذي كان قد حل محل والده المتوفى خدابندا على منصب الايلخانية وهو لا يزال طفلا بعمر اثني عشر عاماً فرفض اوزبك خان الطلب على الرغم من ان هناك من كان يعتقد ان اوزبك هو الاصلح من الذرية الجنكيزخانية لتولي هذا المنصب اضافة لخانية مغول القفجاق[2]، كما انه لم يستغل حالة الصراع التي انفجرت في اعقاب وفاة السلطان الايلخاني ابي سعيد سنة (736هـ/1335م)[3] الذي لم يترك وريثا من بعده على العرش فلم يطالب بإيلخانية أبناء عمومته كما انه لم يتدخل لمصلحة أي أمير وكان بأمكانه ان يحقق مكاسب على الأرض او على الأقل ضم تبريز عاصمة الدولة الايلخانية لنفوذه كما فعل من بعده ابنه جاني بك، ويبدو انه اثر السلم والحفاظ على استقرار بلاده بدلا من الدخول في اتون الصراعات الايلخانية التي تكلفه الكثير ربما تكون سببا في اضعافه فتعطي عند ذلك الفرصة للطامعين بالسلطة في ان ينتفضوا ضده. وهكذا نجحت سياسته السلمية داخلياً وخارجياً حتى وفاته سنة (742هـ/1341م)[4].

---

(1) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، طبعة مصر، 1312هـ ص47. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص450. المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص164. المواعظ والاعتبار، ج2، ص66. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص74. سرور: دولة بني قلاوون، ص219.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص506.

(3) عن حالة الصراع السياسي الذي انفجر بعد وفاة الايلخان أبي سعيد، ينظر الفصل الرابع.

(4) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص614. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص74.

تاسعاً: تني بك وخضربك يذهبان ضحية اطماع جاني بك بالخانية

كان لأوزبك خان ثلاثة أولاد اكبرهم سنا يسمى تني بك والاوسط هو جاني بك والاصغر خضر بك[1] وذكر ابن بطوطة ان تني بك كان وليا للعهد وقد حضر بعض الاحتفالات الدينية التي كان قد أقامها تني بك بصفته ولياً للعهد في العاصمة سراي ووصف لنا مراسيمها وفيها اثنى على تني بك وقال عنه كان اجمل خلق الله صورة وله الحظوة والتشريف عند والده، فلما مات والده تولى منصب الخانية زمناً قصيراً[2] اذ ما لبث ان تآمر عليه شقيقاه الاثنان وبمساعدة والدته، اذ كان تني بك يقود جيشاً لفتح بلاد خراسان التي كانت من املاك أبناء عمومته من أسرة جغتاي، فاستقل جاني بك الذي كان يتولى إدارة الحكم في العاصمة سراي نيابة عن تني بك فشاور جاني بك والدته في أمر عزل تني بك والحلول محله على منصب الخانية.

وعلى الرغم من ان الاخوة الثلاثة اشقاء لكن والدتهم تآمرت على تني بك لمصلحة جاني بك لاسباب تجهلها فأتفق رأيها ورأي الأمراء على قتل تني بك[3] وهذا ما حصل، اذ ما ان عاد تني بك من بلاد خراسان حتى خرج اليه المتآمرون ليلاقوه بالقرب من العاصمة سراي بحجة استقباله والاحتفاء به، وعندما اقتربوا لتقبيل يده ضربوه وقتلوه[4] ورجعوا إلى جاني بك الذي كان قد بقي في العاصمة سراي فأخبروه ثم اشاروا عليه بقتل اخيه الاخر خضر بك كي لا يبقى اخر من أبناء أسرته من ينافسه على منصب الخانية فاستجاب لرأيهم وهكذا اقترف جرماً آخر بقتل شقيقه خضر بك[5] كل ذلك حدث سنة (742هـ/1341م) فغدا هذا العام عام شؤم لعائلة اوزبك اذ فيه مات الأب

(1) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص324، 327 – 328. المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص614. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص525.

(2) رحلة ابن بطوطة، ص324 – 327.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص525 – 526.

(4) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص324. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص526.

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص256.

وآثنان من أبنائه اللذين ذهبا ضحية الصراع على منصب الخانية دون ان يكون لهما ذنب سوى انهما شقيقان لأخ طامع بمنصب الخانية.

عاشرا: انهيار دولة خانية مغول القفجاق

على الرغم من ان جاني بك خان انتزع منصب الخانية بالدم بسفك دم أخويه تني بك وخضر بك غير ان المؤرخين الذين تناولوا حياة هذا الخان أثنوا عليه ووصفوه بصفات طيبة فأثنى عليه ابن بطوطة بأنه خان فاضل[1] وقال عنه المؤرخ المصري بدر الدين العيني بأن جاني بك خان ((ملك عظيم ذو همة عالية وبأس شديد))[2] وعد المؤرخ الرمزي جاني بك خان بأنه ((أعظم الخواقين الشمالية وأعدلهم وأعلمهم وأروعهم))[3].

غير ان ما يلفت النظر مع هذا الاطراء والثناء بأن ما كتب عن هذا الخان يعد قليلا جدا لا يتناسب مع خان بهذه العظمة وقد اشار إلى ذلك الرمزي بالقول ((فلم أظفر بشيء من وقائع الملك جاني بك خان مع كثرة قوته وزيادة شوكته وامتداد مدته سوى استيلائه على اذربيجان وانتزاعها من يد المتغلب عليها الظالم الغشوم الملك الأشرف بن تيمرتاش بن جوبان وتخليصه المظلومين من يده وذلك في آخر عمره))[4].

ويبدو لنا مديح المؤرخين لجاني بك خان جاء بسبب تقربه للعلماء وإحسانه لهم وهذا ما اشار اليه صراحة بدر الدين العيني بالقول ((وكان اكثر معاشرته مع العلماء والصالحين وكان يحسن اليهم غاية الاحسان ويتواضع اليهم غاية التواضع وكان إذا جاء اليه عالم او صالح نهض إليه ونزل من تخته واستقبله استقبالاً حسناً وعانقه وقبل يديه... ثم لم يزل الملك كل حين يعمل وقتا عظيما يجمع فيه علماء المدينة – العاصمة – سراي وصلحائها وطلبه العلم منهم فيقع بينهم مباحثات عظيمة يسمع الملك ويفرح بهم، ثم

---

(1) رحلة ابن بطوطة، ص324، 327 – 329.

(2) السيف المهند، ص183.

(3) تلفيق الأخبار، ج1، ص526

(4) تلفيق الأخبار، ج1، ص528.

يأمر بالإنعام عليهم كل واحد بحسب حاله))[1] وهو بهذا التصرف مع العلماء غطى على ما كان قد اقترفه من جرم قتل أخويه.

ومع طول مدة حكم هذا الخان التي امتدت من (سنة 742هـ/1341م) وحتى سنة (759هـ/1358م) فإننا لم نعثر على أية معلومات تشير إلى حدوث حالة صراع او تمرد ضده وكل ما عثرنا عليه انه كان يملك جيشاً عظيماً بلغ تعداده سبعمائة الف مقاتل حسب ما اشار إلى ذلك المؤرخ المصري بدر الدين العيني[2]، وطبعاً هذا الرقم مبالغ فيه فلم تصل الامبراطورية المغولية في عظمتها وعلى عهد خاناتها العظام على مثل هكذا اعداد لجيشهم وهكذا فنحن أحياناً نقع أمام أرقام بعيدة كل البعد عن الواقعية ولا نعرف ما دوافع المؤرخ الذي يعطي لنا مثل هذه ألارقام المبالغ فيها وسببها يرجع للموقف الطيب لهذا الخان من العلماء فانحاز بسبب ذلك بعض المؤرخين لشخصه وتركوا جانب الحديث عن حالة بلاده السياسية سوى الاشارة انه حقق ما كان لم يستطع غيره من خانات مغول القفجاق ممن سبقوه تحقيقه وهو ضم اذربيجان وعاصمة الدولة الايلخانية المنقرضة تبريز إلى ملكهم[3]، وكانت الدولة الايلخانية قد اصابها التدهور بوفاة الايلخان ابو سعيد سنة (736هـ/1335م)، حيث نشبت حرب اهلية بين أمرائه على منصب الايلخانية فانقسمت البلاد ليتولى حكمها عدد من الأمراء[4] وكان المتغلب على العاصمة تبريز سنة (758هـ/1357م) الملك الاشرف بن تيمرتاش بن جوبان[5] فعد جاني بك بأنه

---

(1) السيف المهند، ص183-184.

(2) السيف المهند، ص183.

(3) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص538.

(4) شبولر: العالم الإسلامي، ص102. قداوي: تأريخ العراق في القرن التاسع الهجري، ص24-25. النجار، رغد عبد الكريم: العراق في العهد الجلائري، ((دراسة في الاوضاع السياسية))، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 2005م، باشراف د. علاء محمود قداوي، ص 28-29.

(5) اقبال: تأريخ المغول، ص443 – 444.

الاحق في وراثة ملك أبناء عمومته الايلخانيين ولهذا استغل فرصة مطالبة بعض علماء تبريز منهم العالم الفقيه التفتازاني الذي هرب من تبريز إلى العاصمة سراي حيث اشتغل هناك بالوعظ والتذكير وصادف ان حضر مجلسه الخان جاني بك فاستغل هذا العالم هذه الفرصة واخذ يتحدث عن ظلم الملك الاشرف وجوره بطريقة أبكت الجميع ثم توجه بالكلام إلى الخان جاني بك بالقول ((ان للملك قوةً وقدرةً على منعهِ من الظلم وتخليص عبادالله من شره فإن لم يلتفت الملك - الخان - لهذا الكلام ولم يخلص عباد الله من ظلمه يكون ايدي المظلومين غدا يوم القيامة في ذيله ويكون معاتباً بل معاقباً)) فتأثر الخان بهذا الكلام وامر باحضار العساكر وتهيئة أسباب الحرب وفي مدة شهر كان ما اجتمع عنده من عساكر قدر عددها بثلاثمائة الف مقاتل وقيل سبعمائة الف مقاتل وتوجه بهم نحو اذربيجان[1].

وبغض النظر عن العدد المبالغ بجنده وعن هدف هذه الحملة سواءٌ أكانت بدافع التوسع وضم املاك أبناء عمومته أم الاستجابة لطلب العالم التفتازاني فإن الحملة التي كانت قد اتخذت طريقها نحو تبريز حيث دخلها دون مقاومة فلقي ترحيباً من اهلها[2] وفيها عاقب من كان متعاونا مع الملك الاشرف[3] كما انه طارد الملك الاشرف الذي كان قد ترك تبريز وتمكن من أسره ومن ثم أمر بقتله جَزاءاً لظلمه[4] ثم عاد إلى تبريز حيث رتب شؤون الحكم فيها وعهد بحكمها إلى ابنه بردي بك[5] ثم ترك له فيها حوالي خمسين الف مقاتل ليدافع بهم عن اية محاولة من الطامعين بها من اتباع الملك الاشرف[6] وقد

---

(1) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص538. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص528.

(2) اقبال: تأريخ المغول، ص444. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص95-96.

(3) اقبال: تأريخ المغول، ص444.

(4) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص538. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص529-530. اقبال: تأريخ المغول، ص444.

(5) آبن خلدون: تأريخ آبن خلدون، ج5، ص538. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص531.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص531.

أقامَ أعيانُ وأمراءُ تبريز احتفالاً عظيماً لبردي بك حيث اجلسوه على سرير العـرش[1] ليكـون حكمـه بدايـة لحكم أبناء الأسرة الجنكيزخانية من عائلة جوجي لحكم هذه البلاد بعد ان اغتصبها الجوبانيون مـن أبنـاء سلالة هولاكو بعد وفاة الايلخان أبي سعيد ولكن القدر لم يتمم ما اراده جاني بك لنفسه ولابنـه اذ هـو في طريق العودة إلى بلاده بعد تركـه تبريـز ان اعتلـت صحته لتوافيـه المنيـة قبـل وصـوله العاصـمة سراي[2] فاضطر بردي بك على ترك تبريز لنائبه أخي جـوق والعـودة إلى سراي خوفـاً مـن منافسة اخوتـه لـه عـلى منصب الخانية[3] فاستغل السلطان الجلائري اويس (757- 776هـ/ 1356-1374م) فرصـة غيـاب بـردي بـك بأن هاجم تبريز بجيش جرار وتمكن من الاسـتيلاء عليهـا[4] لتيخـذها عاصـمة للدولـة الجلائريـة بـدلا مـن بغداد[5] وذلك سنة (759هـ/1357م)[6].

استبد بردي بك بالحكم وكان أول إجراء اتخذه بعد تنصيبه خاناً على البلاد بأن ارتكـب جرمـاً كبيراً بقتل جميع اخوته وعددٌ كبير من أقاربه كي لا ينافسه احد من أبناء الأسرة الحاكمة على منصب الخانية[7] ومع انه ليس لدينا معلومات عن حوادث القتل هذه وعن اسماء مـن قـتلهم غـير ان هـذه العمليات سببت حالة من الفوضى في الـبلاد لتـزداد بعـد وفاتـه سـنة (762هـ/1361م)[8]، ولتكـون وفاتـه نهاية لحكم دولة خانية مغول القفجاق إذ انتهز أمـراء الجـيش وولاة المـدن هـذه الفرصـة بـأن اسـتبدوا بالحكم كل في مناطق سلطته واستقل كلٌّ واحد منهم في اقليمه واشتغل كلٌّ منهم في محاربة الآخر لأجـل

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص531.
(2) ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج5، ص538. اقبال: تأريخ المغول، ص446. شبولر: العالم الإسلامي، ص80.
(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص 532. اقبال: تأريخ المغول، ص446.
(4) اقبال: تأريخ المغول، ص446.
(5) اقبال: تأريخ المغول، ص446.
(6) اقبال: تأريخ المغول، ص446. النجار: العراق في العهد الجلائري، ص70-72.
(7) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص532-533.
(8) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص533.

الفصل الرابع

الايلخانيون والصراع على السلطة

الفصل الرابع

أولاً: قيام الدولة المغولية الايلخانية

يعود تكوين دولة المغول الايلخانية الى عهد منكوخان بن تولوي بن جنكيزخان الذي ما ان أحكم سيطرته على حكم البلاد بقضائه على المعارضين على توليته منصب الخانية حتى أمر القيام بالاعداد لحملتين كبيرتين لتوسيع مناطق نفوذ امبراطوريته شرقا وغربا، فعهد لأخيه قوبلاي قيادة الحملة الأولى لاستكمال احتلال بلاد الصين، وعهد لأخيه الأصغر هولاكو بقيادة الحملة الثانية لاحتلال الاجزاء الغربية من بلاد إيران والعراق واسقاط الخلافة العباسية في بغداد[1] ووعد هولاكو بأن يئول حكم ما يفتحه له ولأسرته من بعده[2].

وكانت بلاد إيران الغربية والعراق هدفا لغارات مغولية ابتداءاً من سنة (618 هـ/1220م)[3] لتتحول في السنوات التالية الى مسرح لعمليات عسكرية للقوات المغولية المطاردة للسلطان جلال الدين منكبرتي حتى مقتل الأخير في جبال كردستان شمالي العراق سنة(628 هـ/ 1230م)[4] ليواصل من بعدها المغول غاراتهم على غربي ايران والعراق بهدف الاستطلاع واشاعة الفوضى والرعب في نفوس السكان عن طريق القتل والنهب والتخريب تمهيداً للاحتلال.

---

(1) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي م2، ص226،237، الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص234، 236-237.

(2) الصياد: الشرق الاسلامي، ص12.

(3) أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002م، م3، ص194. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص94-95.

(4) سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي التركي: مرآة الزمان في تأريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ج8، ق2، ص668-670 . الجاف: الوجيز في تأريخ إيران، ج2، ص213. حمدي: الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي، ص146.

وقد أشارت المصادر التأريخية الى ان غربي ايران وشرق العراق وشماله تعرض لغارات مغولية حددت سنواتها على النحو الاتي : (628هـ/1230م)، (629 هـ/1231م) ، (633هـ/1235م)، (634هـ/1236م) ، (635هـ/1237م)، (643هـ/1245م)[1]. وقد بلغ عدد غارات المغول اكثر من ثلاث عشرة غارة مغولية، وصلوا في اثنين منها الى اطراف بغداد[2] ولم يكن رد الخلافة العباسية والقوى المحلية على هذه الغارات بالمستوى المطلوب فالثلاثة الاواخر من الخلفاء العباسيين الظاهر بأمر الله (622 - 623هـ/ 1224- 1225م) والمستنصر بالله (623-640هـ/1225- 1242) والمستعصم بالله (640 - 656هـ/1242-1258م) وزعماء الكيانات المحلية سواء أكانت في غربي ايران كالدولة الاسماعيلية على عهد زعيمها ركن الدين خورشاه بن علاء الدين أم أتابكية فارس على عهد أميرها سلغري أبي بكر سعد بن زنكي أم في العراق كإمارة اربل التي كان أميرها مظفر الدين كوكبري أم إمارة الموصل في عهد أميرها بدر الدين لؤلؤ أم امارة الاراتقة في الجزيرة الفراتية على عهد أميرها الملك السعيد أم الايوبيين في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام على عهد السلطان الناصر، جميعهم لم يجهدوا انفسهم باتخاذ تدابير سياسية او عسكرية ترتقي الى مستوى الخطر المغولي، اذ كانوا

---

(1) عن هذه الغارات وسنواتها ينظر: ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، دار الاندلس، بيروت، ج2، ص369 - 370. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص27- 29 ، 84 - 85 ، 109 - 110 ، 199 - 200. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13 ، ص128 - 129 ، 132 - 145.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج8، ق2، ص673. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص109 - 110 ، 199 - 200. الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي: التأريخ المنصوري ((تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)) دار النشر للاداب الشرقية، موسكو، 1963م، ص431. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص52. الجاف: الوجيز في تأريخ إيران، ج2، ص267 - 268.

منشغلين في صراعاتهم الداخلية من أجل مناطق النفوذ[1]، لا بل البعض منهم أعلن تبعيته للمغول على أمل دَرْء الخطر عن بلاده[2]، ومع ذلك لم تسلم اماراتهم من الاحتلال[3].

---

(1) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: ص110 ، 200. الذهبي: تأريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام من سنة (631-640هـ) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 2002م، ص13، 18. خصباك: جعفر حسين: العراق في عهد المغول الايلخانيين، ط1، بغداد ، 1968م، ص14-18. خليل، عماد الدين: الامارات الارتقية في الجزيرة والشام (465-812 هـ/1072- 1409م) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص319 – 323. التكريتي، محمود ياسين: الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م، ص307. فوزي: الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة ، 1983م، ص90 ، 93 – 94. الروشيدي، سوادي عبد محمد: امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، مطبعة الارشاد، ط1، بغداد، 1971م، ص71 – 80 ، 88- 96. رشاد عبد المنعم: الموصل في عهد الادارة الاتابكية، موسوعة الموصل الحضارية، ط1، جامعة الموصل، 1992م، ص172-173. اسماعيل، محمد حامد: من يتحمل مسؤولية سقوط بغداد على يد المغول، مجلة آداب الرافدين، عدد 40، سنة 2005 م، ص75-78

(2) تشير المصادر ان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والملك الناصر الايوبي صاحب الشام والملك الكامل صاحب ميافارقين والملك السعيد الارتقي صاحب ماردين وعز الدين وركن الدين صاحبي بلاد الروم ومظفر الدين اتابك فارس وملوك اذربيجان واران وشروان، جميع هؤلاء كانوا قد دخلوا في تبعية المغول قبل الاحتلال المغولي لبلادهم وللتفاصيل ينظر ابن شداد: عز الدين محمد بن علي: الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1978م، ج 3، ق1، ص237 – 238 ، 241 – 242 ، ج3 ق2، ص477- 479. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص240. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، م1، ص87. ميرخواند: تأريخ روضة الصفا، م5، ص313-315. المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص315-320.

(3) ميرخواند: تأريخ روضة الصفا، م5، ص355-364. التكريتي: الايوبيون في شمال الشام، ص308-311. قداوي: المغول في الموصل والجزيرة، ص74- 97.

بدأ المغول الاعداد للحملة ابتداءاً من سنة (649 هـ/ 1251م)[1]، وحرص منكوخان ان يوفر لهذه الحملة كل مستلزمات النصر فأمر بامداد هولاكو بالكثير من القوات التي شاركت في الحروب وخرجت منها مظفرة منتصرة ولم يكتفِ بهذا بل أرسل رسله الى بلاد الخطا لاستدعاء ألف أسرة من اولئك الذين مهروا في استخدامهم ادوات القتال مثل المنجنيق وقاذفات النفط ورمي السهام، كما أمرَ باختيار اثنين من كل عشرة رجال من خيرة جنود جنكيزخان ليكونوا حرساً خاصاً لهولاكو[2].

وبعد ان اكمل الاعداد للحملة رسم منكوخان لأخيه الخطة التي سوف يتبعها فقال له ((إنك الآن على رأس جيش كبير وقوات لا حصرَ لها فينبغي ان تسير من قراقورم الى إيران... وحافظ على تقاليد جنكيزخان وقوانينه... وخص كل من يطيع اوأمرك ويجتنب نواهيك في الرقعة الممتدة من نهر جيحون حتى اقاصي بلاد مصر - بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك، أما من يعصيك فأغرقه في الذل والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه وكل ما يتعلق به وابدأ بأقليم قهرستان بخراسان فخرب القلاع والحصون فأذا فرغت من هذه المهمة، فتوجه الى العراق وأزل من طريقك اللور والأكراد الذين يقطعون الطريق على سالكيها، واذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة فلا تتعرض له مطلقاً - اما اذا تكبر وعصى فألحقه بالآخرين من الهالكين كذلك ينبغي ان تجعل رائدك في جميع الأمور العقل الحكيم والرأي السديد، وان تكون في جميع الأحوال يقظاً عاقلاً وأن تخفف عن الرعية التكاليف والمؤن وأن ترفه عنه وأما الولايات الخربة، فعليك

(1) براون: تأريخ الادب في إيران، ج2، ص565- 566 ، 575.
(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص237 – 239. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص234-235.

أن تعيدَ تعميرها في الحال وثق انك بقوة الـلـه العظيم، سوف تفتح ممالك الاعـداء حتـى يـصير لـك فيهـا مصايف ومشاتي عديدة...))[1].

وهكذا أعطى منكوخان بهذا القول لأخيه هولاكو حق التصرف بالبلاد التي سيفتحها ليؤسس فيهـا حكماً له ولأسرته من بعدها وهذا ما أشار اليه بوضوح رشـيد الـدين الهمـذاني بـالقول ((وكـان منكوخـان يعرف جيداً أن هولاكو خان يستطيع بجيشه الـذي أمّـرَ عليـه ان يكـون دائمـا ملكـاً مـسيطراً ومتمكنـاً في ممالك ايران، وان هذا الملك سوف يثبت بحالة وطيدة مستقرة لهولاكو خان وأسرته المشهورة))[2].

تحركت القوات المغولية بقيـادة هولاكـو مـن العاصـمة قراقـورم سـنة (651هــ/1253م)[3]. وبعـد ان اجتـاز هولاكـو بـلاد مـا وراء النهـر وصـل بحـدود سـنة (654هــ/ 1256م) غـربي ايـران حيـث شرع هولاكو في مهاجمة قلاع الاسـماعيلية حتـى تمكـن مـن اسـقاط آخِـر معـاقلهم قلعـة المـوت بعـد مقاومـة عنيفة[4] ليتفرغ بعد ذلك للزحـف نحـو بغـداد بجـيش كثيـف قـدر بحـدود 129 الـف مقاتـل[5] ليـتمكن من احتلالهـا في شـهر صـفر سـنة (656هــ/1258م) بعـد معركـة قـصيرة دحـر فيهـا الجـيش العبـاسي عنـد الـدجيل قـرب بغـداد، فاسـتبيحت المدينـة سـبعة ايـام قـتلا ونهبـاً وحرقـاً، وكـان مـن ضـحاياها الخليفـة

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص236-237.

(2) جامع التواريخ، م2، ج1، ص237-238.

(3) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص241. ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص263. الهمذاني: جامع التـواريخ، م2، ج1، ص338. الرازي، عبد الـلـه: تـأريخ مفـصل إيـران، طهـران، 1335هــ، م2، ص307. القـزاز: الحيـاة الـسياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة القضاء، النجف، 1971م، ص302.

(4) للتفاصيل عن اسقاط المغول الدولة الاسماعيلية واحتلال مناطق نفوذها ينظر الجويني، تـأريخ فـاتح العـالم جهانكـشاي م2، ص248-266. الهمـذاني: جـامع التـواريخ، م2، ج1، ص243، 245 – 248،259. زيـدان: تـأريخ التمـدن الاسـلامي، ج4، ص244. القزاز: الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، ص302.

(5) فوزي، ومرتضى حسن النقيب: تأريخ إيران، ص205.

العباسي المستعصم بالـله وعدد من افراد أسرته وحاشيته[1] وما أن فرغ هولاكو من احتلال بغداد وتنظيم شؤون الادارة فيها حتى رحل منها في الثالث والعشرين من صفر[2] الى اقليم اذربيجان حيث اختار مدينة مراغة لتكون عاصمة لدولته الفتية[3] ليعاود من مراغة بعد استراحة لعدة اشهر التحرك لاستكمال احتلال ما كان قد خطط له، ففي شهر رمضان سنة (657هـ/1259م) قاد هولاكو بنفسه جيشاً كبيراً عبر به كردستان[4] ليواصل تقدمه في اقليم الجزيرة الفراتية[5] ليدخل بلاد الشام وفيها لم يصادف

---

(1) للتفاصيل عن زحف هولاكو بجيشه نحو بغداد واحتلالها وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالـله ينظر ابن العميد، أخبار الايوبيين، ص166 – 167. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص363 – 370. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص267، 295. الكتبي: عيون التواريخ، ج20، 129 – 135. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص200-204. الغساني: العسجد المسبوك، ص624-626 ، 630 – 633. الخزرجي، علي بن الحسن: العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1911م، ج1، ص125. الأمين، حسن: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام، دار المعارف للمطبوعات، القاهرة، 1993 م، ص147 -158.

(2) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص370 – 371. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص295.

(3) اقبال: تأريخ المغول، ص206 – 207.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص306. توفيق، زرار صديق: كردستان في القرن الثامن الهجري ((دراسة في تأريخها السياسي والاقتصادي))، منشورات مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل 2001م، ص61.

(5) أشارت بعض المصادر بأن هولاكو ترك جزءاً من قواته لتحاصر بعض القلاع من اقليم دياربكر في الجزيرة الفراتية لفتحها كماردين وميافارقين في حين واصل هو تقدمه ليدخل بلاد الشام عن ذلك ينظر التفاصيل الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص306، الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص222. وعن احتلال ماردين وميافارقين ينظر التفاصيل خليل: الامارات الارتقية، ص329 – 333. قداوي: المغول في الموصل والجزيرة، ص74 – 93.

عقبات كثيرة حيث احتل حلب ودمشق[1] ليتلقى بعدها خبر وفاة أخيه منكوخان ووقوع صراع على الخانية بين أخيه قوبلاي واريق بوقا والتي سبق الاشارة اليها في الفصل الثاني، فاضطر العودة الى منغوليا ليترك أحد قادته الأمير كتبغا الذي هزم على يد السلطان المملوكي قطز في موقعه عين جالوت في رمضان سنة (658هـ/ 1260م) ليخسر المغول بهذه الهزيمة بلاد الشام[2] ولتستقر دولتهم بعد ذلك على بلاد ايران والعراق واقليم اذربيجان والجزيرة الفراتية وآسيا الصغرى وسلاجقة الروم[3].

قسم هولاكو دولته الفتية الى وحدات ادارية اختلفت مساحتها حسب أهمية من اسندت اليه وانحصرت تلك الوحدات بين اقليم وبين عدة اقاليم فكان العراق وخراسان ومازندران حتى جيحون وحدة ادارية واحدة اسندت ادارتها للنجل الاكبر والافضل لهولاكو الأمير أباقا كما اسند اقليم أران واذربيجان حتى شاطئ نهر الرس الى ابنه الثالث الأمير يشموث، وسلم الأمير تودان دياربكر وربيعة في اقليم الجزيرة الفراتية حتى شاطئ الفرات واعطى صاحب سلاجقة الروم معين الدين بروانة ممالك الروم ((آسيا الصغرى)) ومنح غربي إيران لتركان خاتون اما اقليم فارس فكان من نصيب الأمير انكانيو[4] وقد قسم الوحدات الادارية الكبيرة الى عدة ولايات وكل ولاية الى عدة اعمال فمثلا العراق الذي كان يتبع الوحدة التي كان يرأسها أباقا قسمها الى ثلاث ولايات هي ولاية عراق العرب وعاصمتها بغداد، وولاية دياربكر وعاصمتها الموصل وولاية بلاد الجبل التي كان جزء منها يقع داخل العراق بحدوده الحاضرة والجزء الاخر يقع في شمالي

---

(1) أبو شامة: تراجم رجال القرنين، م3، ص311 – 313. الكتبي: عيون التواريخ، ج 20، ص222 – 223. ميرخواند: تأريخ روضة الصفا، م5، ص255-261. ابن اياس، محمد بن أحمد: تأريخ مصر المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة بولاق، مصر، 1311هـ ج1، ص94.

(2) أبو شامة: تراجم رجال القرنين، م3، ص317. الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص226 – 228. حمدي، الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي، ص150.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص338.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص338.

غربي ايران[1]. وبخصوص ولاية عراق العرب فقد قسم الى عدة اعمال هي 1- العاصمة بغداد 2- الاعمال الشرقية وتشمل الخالص وطريق خراسان 3- الاعمال الفراتية وتشمل حوض الفرات 4- الاعمال الحلية والكوفية 5- الاعمال الواسطية 6- الاعمال البصرية[2]. وكان على رأس كل ولاية حاكم اداري يطلق عليه في العراق اسم صاحب الديوان وفي غيرها من الولايات بأسم الحاكم او الأمير وعلى الاعمال حاكم يطلق عليه آسم الصدر[3]، وجميع هؤلاء كانوا يتبعون سلطة هولاكو الذي أخذ يطلق عليه لقب ايلخان وعلى دولته تسمية الدولة الايلخانية ولقب ايلخان أصبح علماً مميزاً لحكم أسرته التي توارثت الحكم من بعده.

وتسمية الايلخان جاءت من الكلمة المغولية ((إيل)) التي تعني التابع او الخاضع او زعيم القبيلة وهي بهذا تعبر عن معنى ان حكام هذه الأسرة كانوا خاضعين للخان - أي بمعنى اخر كانوا يحكمون هذه البلاد كنواب عن الخان ويدينون بالولاء له، وبهذا المعنى لم يكن هولاكو حاكماً مستقلاً بهذه الدولة وانما كان يحكمها بآسم الخان كنائب عنه وهو بذلك لم يضرب نقوداً بأسمه، وانما كانت تضرب بآسم منكو خان[4].

وفي عهد قوبلاي خان (658-693 هـ / 1260-1294م) الذي حكم امبراطورية المغول من العاصمة الجديدة لدولته بكين حاز هولاكو ومن بعده ايلخانات هذه الدولة

(1) أبو الفداء: المختصر، ج6، ص99، ج7، ص4-5. العمري، محمد أمين بن خير اللـه الخطيب: منهل الأولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، ط1، الموصل، 1967 م، ج1، ص128. العيني: السيف المهند، ص23 ، 182.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص332. رؤوف، عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر، بغداد، 1979م، ص57- 58.

(3) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص339 – 346. القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص424. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص127 – 146.

(4) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص541 الحاشية رقم (1). القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص127 والحاشية، رقم (3) ص128. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص153.

من أبنائه وأحفاده على الاستقلال[1] غير انهم بقوا يظهرون احتراماً للخانات الجالسين على عرش امبراطورية المغول في العاصمة بكين فكان تبادل الرسل والهدايا قائماً بينهم[2] ويبدو ان بعد المسافة كانت سبباً في الحوز على هذه الاستقلالية كما ان خانات الصين انشغلوا في قضاياهم الداخلية ولم يعودوا يهتمون ببلاد ايران والعراق واكتفوا باظهار علاقة الود معهم وما يؤكد هذه الاستقلالية ان القوريلتاي الذي كان يعقده خانات بكين سواء منها ما كان يتعلق بانتخاب خان جديد أو في الأمور التي تتطلب عقد قوريلتاي لم يكن احد من ايلخانات هذه الدولة قد كلف نفسه الحضور او إرسال من ينوب عنه ابتداءاً من هولاكو وفي هذا يشير مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني ان هولاكو أظهر الاستقلال عندما امتنع الحضور لجلسة القوريلتاي التي كان فيها قوبلاي خان قد استدعاه للنظر في أمر العفو عن اريق بوقا الذي كان قد نافسه على منصب الخانية، كما لم يستجب للدعوة التي كان قوبلاي خان يزعم فيها عقد قوريلتاي لاعادة انتخابه خاناً أعظم للمغول كون ان انتخابه للمرة الأولى سنة (658هـ/1260م) كان قاصراً فقط على اتباعه من الأمراء خلال فترة الصراع مع اريق بوقا، وهذه المرة ايضاً لم يحضر هولاكو وربما كان عدم حضوره سبباً في عدم عقد القوريلتاي، حيث اكتفى قوبلاي خان في وقتها على ان شرعية حكمه في منصب الخانية استمدها من اتباعه[3].

غير ان هذه الاستقلالية يجب ان لا تفهم على ان خانات بكين لم يكن لهم التأثير على ايلخانات ايران والعراق حيث ان مثل هذا التأثير يمكن تشبيهه بالعلاقة التي كانت قائمة بين الخلافة العباسية في اواخر عهدها بأمراء الامارات الاسلامية فالأمير لا يكتسب شرعيته في الحكم الا بعد ان ينال التفويض بالحكم من قبل الخليفة العباسي وهكذا كان ايضاً بالنسبة للدولة الايلخانية فإيلخانات هذه الدولة كانوا حريصين على نيل التفويض بالحكم من قبل الخان وفي العادة كان قوبلاي خان يمنح التقليد دون معوق ويرجع ذلك

(1) لين بول: طبقات سلاطين الاسلام، ص194.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص55-56، 118، 135، 147.

(3) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص248 – 249، 251-252 ، 261 ، 313، وينظر لين بول: طبقات سلاطين الاسلام، ص192.

كما ذكره آنفاً الى طبيعة العلاقة الودية بين الطرفين فمثلاً بعد وفاة هولاكو خان وتولي ابنه أباقا منصب الخانية سنة (663هـ/1265م) اعطى قوبلاي خان هذا التفويض لأباقا دون تردد[1].

وهكذا بقيت العلاقة ودية بين قوبلاي خان واحفاد هولاكو من ايلخانات بلاد ايران والعراق غير ان هذه العلاقة على ما يبدو انقطعت في أعقاب وفاة قوبلاي خان سنة (693هـ/ 1294م) اذ لم يُشِرْ رشيد الدين الهمذاني الى حدوث أي تواصل بينهما كما انه عدد اسماء الأمراء ممن ينحدرون من أسرة منكو خان أخو قوبلاي الذين حضروا قوريلتاي انتخاب حفيد قوبلاي المدعو تيمور لمنصب الخانية سنة (694هـ/1295م) حيث خلت القائمة من أي اسم لعائلة هولاكو سواء من أبنائهِ او احفاده هذا الاجتماع[2]. اما ما يتعلق بالعلاقة بين هولاكو وأبناء أسرته من الأبناء والخواتين وأبناء عشيرته، وما اذا كان قد اعترى هذه العلاقة توتر او حركة تمرد او صراع فالمعلومات المتوفرة تشير ان هولاكو كان من القوة والقدرة السياسية والعسكرية ما جعل الاخرين غير قادرين على اظهار أي طمع في السلطة فهولاكو الذي كان يحسن اختيار الأبناء في المواقع حسب الكفاءة كان له اربعة عشر ابناً[3] غير انه لم يسمح سوى لاثنين فقط تبوء مراكز قيادية وهما الابن الاكبر الذي عهد له بولاية العهد أباقا والابن الثالث يشموث الذي كان يشترك معه في قيادة الجيوش وفي ادارة ولاية اران واذربيجان[4] اما باقي الأبناء فدورهم خلال حياته لم يكن ذا شأن باستثناء حالتين الأولى تخص الابن الثاني لهولاكو وهو جومقور الذي اشترك على غير ارداة والده بالحرب بين قوبلاي واريق بوقا الى جانب أريق بوقا وعندما ارسل اليه والده طلباً يدعوه الكف عن مناصرة اريق بوقا لم

(1) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص262. جامع التواريخ، م2، ج1، ص11، م2، ج2، ص55-56.
(2) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313 - 314.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2 ج1، ص223
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص322 - 324، 338، م2، ج2، ص9.

يعير لهذا الطلب أي اهتمام[1]. اما الحالة الثانية وفيها يذكر الهمذاني ان سوكتاي بـن يـشموث قتـل لعـدم اخلاصه لهولاكو[2] دون ان يوضح ماهية السبب في ذلك وهل يتعلق الأمر بمـؤامرة ام بفعـل آخـر، وهكـذا خلت فترة حكم هولاكو من صراعات أسرية على منصب الايلخانية لتظهر بوادر الصراع على عهد ابنه أباقـا وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث القادم ان شاء الـلـه تعالى.

ثانياً: أباقا خان يتصدى لأطماع براق الجغتائي

توفي هولاكو في شتاء سنة (663هـ/ 1265م) في اثنـاء رحلـة صـيد عنـد شـاطئ نهـر جغـاتو ((جنـوب بحيرة اورمية)) وكان عمره وقت ذاك ثمانية واربعين عاماً[3]، وجرياً عـلى عـادة المغـول صـدرت الأوامـر بـسد الطرق ومنع انتقال الافراد من الرعية من مكان الى آخر، وأرسل الأمـراء الكبـار في الحـال الى ابنـه الأكـبر أباقـا الذي كان وليا للعهد ومقيماً في مشتى مازندران في خراسان يستدعونه لتولي منصب الايلخانيـة، غـير ان أخـاه الأصغر منه يشموث[4] الذي كان واليا على اذربيجان واران حضر قبله في اليوم الثـامن مـن وفـاة أبيـه، واخـذ يعمل من أجل كسب الأمراء لترشيحه لمنصب الايلخانية، وعندما لم يجد من يعاضـده في هـذا الأمـر، وأن آراء جميع الأمراء من أبناء الأسرة الحاكمة لصالح ترشيح أباقا لمنصب الايلخانية بحكم توصية والـده في ان يخلفـه على هذا المنصب، لذلك آثر القَبول بالأمر الواقع وقفل بعـد يـومين الرجـوع إلى ولايتـه دون اثـارة مـشاكل او ازهاق ارواح[5]. وبعد ايـام وصـل أباقـا مقـر حكـم والـده ليـستقبل اولاً مـن قبـل أمـير الجيـوش ايلكانويـان

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص323 – 324.
(2) جامع التواريخ، م2، ج1، ص225.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص341. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص99-100. قزوينـي: تـأريخ كزيـدة، ص591. الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص325. بياني، شيرين: تأريخ آل جلاير، دانشكاه، تهران، 1345هـ ص5.
(4) يشموث يرد عند الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص326 بأسم اشموط.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص9. اقبال: تأريخ المغول، ص217.

الذي أطلعه على انفراد حقيقة ما جرى خلال فترة غيابه، فباشر فوراً اقامة مراسم العزاء ثم طلب عقد قوريلتاي حضره جميع الأمراء الاخوة وكبار الأمراء الاخرين والخواتين والأصهار وتغيب عن الاجتماع يشموث، فتشاور الجميع بشأن جلوسه على العرش فتقدم الأميران سكتور وسونجاق اللذان كانا يحملان وصية هولاكو بتولي أباقا منصب الايلخانية بعرض هذا المنصب على أباقا ولكن كما جرت العادة أباقا رفض ذلك وأحال الأمر الى اخوته والحاضرين الذين ركعوا قائلين ((إننا عبيد، ونعتبرك قائماً مقام ابينا)) فأجاب أباقا ((ان السيد هو قوبلاي خان، فكيف يتسنى الجلوس دون أمره)) فقال الأمراء ((إنك سيد لكافة الانجال، وتعرف جيداً الرسوم والقوانين والأحكام القديمة والحديثة، وقد اختارك هولاكو خان في حياته وليا للعهد، فكيف يجلس غيرك على العرش))[1]، وهكذا اتفق الجميع على اجلاسه على كرسي الايلخانية في 3 رمضان سنة (663هـ/ 1265م)[2]، وبعد الفراغ من اقامة مراسيم الاحتفالات والتهاني وتوزيع الهدايا باشر أباقا ضبط شؤون الحكم وترتيبها وأمر ان تكون الاحكام والقوانين التي كان قد وضعها هولاكو نافذة على عهده[3].

ويبدو أن أباقا لم يتخذ اجراءاً سلبياً ضد أخيه يشموث لتخلفه عن حضور القوريلتاي حفاظاً على وحدة أسرته الحاكمة، واظهر الود له بأن أبقاه على حكم ولايته أران وأذربيجان فكلفه بمهمة الحفاظ على حدود ولايته من أي تهديد محتمل عليها من قبل أبناء عمومته مغول القفجاق[4].

واذا كان أباقا خان لم يواجه خلال فترة حكمه التي امتدت سبعة عشر عاماً (663 - 680 هـ/ 1265- 1282م)[5] تهديداً جدياً من قبل أبناء أسرته أسرة هولاكو

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص9-10، وينظر كذلك المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص100. اقبال: تأريخ المغول، ص217.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص10 – 11. الكتبي: عيون التواريخ: ج20، ص325-326.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص10 -11. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص154.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص12. اقبال: تأريخ المغول، ص217.
(5) لين بول: طبقات سلاطين الاسلام، ص201.

على منصب الايلخانية، فإن مثل هذا التهديد جاء من قبل أبناء عمومته مغول القفجاق ومغول الجغتاي في بلاد ما وراء النهر، واذا كنا قد تحدثنا عن صراع الايلخانيين مع مغول القفجاق في الفصل الثالث فسيقتصر الحديث هنا اولا عن الصراع الذي وقع بين أباقا وبين براق الجغتائي الذي حاول القضاء على أباقا بالسير الى بلاد ايران والعراق وضم بغداد الى نفوذه[1] وثانيا عن الصراع مع النوكداريان.

وبراق وأباقا يلتقيان في سلسلة نسب واحد بجدهم جنكيزخان فالأول هو آبن ييسو بن مواتوكان بن جغتاي بن جنكيزخان، فهو إذاً حفيد جغتاي بن جنكيزخان، اما الثاني أباقا فهو ابن هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان، وهما بذلك أبناء عمومته[2]، غديا يعاديان احدهما الآخر، فقد اظهر براق الذي كان خاناً على بلاد ما وراء النهر من سنة (664- 668 هـ/ 1266- 1270 م)[3] العداء لأباقا خان، وجذور هذا العداء ترجع الى فترة الصراع بين اريق بوقا وقوبلاي خان حيث كان براق من الخارجين عن طاعة قوبلاي خان وكان هولاكو يدعم قوبلاي ضد براق[4] فعندما توفي هولاكو انتقل العداء الى ابنه أباقا ولكن براقاً الذي عرف عنه الدهاء واستغلال الفرص اظهر لأباقا الرغبة في تحسين العلاقة معه ونسيان الماضي كما أظهر الميل في أن يضع مناطق نفوذه في بلاد ما وراء النهر تحت سلطة الايلخانيين ولتأكيد هذه الرغبة أرسل وزيره مسعود بك بن محمود يلواج أواخر سنة (666هـ/1268م) كمبعوث عنه الى أباقا خان لينقل له هذه الرغبة ولكن كانت مهمة مسعود في الباطن التجسس على تعداد جيوش أباقا واماكن وجودها

(1) اقبال: تأريخ مفصل إيران، ج1، ص206 – 207.

(2) عن سلسلة نسب براق وأباقا وانتمائهما لجدهما الرابع جنكيزخان ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص136-140 ، ص162 . الصدفي: تأريخ دول الاسلام، ج2، ص284.

(3) لين بول: طبقات سلاطين الاسلام، ص224.

(4) بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ص707 – 708.

والتحصينات وجمع المعلومات الجغرافية عن المعابر والطرقات ما بين ما وراء النهر وخراسان لأن براقاً كان قد عقد العزم على ضم بلاد الايلخانيين لنفوذه[1].

استقبل مسعود بك بحفاوة بالغة من قبل أباقا خان فأعزه وألبسه رداء جنكيزخان واظهر الفرح والسرور بلقائه وبين مسعود لأباقا اخلاص سيده براق له وكتعبير عن ذلك وضع بلاده تحت نفوذه ولكن بمجرد ان شعر مسعود ان أركان حكم أباقا أظهروا التشكيك في نوايا براق حتى استأذن مسعود من أباقا الرغبة في العودة فأذن له فسار مسرعا لمدة اربعة أيام بلياليها حتى بلغ ضفاف نهر جيحون وبعد مضي يوم على مغادرته وصل أباقا خبر يفيد ان براقاً قد عبر نهر جيحون غازياً بلاده وان زيارته لم تكن الا خدعة للاستطلاع وجمع المعلومات[2].

وهكذا أفلت مسعود من مطاردة الكتيبة التي أمرها أباقا اللحاق به بعد كشف أمره[3] فالتحق ببراق وعرض عليه ما شاهده وكان لبراق أخ يدعى نكودار أغول يعمل في خدمة أباقا ويحكم بلاد الكرج ((جورجيا)) فإنضم الى براق في حركة تمرد ضد أباقا واندفع الاثنان براق ونكودار نحو اذربيجان، فما كان من أباقا الا ان استجمع قواته فأمر اولاً التصدي لنكودار بحكم قربه من اذربيجان فأرسل اليه اشهر قواده شيرامون بن جورماغون الذي انزل هزيمة ماحقة بجيش نكودار الذي لاذ بالفرار طالبا اللجوء عند الملك داود ملك الكرج ولكن الأخير دبر حيلة لقتله فلم تنجح فأفلح نكودار في الهرب ليقع اخيراً في أسر قوات شيرامون المطاردة له وتحت رغبة اهله وعياله أمر أباقا بالعفو عنه بعد ان أمر بقتل الأمراء الستة الذين كانوا موضع أسراره ووزع بقايا عسكره على جيشه كي يمنع تمردهم ثانية[4].

---

(1) قزويني: تأريخ كزيدة، ص591. اقبال: تأريخ المغول، ص221 – 222. الصياد: الشرق الاسلامي، ص45 – 46.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص15. اقبال: تأريخ مفصل إيران، ج1، ص210، تأريخ المغول، ص222.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص15. قزويني: تأريخ كزيدة، ص591.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص 23-25. اقبال: تأريخ المغول، ص222.

اما عن براق فيبدو ان تقدمه نحو اذربيجان قد تعثر في اثناء عبوره بلاد خراسان اذ حدث ان تمـرد عليه ابن عم له يدعى قايدو الذي كان يحكم جزءاً من بلاد ما وراء النهر وحظي قايدو بدعم من منكوتمر خان مغول القفجاق الذي أمده بخمسين الف مقاتل اضطر فيها براق العودة الى بلاد ما وراء النهر ليقاتـل قايدو فوقعت الحرب وقتل عدد كبير من الطرفين ولم تهدأ الا بعد ان اتفق الطرفـان عـلى تقاسـم منـاطق النفوذ في بلاد ما وراء النهر وكان براق مرغماً على هذا القَبول ومتأملا في حال الانتـصار عـلى أباقـا العـودة ثانية للقضاء على قايدو[1].

أراد براق ان يوحي لاحفاد جنكيزخان انه رجل يريد الوئام مع الجميع وانـه لا رغبـة لـه بـالحرب وانه ضحية اطماع الآخرين فيه ولهذا خاطب جمعاً من أبناء عمومته بالقول ((أنا ايضاً ثمرة تلك الشجرة - الجنكيزخانية فيجب ان يكون لي موطن معين ومعيشة مرضية لقد كان جغتاي واوكتاي ولدي جنكيزخـان، فبقى قايدو تذكاراً لأوكتاي، وبقيت انا من جغتاي وبقي بركة ومنكوتمر من جوجي الذي كـان الاخ الاكـبر، وبقي قوبلاي قاآن من تولوي الذي كان الأخ الاكبر، والآن قد استولى قوبلاي عـلى نـواحي الـشرق وممالـك الخطا والماجين - الصين - تلك الاقاليم التي لا يعلم طولها ولا عرضها الا الـلـه ويحكم أباقا واخوتـه الملـك الذي ورثوه عن ابيهم، والذي يمتد غرباً من ضفاف نهر جيحون حتى أقصى تخوم الشام ومصر، وبين هاتين المنطقتين توجد ولاية التركستان - بلاد ما وراء النهر - وقجاق حيث تقيمون وتملكون، ومع هذا فإنكم قـد اتفقتم عليَّ، ومهما كنت افكر وأتأمل حقيقة الأمر، لا أرى اني قد أثمت حتى أقصى))[2].

وهكذا أظهر براق انه راضٍ بموطنه في بلاد ما وراء النهر لأطـماع لـه بعـد الآن في املاك أبناء عمومته فاقتنع الجميع بقوله وقالوا : ((قررنا الا نذكر الماضي بعـد اليـوم))[3] ولكن مسار الأحداث تغيرت بعـد عـام إذ إن الحـرب وقعـت سـنة (667هـ/1268م) بـين

(1) بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ص708 - 710.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص21-22.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص22.

منكوتمر خان مغول القفجاق وبين أباقا[1] فاستغل براق ذلك بأن عرض على قايدو ومنكوتمر بأن يطلقوا يده ليعبر بجيشه بلاد ايران ويستولي على ممالك أباقا خان وقال لهم ((اذا كنتم متفقين على هذا القول فنتعاهد ولنقسم عليه))[2].

كان هذا العرض يصب في مصلحة منكوتمر وقايدو لأنه سيخفف الضغط العسكري للايلخانيين على جنوب بلاده، أما قايدو فسيؤمن له هذا العرض الحفاظ على مناطق نفوذه من تحرشات براق كما أن قايدو أراد بتشجيعه على هذا العمل توريطه في مقابلة غير محسوبة الجوانب أملا في اضعافه بهدف الحوز على مناطق نفوذه، وهكذا وعد قايدو براق بأمداد حملته على ايران بقوة من جنده ولكنه في واقع الحال أمر قائد هذه القوة ان ينسحب حال وقوع القتال بهدف الحاق الهزيمة ببراق[3].

عبر براق نهر جيحون في شهور سنة (668هـ/ 1269م) على رأس جيش جرار تمكن بيسر الاستيلاء على خراسان بعد ان انسحب منها حاكمها تبشين أغول الذي التجأ الى مازندران ومنها ارسل الى أباقا خان يعلمه باستيلاء براق على خراسان[4] ولم يبقَ له سوى مدينة هراة[5]، وكان براق قد ارسل الملك شمس الدين كرت ملك هراة يدعوه الدخول الى طاعته ويخبره انه استولى على خراسان ويعتزم السير الى اذربيجان والعراق والاستيلاء على بغداد ويعده بأقطاعه بلاد خراسان كلها اذا انضم الى جانبه ضد أباقا[6] فوافقه شمس الدين اولا ثم ما لبث ان تراجع بعد ان وصلته اخبار توجه أباقا بجيش كبير لمواجهة براق[7] وخلال ذلك دب الخلاف بين أمراء براق وكاد ان يصل حد

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص444.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص20، 22.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص25-26.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص25-26. اقبال: تأريخ المغول، ص223.
(5) هراة: مدينة عامرة في اقليم خراسان تقع على أرض خصبة على نهر بخشكرود وتتبع هراة عدد كبير من القرى تقدر بأربعمائة قرية، الحميري: الروض المعطار، ص594 – 595.
(6) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص32-33.
(7) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص33. اقبال: تأريخ المغول، ص223.

الاحتراب ولاسيما بين أشهر قواده جلاير تاي وقيبجاق وقد أورد رشيد الدين الهمـذاني جانبـاً مـن الـسجال الذي حدث بينهما بسبب رغبة كل منهما الاستحواذ على أكبر قدر من الجياد عـلى حـساب الاخـر ليتطـور الأمر الى وصم قيبجاق للأمير جلاير بالكلب فأجاب جلاير ((اذا كنت كلباً، فإني كلب بـراق لا كلبـك، فـألزم حدك، وتولى أمرك)) فاهتاج قيبجاق غضباً وقال : ((اتجيبنـي بوقاحـة لـو قـددتك نـصفين فـماذا عـسى ان يقول لي براق من أجلك؟)) فمد جلاير يده الى المدية وقال ((اذا طعنتني بالسيف، فلأشقن بطنك بالمدية)) كل ذلك حدث أمام براق الذي لم يحاول إطفاء نار الخلاف فكان هذا إيذاناً بانقسام جيشه وكـان قيبجـاق يأمل من براق ان يقف الى جانبه بحكم صلة القربى بينهما، وعندما لاحظ ان براقـاً يمـيـل الى جانـب جلايـر انتابه الخوف والغضب فتشاور مع الأمراء الذين يعملون معه فأشاروا عليه الانسحاب مـن جـيش بـراق[1] فتركوه منسحبين بحوالي ألفي فارس خادعين براق الذي كـان ظانـاً انهـم متوجهـون للـصيد وعنـدما عـرف حقيقة أمرهم كان قد فاتَهُ الاوان لأن هؤلاء قد عبروا نهر جيحون وانضموا الى جانب قايـدو، وكـان قايـدو خلال ذلك قد مهد قواعد الصداقة مع أباقا خان الى حد ان كلّ واحد منهم كان يخاطب الاخر بأورتـاق أي الصاحب أو الرفيق[2]، في الوقت الذي ازدادت اوضاع براق تدهوراً منها التحاق أبـن بـراق الأمـير بيكتمـور أغول الى معسكر قايدو الذي ابتهج بقدومـه وأحـسن إليـه[3]، كـما ان الظلـم والقـسوة ومـصادرة الامـوال والغلال والدواب من الرعية واعتدائه دون مبرر على أبناء وزيره مسعود بك كلها أسباب جعلت الكثير من اتباعه ينفرون منه ويتمنون هزيمته[4].

استعد أباقا خان لمواجهة براق بجيش جرار تحرك به من قوتنديل ميانـة في اقلـيم اذربيجان في يوم الأحد 4 من رمضان سنة (668هـ/ 1270م) ومعه جميـع أخوتـه والأمـراء وأركان الدولة وكان فصل الربيع يسهل الحصول عـلى الاعـلاف وفي الطريـق الى خراسـان

(1) جامع التواريخ، م2، ج2، ص27.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص27 -30.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص30.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص30. الصياد: الشرق الاسلامي، ص48-49.

التحق به الأمير تكاجك الذي كان موفداً من قبل قوبلاي خان إليه وكان براق قد اعتقله، حيث تمكن الهرب من أسره ليطلع أباقا على أحوال براق الحقيقية فبين له ان جنده منشغلون دائماً بالشراب واللهو، وان خيولهم اصبحت هزيلة بسبب الاهمال وان براق لا يعلم شيئاً عما جرى لأخيه نكودار أغول وأسره[1] فجد أباقا في السير لينضم اليه عند ضواحي مدينة الري[2] الأمير تبشين وقطعات من عسكره في هذه المنطقة التي كانت تحت قيادة الأمير ارغون حيث فيها منح جنده الراحة كما وزع عليهم هبات من الدراهم والدنانير، وخلع على الأمراء وأجزل العطاء لهم وقواهم بوعود طيبة، ثم دخل خراسان وعسكر في باخرز التابعة ليادغيس القريبة من هراة ومن هناك أرسل أباقا الأميرين نوبجاق بهادر ونيكباي مع مائة فارس لغرض الاستطلاع والتجسس على قطعات براق في حين انشغل هو بالتخطيط وتوزيع القطعات فعين أخاه يشموث على ميسرة الجيش وجعل ابتاي نويان في القلب وتبشين على الميمنة في حين تولى هو القيادة[3].

علم براق عن طريق الأمير مرغاول بتجمع جند الايلخانيين للقتال ولكن كانت تنقصه المعلومات الاستخبارية عن من يقود هذا الجيش فقال للأمير مرغاول ((اذا كان تبشين وارغون قد قدما للحرب مرة ثانية، فقد سبق ان جربناهما واذا كان القادم أباقا خان فذاك أمر آخر اذهب انت واعترض طريقهم حتى ندبر نحن أمر الجيش))[4].

وعلى ما يبدو أن أباقا اختصر على براق الطريق عندما أرسل اليه من يقول له ((إننا قدمنا من العراق الى خراسان وخففنا عنك تعب السفر ومشقته، وأعلم يقينا ان ملك العالم لا ينال بالظلم والطغيان بل ينال باستمالة الرعية ورعاية احوالهم والمحافظة

(1) الهمذاني: جامع التواريخ م2، ج2، ص33- 34.
(2) الري: مدينة تقع في اقليم بلاد الجبل يخترقها نهر يقال له روذة واهلها مشهورون بالتجارة، الحميري: الروض المعطار، ص278-279.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ م2، ج2، ص34. اقبال: تأريخ المغول، ص223.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص35.

على الحدود والعمل بأوامر الـلـه ونواهيـه ويجـب عـلى العاقـل ان يحـذر ويجتنـب أمـراً تكـون عواقبـه وخيمة. ومع هذا فإنك لو اردت ان يزول الخصام بيننا فآختر واحداً من ثلاث :

أولاً: الصلح لكي امنحك غزنة[1] وكرمان[2] الى ضفاف نهر السند.

ثانياً: ان تعود بالسلامة الى ديارك وبلادك ولا تدع خيال المحال يتطرق الى خاطرك.

ثالثاً: ان تتأهب للقتال))[3].

كان هذا عرض مغري من طرف أباقا لبراق اذ فيه تنازل كبير عن اجزاء واسعة من خراسان لمصلحة براق ولكن براق الذي عرف عنه التهور والتكبر لم يستجب لرأي مقدم أمرائه الأمير بيسو الـذي قـال لـبراق ((ان المصلحة في الصلح - فخيولنا هزيلة ضامرة، اما هم فلديهم كافـة المعـدات، فمـن الخـير ان نـسير الى غزنة نقيم عاماً او عامين لانه لم يصبنا عار من الاقلاع عن القتال اذ ان أباقا خان ملك عظيم، والصلح معـه فخر لنا، ويمكن ان نلتمس منه اشياء كثيرة ليبذلها لنا)) وهنا شكك الأمير مرغاول بعرض أباقا خان، وادعى بأن أباقا لم يكن مع جيشه وانما هو قد توجه الى بلاد الشام لقتـال المماليـك وان الـذي يقـود جيـشه هـما الأمير تبشين وأرغون وهما اللذان دبرا خديعة طلب الصلح واذاع بين الناس اشاعة وصوله على رأس جيشه الى خراسان، وايده في ذلك الأمير جلاير تاي واضاف مخاطبا سيده براق بالقول ((نحن قـدمنا للقتـال، ولـو كنا نريد الصلح لكان أولى بنا ان نعقده فيما وراء النهر))[4].

---

(1) غزنة: تقع في اقليم سجستان شرقي إيران وهي مدينة كبيرة كانت عاصمة للدولة الغزنوية يتبعها عـدد كبـير مـن المـدن الصغيرة والقرى والرساتيق. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص387.

(2) كرمان: اقليم يقع في الجنوب الشرقي من بلاد إيران واشهر مدنه هي مدينة بردسير ثم استبدل اسـمها ليطلـق عليهـا في الوقت الحاضر اسم كرمان ويضم الاقليم عدة مدن اشهرها خبيص الى الشمال من بردسير والسيرجان على حدود اقليم فارس وجيرفت وهي تتاخم ساحل مضيق هرمز. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص337-338.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص35. وينظر كذلك اقبال: تأريخ المغول، ص223.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص36.

وهكذا استقر رأي براق على القتال وطلب بإرسال الجواسيس ليتحققوا في ما كان أباقا خان على رأس عسكره ام لا، فارسل ثلاثة جواسيس ولكن من سوء حظه ان وقع هؤلاء في قبضة أباقا وتحت التعذيب اعترف احدهم قائلا : ((إني سأبين بالصدق جميع الاحوال على حقيقتها ان براقاً لا يعلم شيئا قط عن وصول أباقا وإن أمراءَهُ لفي ظنون، فبعضهم يقول ومنهم تبشين وارغون اللذان جمعا جيشاً واشاعا ان أباقا قادم فارسلونا لنستطلع الاخبار إن كان أباقا قد جاء بنفسه أم لا))[1].

فاستغل أباقا هذه المعلومات ليبني عليها حيلة انطلت على براق وكان لها أكبر الاثر في تحقيق النصر عليه وملخصها بأن اتفق مع أحد فصحاء المغول بأن يأتي مسرعاً الى مجلسه على هيئة مبعوث يدخل عليه بحضور الجواسيس المقبوض عليهم وهو متظاهر بالانشغال بالحديث عن براق وفعلاً دخل حسب الاتفاق ذلك المغولي وهو مدجج بالسلاح فقبّلَ الأرض وقال ((لقد انقضت ثلاثة شهور على ابتعاد الملك عن المعسكرات فإنهال من دربند مغول القفجاق الجنود كالنمل والجراد فنهبوا المعسكرات وبيوتات الأمراء، ولم يبقوا على شيء في تلك الديار بسبب القتل والنهب وامتدت جيوشهم من دربند الى بلاد الأرمن ودياربكر برمتها، فإن لم تسارع بالعودة فلن تجد المعسكرات والممتلكات والرعايا)) فلما سمع الأمراء هذا الكلام ذهلوا جميعاً واضطربوا وارتجفت قلوبهم خيفة على بيوتهم وأبنائهم وهنا استغل أباقا الموقف ليقول للأمراء ((نحن جئنا لنحافظ على هذه البلاد من الاعداء بينما تركنا شؤون ولايتنا ورعايانا ومعسكراتنا وما يتعلق بنا في يد هؤلاء الاعداء فالرأي ان نعود في هذه الليلة لننقذ النساء والاطفال، وبعد ان نفرغ من أمرهم نعود فنتوجه الى هذه الناحية لصد براق))[2].

وفي الحال نفخوا الابواق وتحرك المعسكر عازمين ان يصلوا الى حدود تبريز في اقليم أذربيجان بعد عشرة أيام تاركين خيامهم وسرادقهم على حالها، ثم أوعز أباقا خان لأحد الأمراء بقتل هؤلاء الجواسيس الثلاثة، ولكنه في السر أمر هذا الأمير بأن يقتل اثنين فقط ويطلق سراح الثالث فنفذ الأمير الأمر ثم ارتحلوا من هناك الى موضع جنوب

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص37. الصياد: الشرق الاسلامي، ص49.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص38.

هراة يطلق عليه صحراء جينة ليتخذها ساحة قتال[1] وأرسل أباقا الى القاضي شمس الدين حاكم مدينة هراة يطلب منه الطاعة وإغلاق أبواب هراة في وجه براق والا ستكون العاقبة وخيمة عليه في حال المخالفة[2].

وصل الجاسوس المطلق سراحه الى بلاد براق ثم أدلى بحديث فراره وما شاهده بانسحاب جيش أباقا وتركهم الخيام والسرادق ففرح براق وصار ضاحكاً وقال ((أهذا أراه في اليقظة يا ربُّ أم في المنام))[3].

وهكذا انطلت الحيلة على براق الذي أمر أمراءَهُ وجنده على الفور بالتحرك فاقتربوا من هراة التي امتنع حاكمها عن فتح الابواب ومع ذلك لم يبالِ براق بالأمر بل واصل المسير ليعبر نهر هراة فشاهد الصحراء كلها مليئة بالخيام والسرادقات ففرح للغاية وأمر بنهبها جميعاً وبعد مسيرة فرسخين شاهد في الصحراء عدداً هائلاً من الجند فتبدل فرح براق غماً وأمر على الفور الاستعداد للحرب على الرغم من الارهاق الذي كان قد اصاب جنده[4].

اما أباقا خان فقد استدعى الأمراء على الفور قائلاً لهم ((إنني قد اوقعت براق في الشرك بالرأي والتدبير، فيجب ان تتوجهوا الآن للقتال متحدين متآزرين من أجل الدفاع عن حياتكم وحياة نسائكم وابنائكم وحفظاً لسمعتكم وشرفكم ورعاية لسوابق حقوق ابائنا وأجدادنا، وعليكم ان تبعدوا عن خواطركم التلكؤ والتردد، وان تبذلوا قصارى جهدكم، فإن الموت في الحرب مع الشرف والكرامة، خير من الحياة مع العار وشماتة الاعداء، واني لأرجو الله تعالى في حالة ما اذا حملنا على براق متحدين متفقين ان يوفقنا الى خذلانه وهزيمته، فنعود مظفرين منصورين))[5].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ م2، ج2، ص38-41. الصياد: الشرق الاسلامي، ص49.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص39.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص39.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص40 -41.
(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص41.

وما ان انتهى أباقا من كلامه حتى صاح الجيمع ((إنك ملك ونحن العبيد، قد خضعنا لأمرك ورأيك)) ثم توجهوا للقتال وحسب تقسيمات القيادة التي سبقت الاشارة اليها[1].

اما براق وأمراؤهُ فقد صعقوا لهول المفاجئة فهذا براق يقول لأمرائه ((لقد كان ظننا خطأ وخيالنا باطل)) اما الأمير جلاير تاي فيقول ((وهذا الجيش ليس بأقوى منا، ولكن العيب في ان خيولهم مجهزة على حين ان خيولنا هزيلة عجفاء، ثم انهم قطعوا عليها طريق الماء))[2].

بدأ القتال وفي الصولة الأولى قتل الأمير مرغاول الذي كان يعد من خيرة أمراء براق ومع محاولة جلاير تاي الذي اندفع بقوة في مهاجمة ميسرة جيش أباقا وتمكن من قتل الكثير منهم واندفع بعمق أربعة فراسخ يطارد المنهزمين ولكن عندما اراد العودة لم يستطع ان يجمع جنده لأنهم كانوا قد تشتتوا وعندها أمر أباقا بإعادة تنظيم الجيش حيث تمكنوا من عزل جلاير عن اتباعه ثم طارده أما بقية جيش براق فلم يستطع الصمود طويلا اذ مالبث ان انهار ليهرب براق من ساحة المعركة ناجياً بنفسه مع عدد قليل من جنده ليقع البقية قتلى وأسرى حيث استسلم حوالي ألفا فارس مرة واحدة لجيش أباقا وهكذا حقق أباقا نصراً مبيناً في هذه المعركة التي كانت قد وقعت في غرة ذي الحجة سنة (668هـ/1270م)[3] وبهذا النصر حافظ أباقا على بلاد خراسان حتى نهر جيحون كولاية تابعة لملكه واعاد ايكال مهمة ادارتها الى الأمير تبشين اغول مكافأة على دوره في الحرب كما كرم باقي الأمراء والجند وعاد الى مراغة مظفراً[4].

اما براق فإن أحواله تدهورت كثيراً بعد هذه المعركة ليصاب بمرض الفالج وليبتعد عنه افراد أسرته والأمراء الذين كانوا يخشون من انتقامه منهم، وقد ترك ابتعادهم عنه

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص41.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص 42.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص43-45. قزويني: تأريخ كزيدة، ص591. اقبال: تأريخ المغول، ص223.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص45، 55.

اثراً سيئاً في نفسه ليقول متحسراً ((اية اساءة ارتكبتها في حق هذه الطائفة؟ ان هؤلاء قد نعموا مدة من الزمن في ظل دولتي واقتنوا المال الوفير، وكانوا قد تشاوروا... قائلين : لنعبر النهر وطالما كانوا يصرحون بقولهم لنرحل الى هنا وهناك لكنهم يوم القتال خالفوا قولهم وفروا وتركوني مترجلاً بين الاعداء، واليوم وقد اعتراني المرض، يعرضون عني فإن شفيت فأين يستطيعون ان يذهبوا ؟))[1].

وهكذا تخلى عنه اصحابه واعداً إياهم بالانتقام اذا ما شفي، والتجأ الى بخارى وفيها اعلن اسلامه بهدف التقرب الى سكانها الذين كانوا في غالبيتهم مسلمين واتخذ لنفسه لقب السلطان غياث الدين ولكن اجراءاته هذه لم تكن ذا مغزى لأن الجميع كانوا يدركون مدى ظلمه فازدادت حالته الصحية تدهوراً، كما تخلى عنه وزيره مسعود بك الذي التحق بصف منافسه قايدو الذي كان قد استولى على معظم اراضي بلاد ما وراء النهر واخيرا مات براق بالسم[2] ولم يحدد لنا رشيد الدين الهمذاني تأريخ وفاة براق ولكن يبدو انها حدثت في سنة (671هـ/ 1273م) أو قبلها بأشهر ذلك لان حاكم قلعة اموية[3] المسمى أق بك قدم في هذه السنة الى أباقا خان يحذره من ان جنود اجانب يستمدون قوتهم من بخارى سوف يهاجمون بلادك[4] وهؤلاء الجنود هم من بقايا اتباع براق الذين لم يعد لهم راعياً بعد وفاة قائدهم براق، وقد اخذ أباقا هذا التحذير على محمل الجد وقال لييسودر أغول الذي اصبح والياً على خراسان في اعقاب وفاة تبشين اغول ((اذا رضيَ اهلُ تلك المدينة - بخارى - بالهجرة عن وطنهم والمجيء الى خراسان فلا تتعرض لهم بسوء والا فالغارة على بخارى)) واوفد له عدداً من الأمراء وبصحبتهم

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص46-48.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص48 - 55
(3) اموية: اسم مدينة تضم قلعة تحمل اسمها تقع على ضفة نهر جيحون من جانب خراسان وسميت بهذا الاسم نسبة الى نهر امويا، وامويا هو اسم محلي فارسي للنهر العظيم جيحون حيث شاع استعمال هذا الاسم في الحقبة المغولية ليحل محل اسم جيحون، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص477- 478.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص58.

عشرة آلاف جندي حيث قصدوا بخارى وعسكروا حولها لتطبيق التهديد في حال الرفض[1].

لم يستجب أهل بخارى للتهديد فأغلقوا الابواب وقاتلوا يوما كاملاً ولكن جند أباقا تمكنوا من فتح احد ابواب المدينة في الأول من رجب سنة (671هـ/1273م) لينـدفعوا الى داخلها منزلين بأهلها القتل والنهب والسبي فأجروا فيها نهراً من الدماء واضرموا النيران في مدرسة مسعود بك التي كانت أعظم المدارس واكثرها عمراناً وازدهاراً هناك فأحرقوها بما فيها من نفائس الكتب، واستمروا في القتل والنهب أسبوعاً ثم طالت المدينة النيران لتتحول هباباً يبابا بحيث صدرت الاوأمر بأن لايبقى حي قط في تلك المدينة لمدة سبع سنوات[2]. وبخراب هذه المدينة هدأت جبهة الصراع بين الايلخانيين ومغول بلاد ما وراء النهر لتتجدد ثانية في سنة (677هـ/1279م) وهذا ما سنتناوله ضمن المبحث الاتي.

ثالثاً: أباقا يتصدى للنوكداريان الجغتائيين

بانتهاء الصراع مع براق الجغتائي عاش أهل إيران في مأمن من أي اعتداء من مغول الجغتاي حتى سنة (677هـ/1279م) إذ في هذا العام قامت طائفة من الجغتائيين الذين يطلق عليهم تسمية النوكداريان وأصل التسمية ترجع الى نكودار، ونكودار هو بن موجي بن جغتاي بن جنكيزخان[3] فهو بهذا الانتماء يعد من أبناء عمومة أباقا وكان نكودار حاكماً على مدينة غزنة ويعد من خصوم هولاكو والد أباقا، استغل الحرب التي وقعت بين بركة خان حاكم مغول القفجاق وهولاكو سنة (660 هـ/ 1262م) بأن عبر بلاد ما وراء النهر الى خراسان بهدف الاستيلاء عليها ولكن سرعان ما تصدت له قوة أرسلها هولاكو فاضطر نكودار على التراجع الى بلاده دون تحقيق أي هدف له في بلاد خراسان.

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص58 – 59.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص59 – 60.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص136

وبعد وفاته بقي اتباعه مقيمين في منطقة غزنة ويبدو انهم بقوا المتحكمين فيها ليهاجم هؤلاء سنة (677هـ/ 1279م) بألفي فارس ولاية فارس وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالقوة التي ارسلها شحنة فارس حيث قتلوا معظمهم، ثم واصلوا تقدمهم فهاجموا مدينة شيراز فساقوا خيولها ونهبوا اموالها وأخذوا يعبثون في هذه البلاد فساداً وتخريباً[1] مستغلين فرصة توجه معظم جيش أباقا خان نحو الغرب استعداداً لخوض معركة فاصلة مع المماليك على أرض بلاد الشام انتقاماً لهزائم المغول المتكررة فيها على عهده[2] فاضطر أباقا أمام هذا التهديد الخطير ان يوقف زحفه نحو بلاد الشام ليعود الى تبريز، آثراً البقاء فيها لعدم ملائمة الجو في التحرك لمواجهة النوكداريان بسبب اشتداد حرارة الصيف[3].

وفي غرة شهر المحرم سنة (677هـ/1279م) تحرك أباقا خان من تبريز وتمكن من طرد النوكداريان من بلاد فارس ومنها توجه نحو خراسان للقضاء عليهم وفيها أوكل هذه المهمة لابنه ارغون الذي قاد جيشاً كبيراً في الثالث من ربيع الأول سنة (678هـ/ 1280م) تمكن به من اخضاع النوكداريان في اقليم سجستان وفي الرابع عشر من ربيع الأول من تلك السنة قصد مدينة هراة فتمكن بسهولة من اخضاعها بعد ان وافق على منح بقايا النوكداريان فيها الامان لقاء إعلان طاعتهم له[4] وبهذا الامان استطاع أباقا خان ان ينهي اخر صراعاته السياسية مع أبناء عمومته من أمراء الجغتائيين في بلاد ما وراء النهر.

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص125، 155، جامع التواريخ، م2، ج2، ص70 -71، ص228

(2) عن هزائم المغول امام المماليك على عهد أباقا ينظر: ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تأريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1942م، م7، ص 215 – 217، 221، 228، 234. الأمين: المغول، ص228.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص72. الصياد الشرق الاسلامي، ص105.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص72.

رابعاً: تكودار وأرغون والصراع على منصب الايلخانية

تركت وفاة أباقا خان في اواخر سنة (680هـ/1282م) اثر اصابته بمرض هذيان السكارى ((نوع من الحمى نتيجة السكر الشديد))[1] مشكلة في من يرثه على منصب الايلخانية وانقسمت الأسرة الحاكمة الى فئتين كل منها لها مرشحها الذي تدافع عنه.

الفئة الأولى ترغب في تنصيب أرغون بن أباقا خان وتعده الوريث الشرعي والأحق بمنصب الايلخانية نظراً لخدماته الجليلة للايلخانية، فضلا عن كونه أكثر الأبناء قرباً للايلخان المتوفى.

الفئة الثانية يمثلها كبار الأمراء من الأسرة الحاكمة التي ترى ضرورة التمسك بأحكام الياسا الجنكيزخانية والتي تعطي اكبر افراد الأسرة الحق في تولي العرش، وهذا ما ينطبق على تكودار أكبر أبناء هولاكو سناً من الأحياء[2].

عمل كل فريق من الفئتين في الخفاء وفي سرية كاملة للوصول الى هدفه وأغراضه، وعندما طلب من الجميع الحضور لعقد القوريلتاي لاختيار الايلخان الجديد خوفاً من ان يستشري الخلاف في حال التأخير، انبرى اتباع ارغون في الدفاع عن مرشحهم معتبرين انه الافضل ومن هؤلاء بوقا وأخوه أروق وأق بوقا وبقية المقربين الى أباقا خان الذين قالوا ((إن الأمير أرغون يمتاز على الجميع بالعقل والرأي والكياسة والسياسة، فالملك جدير به ومناسب لشخصه)).

وكانت قوتوي خاتون زوجة هولاكو تميل أيضا الى الأمير ارغون وكانت توده وتعمل على توليته العرش على الرغم من أن أحمد كان ابنها[3].

أما تكودار فإن حجج اتباعه في الدفاع عن ترشيحه لم تكن تتعدى حدود كونه الاكبر سناً من بين افراد أسرة هولاكو فلم يكن له دور سياسي واضح في الدولة الايلخانية سواءٌ على عهد ابيه هولاكو ام على عهد أخيه أباقا، فقد كان يعيش في

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص268. ابن الفرات: تأريخ ابن الفرات، م7، ص234. شبولر: العالم الاسلامي، ص69. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص165.
(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص218.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص91.

قراقورم مع عدد من أسرة هولاكو ممن كان هولاكو قد تركهم في منغوليا في اثناء حملته على ايران والعراق وبعد وفاة منكوخان سنة (655هـ/1257م) استدعاهم قوبلاي الى بكين الى حين ان عادوا الى تبريز على عهد أباقا[1].

عقد القوريلتاي في 26 محرم سنة (681 هـ/ 1283م) في الاتاغ[2] بحضور جميع الأمراء وبعد مداولات وحوارات ساخنة اشاد الأمير شيشي بخشبي وكان أميراً عاقلاً كفوءاً إذ إن رأي أكثر الأمراء الى جانب ترشيح تكودار فقال للأمير أرغون ((ان مصلحتك ومصلحتنا تقضي بأن ترضى بتولية تكودار حتى نخرج سالمين من بين هذا الجمع)) فلما رأى ارغون أن معظم قادة الجيش مع هذا الرأي رضي بالأمر مرغماً ولكنه ترك الاتاغ بعد ثلاثة أيام فسار الى ناحية سياه كوه حيث استولى على خزائن ابيه فيها[3].

وفي يوم الأحد 13 ربيع الأول سنة (681 هـ/1282م) أعلن الأمراء بغياب أرغون تنصيب تكودار ايلخاناً خلفاً لأخيه أباقا خان المتوفى وقطع الأمراء العهود وكتبوا المواثيق بذلك[4] وبعد ايام وصل الأمير ارغون مع ألفي فارس وأخذ يعاتب تكودار قائلا ((لما لم تنتظر حتى احضر حفل تنصيبك واجلسك على العرش)) فاعتذر تكودار له وأكرمه واتباعه[5] ويبدو ان ارغون أدرك أن الأمر كان قد خرج عن طوعه لذا رضي بالأمر الواقع منتظراً الفرصة السانحة ليثأر من عمه.

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص16-17. اقبال: تأريخ المغول، ص235. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص66، وعن كون تكودار الاكبر سناً من الاحياء بين اخوته وان امه قوتوي خاتون ينظر: ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص269.

(2) الاتاغ او بيلاق: مدينة تقع شمال اذربيجان ذات مناخ طيب ومياه ومراعٍ وفيره وفيها أماكن عديدة للصيد وكانت بسبب هذه المزايا مصيفاً للايلخانيين، الصياد: الشرق الاسلامي، ص122 الهامش رقم (4).

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص91 – 92.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص269. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص92. قزويني: تأريخ كزيدة، ص593.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص93.

وكان تكودار يدرك مخاطر آبن أخيه أرغون لذلك ما ان شرع يباشر سلطاته حتى قرر إبعاد ارغون عن تقلد أي منصب فقد عهد بحكومة خراسان التي كانت لأرغون على زمن والده أباقا الى الخواجة شمس الدين محمد الجويني واضاف للجويني مازندران والعراق واران واذربيجان ليحكمها بمفرده وكلفه ايضاً بأن يشترك مع سلاطين السلاجقة في حكم بلاد الروم فولى الجويني ابنه الخواجه هارون على ديار بكر والموصل وأربل، واما حكومة بغداد والعراق فأعطاها لأخيه علاء الدين الجويني، وقد جاء تكريم الجويني بهذه المناصب نظراً لدوره في ايصال تكودار الى منصب الايلخانية فمعروف ان شمس الدين الجويني كان صاحب الديوان في دولة أباقا وبعد وفاة أباقا حشد التأييد لترشيح تكودار ونجح في ذلك نظراً لمكانته الكبيرة بين الأمراء ولذلك كان أرغون من أشد الناقمين على عائلة آل جويني[1].

كان تكودار قبل توليه منصب الايلخانية يدين بالنصرانية وقد تعمد في صباه وتلقب بآسم نيقولا غير أن هواه كان مع المسلمين ولم يكد يتولى العرش حتى أعلن تحوله للاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة واتخذ آسم أحمد وتلقب بلقب السلطان بدلا من الايلخان كدلالة على انتمائه للدين الاسلامي، وبذل قصارى جهده في حمل المغول على الدخول في الاسلام واسلم على يده الكثير منهم، وبسبب مواقفه الطيبة من الاسلام فقد عدّهُ الكثير من علماء المسلمين بأنه حامي الاسلام والمسلمين ونعتوه بناشر دين الله المبين وانه مخلص المسلمين من أذى أبناء جلدته المغول[2].

ولم يكن الميل الشخصي العامل الوحيد في تحول تكودار للاسلام بل صاحب ذلك على ما يبدو هدف سياسي، فحتى تأريخ تولية تكودار الايلخانية كانت دولته واقعة تحت ضغط الحرب مع المماليك في مصر وبلاد الشام ومع مغول القفجاق والاثنان كان

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص73. الصياد : الشرق الاسلامي، ص124.

(2) ابن الفرات: تأريخ ابن الفرات، م7، ص234، 248. ارنولد: الدعوة الى الاسلام، ص260. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص672. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص166 – 167. الحداد، محمد حمزة اسماعيل: السلطان المنصور قلاوون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993 م، ص89. بدر، مصطفى طه: مغول إيران بين المسيحية والاسلام، دار الفكر العربي، ص12.

يقاتلان الايلخانيين بآسم الاسلام فنجح بإسلامه بإقامة علاقة ودية مع مغول القفجاق[1] وفي اعلان اتفاقية الصلح مع المماليك سنة (681 هـ/ 1283م)[2] فخفف بذلك من حدة الضغط الخارجي على بلاده في وقت كانت بلاده قد خرجت تواً من أقسى هزيمة عرفها المغول بعد معركة عين جالوت ومعركة حمص في رجب سنة (680هـ/1282م) والتي فيها أباد الجيش المملوكي معظم الجيش المغولي[3] وكان من آثارها ان مات قائد جند المغول منكو تمر متأثراً بجراحه[4] وأباقا خان غرق بالخمر ليموت حزناً على ما كان قد لحق بجيشه من عار الهزيمة[5] ولكن مثل هذا النجاح قابله فشل في الحفاظ على وحدة بلاده الداخلية بسبب تمرد ابن أخيه ارغون الذي استغل فرصة اشهار تكودار اسلامه واتخاذه علماء المسلمين اصفياء له دون غيرهم من ان يعلن من شرق ايران من خراسان حيث كان يقيم فيها تمرده على تكودار، وتمكن من ضم الكثير من عشائر المغول الذين عدوا إعلان تكودار إسلامه وتحويله معابد الاصنام الى مساجد خروجاً على قانون الياسا التي وضعها جدهم الأعلى جنكيزخان والتي كان المغول حتى هذا الوقت ينزلونها من أنفسهم منزلة التقديس[6].

(1) لم تُشِر المصادر الى حدوث أي توتر في العلاقة بين الايلخانيين على عهد أحمد تكودار ومغول القفجاق وهذا يعني ان العلاقة بينهما كانت طيبة او على الاقل لم تكن متوترة كما كان في عهد هولاكو و أباقا من قبل.

(2) عن بنود اتفاقية الصلح مع المماليك ينظر: المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص219 – 226. ابن ايبك: كنز الدرر، ج8، ص249 -260. ارنولد: الدعوة الى الاسلام، ص261 – 262.

(3) عن معركة حمص ينظر التفاصيل: المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص196 – 201. الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص278-280. ابن الفرات: تأريخ ابن الفرات، م7، ص215 – 217، 221، 228، 234. سرور: دولة بني قلاوون، ص162 – 163.

(4) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص213. الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص293.

(5) شبولر: العالم الاسلامي، ص69.

(6) ابن ايبك: كنز الدرر، ج8، ص252، 264. الجاف: الوجيز في تأريخ إيران، ج2، ص298-299. قداوي: حكومة ولاية العراق، ص10.

بلغ عدد اتباع ارغون من المقاتلين حوالي عشرة آلاف جندي[1] مع عدد من الأمراء ممن كانوا يعملون من قبل في حاشية والده أباقا خان[2] وكانَ أخطرُ هؤلاء الأمراء أخاً لتكودار يدعى قونقرتاي الذي كان متعاوناً مع ارغون وتمكن هذا من استمالة عدد من اتباع الايلخان تكودار - الذي اخذ يطلق على نفسه لقب سلطان بدلا من ايلخان كون اللقب الأول لقباً اسلامي والثاني كان لقباً مغولياً، حيث اتفق معهم على اعتقال السلطان أحمد تكودار والقضاء عليه[3] ويرجح المؤرخ المصري الصياد ان قونقرتاي كان يريد استغلال الوضع الصعب الذي كان فيه السلطان أحمد بسبب تحوله الى الاسلام كي يحقق اغراضه ويستولي على الحكم لنفسه ولكنه لم يوفق في هذا السبيل[4] إذ إنه في ليلة تنفيذ المؤأمرة كشف أمرهم، فأمر السلطان أحمد تكودار بدق أعنقاهم بما فيهم قونقرتاي وبذلك تخلص منهم على الفور[5]، كما تخلص من الوزير مجد الملك الذي هو الاخر كان يحرض الأمير ارغون ضد السلطان أحمد ويثير الخصومة بينهم[6].

عدّ الأمير أرغون ان مقتل قونقرتاي والوزير مجد الملك كان بتحريض من عائلة الجويني بشخص الوزير شمس الدين وأخيه علاء الدين صاحب ديوان بغداد لذلك أراد الانتقام منهم[7]، كما أراد اشعار السلطان أحمد بتحركه ضَدُه فسلك أسهل الطرق وهو ضرب مناطق نفوذ السلطان أحمد البعيدة في الري والعراق فغادر خراسان وعندما وصل الى الري قبض على شحنتها الذي كان معيناً من قبل السلطان أحمد فضربه ضرباً مبرحاً بالعصي وركب على رأسه قرنين وأركبه حماراً وبعث به الى السلطان أحمد بقصد الاهانة،

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص99.

(2) عن اسماء الأمراء الذين انظموا الى أباقا خان ينظر الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص99.

(3) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص271. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص101-102.

(4) الشرق الاسلامي، ص138.

(5) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص271. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص101 - 102، واشار الى هذه الحادثة باقتضاب المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص237.

(6) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص94-96.

(7) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص98-99.

ولم يقف تحديه لصاحب السلطة الشرعية السلطان أحمد عند هذا الحد بل عيّن أحد رعاياه المدعو ملك فخر الدين ليكون حاكماً على الري تحدياً للسلطان أحمد[1].

ومن الري توجه أرغون مباشرة نحو بغداد وما ان وصلها حتى صادر سكانها بالتعسف، كما قبض على نواب علاء الدين الجويني وعذبهم ونبش قبر أحد نوابه المتوفين حديثاً وأخرج جثته والقاها في الطريق[2] كما ألزم قاضي قضاة بغداد عز الدين بن الزنجاني بدفع عشرة آلاف دينار والزم نواب الاعمال الحلية والواسطية والبصرية بمثل ذلك، ثم طولب اهل بغداد بأجرة املاكهم كضرائب عن ثلاثة شهور فاستوفى من اكثرهم وغادر بغداد الى خراسان[3]. ولا شك ان ما قام به ارغون قد ترك تأثيراً سيئاً في نفس الصاحب علاء الدين الجويني الذي صادف ان كان في طريق العودة من العاصمة تبريز الى بغداد في اثناء دخول ارغون بغداد فتألم بسماعه ما كان قد حل بأهل بغداد اشد الالم واعتراه حزن شديد وصداع حاد سبب وفاته عند اران وكان ذلك في الرابع من ذي الحجة سنة (681هـ/ 1283م) وعلى اثر وفاته قرر السلطان أحمد أن يحل محله في حكومة بغداد ابن أخ علاء الدين الخواجة هارون بن شمس الدين الجويني[4].

حاول السلطان أحمد ان يثني أرغون عن أفعاله العدائية هذه فأرسل اليه كبير قادة جيشه الأمير عليناق وبدلا من اقناع أرغون بالكف عن أفعاله تمكن أرغون من التأثير على عليناق وجعله ينحرف عن جادة الطوع للسلطان وكسبه الى جانبه وقطع عليناق العهد والميثاق بالوقوف الى جانب أرغون والوفاء له، وأعاده الى السلطان أحمد فأخذ عليناق يسعى عند السلطان الى تبرئة ارغون والتماس الاعذار له ولكن الوزير شمس الدين الجويني المعروف بدهائه عرف ان هوى عليناق مع أرغون في الباطن وان ارغون قد خدعه بالوعود فأطلع السلطان أحمد على هذه الحقيقة ولأن السلطان أحمد لا يريد

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص98 – 100.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص98 – 99.

(3) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص424. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص312 – 313.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص423. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص309 - 315.

التفريط بعليناق لأنه كان يتوسم فيه الشهامة لذلك اراد العفو عنه وضمه من جديد لجانبه بأن زوجه بآبنته الصغرى وبهذا أعاد كسبه من جديد وأبعده عن أرغون نهائياً[1].

استفحل الصراع بين السلطان أحمد وأرغون بعد ذلك وأخذ كل منهما يعد العدة للمواجهة الكبرى فاشتعلت نيران الفتنة بسبب ذلك بين افراد الأسرة الحاكمة حيث أصبحوا مرغمين على انحياز كل واحد منهم الى احد الطرفين ولا خيار لهم في الوقوف على الحياد وكان ذلك في الواقع اختياراً صعباً وهذا ما نتلمسه من محاولة أرغون ضم عدد من المتنفذين في السلطة الى جانبه فيذكر رشيد الدين الهمذاني ان أرغون التقى في مازندران الأمير امكاجي الذي كان يتبعه عشرة آلاف جندي مغولي والأمير هندو نويان الذي كان على رأس عشرين ألف مقاتل ومسؤولاً من قبل السلطان أحمد في حماية منطقة نهر جيحون فأراد كسبهم بالقول ((لقد استدعاني والدي - أباقا - أثناء حياته - الى تبريز، فذهبت اليه حسب الاوأمر بغير جيش، فلما بلغت هناك كان قد مات وكانت الأمور قد قلبت رأسا على عقب، ولما لم يكن معي جند كان لا مفر لي من التسليم والان اذا ساعدتموني انتم الأمراء فسوف استخلص بحد السيف تاج ابي وعرشه وأكون شاكراً لكم سعيكم ويبقى لنا الذكر الحسن)) فقال هندو نويان ((ولو ان حقيقة الحال هي ما عبر عنها الأمير - ارغون - الا ان أحمد هو الملك الآن، واذا كان نصب خاناً على البلاد فإنك ايضا بحمد الله ومنه حاكماً وملكاً في هذه الديار فاستمع للنصح ولا تخالفه)).

وهكذا فشل أرغون في كسب الأميرين هندونويان وأمكاجي الى جانبه[2] لكنه في المقابل نجح في ضم عدد آخر غيرهم كان لهم شأن كبير في الاحداث السياسية للدولة الايلخانية وبعض منهم أصبح فيما بعد ايلخاناً للدولة الايلخانية ككيخاتو و بايدو[3].

وفي محاولة من ارغون لتحقيق مكاسب سياسية دون قتال طرح مفهوم المقاسمة في الاملاك كحل للصراع وهذا ما يفهم من رسالته الى عمه السلطان أحمد تكودار والتي فيها

---

(1) اقبال: تأريخ المغول، ص239. الأمين: المغول، ص246.
(2) جامع التواريخ، م2، ج2، ص100- 101.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص99، 102.

يقول ((اذا كنت مالك تاج أبي وعرشه بحسب أمر مجلس الشورى والاستحقاق، فإن مقتضى العدالة ان يكون لي انا ايضا مملكة تكفي لمعاش جنودي ومؤونتهم. وإذا كانت خراسان لا تكفي لذلك اطلب ان يضم اليها ملك العراق وفارس ايضا فإن حصل هذا الطلب ظلت طريق الصداقة بيننا مفتوحة، والا فلا مكان لغير الخروج والتمرد)). فأجابه تكودار بقوله ((إنا عهدنا بخراسان اليه - أرغون - رحمة وتعطفاً اما الأمر له بحكومة العراق وفارس فمرهون بمجلس الشورى، وعلى أرغون ان يحضر الى هذا المجلس فإن قرر أي الاعيان والأمراء على اجابته الى طلبه فلا مانع من ضم تلك النواحي الى مجال حكمه اما ان يظل ماضياً في طريق الخلاف عاصياً غير مطيع فسننهض الى دفعه))، ولكن ارغون رفض طلب الحضور بحجة ان ذلك سيمهد لعملية اعتقاله وربما قتله فاشتد الصراع[1].

كان أرغون يدرك أن إدارة الصراع وتحقيق النجاح يحتاج الى أموال طائلة لتصرف كهدايا من أجل كسب المزيد من الأمراء وللصرف على رواتب الجند والحصول على الميرة والعدد والعتاد وبما ان ميزانية الدولة الايلخانية كانت تدار من قبل الوزير صاحب الديوان شمس الدين الجويني لذلك أخذ يطالب صاحب الديوان بتسديد مبالغ كبيرة يدعي ارغون انها كانت ملكاً لأبيه ولكن صاحب الديوان أعلم السلطان أحمد تكودار بالأمر، ورفض الاستجابة لطلبه، وهذا ما أثار حفيظة أرغون الذي عدَّ ان السلطان أحمد بتدبير من صاحب الديوان قد استولى بشكل غير شرعي على ممتلكات ابيه أباقا ومضى الى اكثر من ذلك بأن اتهم صاحب الديوان شمس الدين الجويني بأنه كان وراء موت ابيه بدس السم له وأخذ يتوعده[2].

وكان من الطبيعي ان يبحث أرغون عن منافذ أخرى للحصول على المال فلجأ الى اسلوب الابتزاز والمصادرة ومنها انه ادعى على وجيه الدين زنكي الذي كان المشرف

---

(1) الأمين: المغول، ص247- 248.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص98 – 100 المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص238.

المالي على خراسان بأنه كان قد اختلس أموالاً طائلة وحصل منها على ثروة كبيرة فاعتقله وقيده بالسلاسل والتعذيب مطالباً إياه بالاموال[1].

ومع ان وجيه الدين زنكي أثبت بطلان التهمة من خلال الجرودات التي قدمها لأرغون ومع ذلك لم يفك أرغون قيده الا بعد ان دفع وجيه الدين 500 تومان ((أي ما يعادل خمسة ملايين دينار))[2] كما استولى أرغون على خزانة جرجان التي كانت تضم مبالغ نقدية كبيرة من الذهب والمرصعات والجواهر والثياب.

كما حصل على مواد عينية كبيرة ولاسيما الالبسة من نيسابور وطوس واسفراين، وأخذ الكثير منها يوزعها على الأمراء والجند بغية اعدادهم للقتال الى جانبه[3] وبعد ان اطمأن لموقف اتباعه أخذ يستعد للمواجهة الكبرى مع السلطان أحمد الذي هو الاخر كان يدرك ان اطماع ارغون لا تتوقف الا عند حدود حصوله على منصب الايلخانية فقد فشلت اغراءات السلطان أحمد في ثني ارغون عن أطماعه ولم تنجح هداياه التي كان قد قدمها لأرغون عند بداية تسلمه منصب الايلخانية والتي كانت عبارة عن عشرين سبيكة ذهبية[4].

وهكذا أصبحت المواجهة بينهما أمراً حتمياً، فالسلطان أحمد من جهته اعد اكثر من مائة الف فارس من صفوة المغول والمسلمين والأرمن والكرج مجهزين بالعدد والآلات فسيرهم بقيادة عليناق باتجاه قزوين التي كان في اطرافها جيش ارغون قد تجمع، وفي الطريق وعند منقلاي القريبة من قزوين صادفوا ثلاثمائة أسرة من الأُسَر الممتازة من اتباع ارغون فقتلوا الكثير منهم ونهبوا مساكنهم[5]، وكان ارغون قبل حدوث المعركة قد التقى كبار قادة جيشه وخاطبهم لرفع معنوياتهم بالقول ((أيها الاخوة والاصدقاء العادلون تعلمون علم اليقين كم كان أبي يحبكم بحنان وكيف انه وهو حي كان يعاملكم

---

(1) اقبال: تأريخ المغول، ص240. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص319.

(2) الأمين: المغول، ص247 والهامش رقم (1).

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص104.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص93.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص103.

كأخوة وأبناء وتعلمون كيف شهدتم معه كثيراً من المعارك وكيف ساعدتموه في فتح ما ملك من بلاد وتعلمون أيضا أني آبن لذلك الذي احبكم حباً جماً، وانا نفسي احبكم كأنكم قطعة من جسمي فمن الحق والعدل إذاً ان تساعدوني على من يقف ضد العدالة والحق لكي يحرمنا من إرثنا في أرضنا وتعلمون فوق هذا كيف انه خرج على شريعتنا بل لقد نبذها وتخلى عنها واصبح مسلماً ... وكم سيسوئنا ان نسمح للمسلمين بالولاية على التتار. والان ايها الاخوة والاصدقاء العدول، كل هذه الاسباب ينبغي ان تثبت فيكم الشجاعة والارادة لبذل قصار جهدكم للحيلولة دون حدوث شيء كهذا من أجل ذلك اتوسل الى كل فرد فيكم ان يظهر نفسه رجلاً شجاعاً وان يبرز كل حميته حتى تكون لنا الغلبة في المعركة وحتى تكون السيادة والولاية لكم وليس للمسلمين، والحق ان كل فرد فيكم ينبغي ان يعول على النصر، ويطمئن اليه، وذلك لان العدل في جانبنا، وأعداؤنا في جانب الباطل، ولن أزيدكم بعد هذا شيئاً الا ان أتوسل الى كل منكم للمرة الثانية ان يؤدي واجبه))[1].

ولم يكن جند أرغون بذلك العدد الذي يوازي جيش السلطان أحمد تكودار وحسب تقديرات رشيد الدين الهمذاني فإن مجموع تعداد جيشه كان بحدود 36 ألف فارس منهم ستة آلاف كانوا تحت قيادته المباشرة وعشرة آلاف تحت قيادة الأمير نوروز وعشرون الف بمعية الأمير هندونويان الذي انضم اليه حديثا اثر خلاف حدث بينه وبين السلطان أحمد لم يشر الى اسبابه الهمذاني، فنكاية بأحمد أعلن هندو ولاءَهُ لأرغون[2] ويبدو لي ان حمية هندو المغولية هي التي دفعته للقتال الى جانب ارغون المدافع عن تقاليد المغول ضد السلطان أحمد الذي عُدَّ خارجاً على قانون الياسا بإعلان اسلامه.

أما السلطان أحمد فكان جيشه يتكون من مائة وثمانين ألف فارس مائة الف كانت بقيادة عليناق أما هو فقد تحرك باتجاه قزوين على رأس جيش قوامه ثمانون الف مقاتل[3]

---

(1) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ص354 – 355 ويسمي ماركو بولو السلطان أحمد بآسم أكومات.
(2) جامع التواريخ، م2، ج2، ص100، 105.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص103 – 104.

وقبل وصوله منطقة قزوين حدثت المواجهة بين جيش عليناق وأرغون وذلك في يوم الخميس 6 مـن شـهر صفر سنة (683هـ/ 1285م) في ضواحي ((آق خواجة)) التابعة لقزوين[1].

وفيها أبدى أرغون وجنده شـجاعة لا تـضاهى أوقعـوا الكثير مـن القـتلى واسـتمرت المعركـة مـن الظهيرة حتى المساء وانتهت بهزيمة عليناق[2] وكان رأي أرغون ان يتعقـب المنهـزمين ولكـن أمـراءه لم يـروا مصلحة في ذلك[3] فكان خطأ جسيماً منهم ذلك لان احد قادة جيش عليناق الأمير تبوت تمكـن مـن إعـادة تنظيم جيش عليناق ليقود ذلك الجيش في غارة مفاجئة على معسكر ارغون الذي كان قد تجمع في اطراف مدينة الري فيأسر اعداداً كبيرة من الجند اما ارغون فقد تمكن من الفرار ناجياً بنفسه وذلك في يوم الاثنـين 20 من شهر صفر[4] وفي 23 من صفر وصل السلطان أحمد المعسكر الذي كـان يقـيم فيـه تبـوت في مدينـة الري وأخذ جنـده يقومـون بعمليـات النهـب والـسلب وهـم في طـريقهم يتعقبـون ارغـون وبقايـا جنـده المنهزمين حتى وصلوا خراسان[5].

أدرك ارغون ان تحقيق النصر العسكري على السلطان أحمد قد خـرج مـن يـده ولاسـيما ان عـدداً كبيراً من أمرائه قد خرجوا عن طوعه وانضموا الى السلطان أحمـد لـذلك كـان لابـد مـن اسـتخدام الـدهاء السياسي لتحقيق هدفه او على الاقل النجاة بنفسه فأرسل الى السلطان أحمد معتذراً بـالقول ((اني لا أكـن - للسلطان - في ضميري خصومة قط، بيد انه لما جاء عليناق ونهب ثقلي وسبى اهـلي بـادرت بـصده لـكي استنقذ الأسرى من اتباعي، لقد هاجمني مدفوعا بتهوره فكان علي ان اقاتله)).

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص105.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص271. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص105. ماركوبولو: رحلات ماركو بولو، ص257. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص319 -320.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص106.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص107.

(5) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص108.

فتتدخل أمراء السلطان أحمد قائلين لسيدهم ((ان أرغون ابنك والجيشان من أصل واحد وقد صار الجو حاراً، وهلك الكثير من الدواب، فالمصلحة في العودة من خراسان، وان ارغون قد ندم على ما فعل))[1].

وكان أرغون خلال ذلك محتمياً في قلعة كلات الحصينة القريبة من طوس ومعه حوالي ثلاثمائة من خاصته[2] وإدراكاً من السلطان أحمد بأن أرغون لم يعد قادراً على الحاق الأذى به استجاب لطلب ارغون في الصلح، فأرسل اليه عليناق لاقناعه بترك القلعة والالتحاق بعمه السلطان أحمد ونجح في ذلك عندما احضره مع زوجته بولغان الى بلاط السلطان وما ان مثل أرغون أمام السلطان أحمد حتى أمر عليناق برعايته حتى يستفتي أسرته بأمره وكان رأي عليناق ان يقتله اذ قال للسلطان ((حيث ان العدو قد وقع في يدك فالأولى ان تجهز عليه في هذه الليلة، فقال أحمد انه لا يملك جندا ولا مالاً فماذا عساه ان يصنع)) [3] وكان ذلك خطأ كبيراً من السلطان أحمد لأن عدداً من الأمراء ممن كانوا قد تبوّأوا مراكز مهمة كان لا يزال هواهم سراً مع أرغون ومن هؤلاء الأمير بوقا وأخوه أروق، والأمير جوشكاب، فاستغل هؤلاء حماقة السلطان أحمد الذي كان الحنين قد غلبه الى زوجته المحبوبة توداي خاتون التي كان قد تركها في مقره الاصلي، فقرر الذهاب اليها تاركاً لعليناق مهمة حراسة ارغون وقيادة الجيش، ثم تحرك مع خاصته قاصداً أسرته وعشيرته وكان من المقرر ان يصحبه بوقا الا ان بوقا الأمير الماكر المخادع والذي بيّتَ نية الغدر بأحمد استأذن السلطان في التخلف عن مرافقته بحجة انه يريد ان يشارك في حفل زواج أحد الأمراء ممن تربطه به صلة وثيقة وبكل بساطة وتسرع سمح له السلطان بذلك[4].

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص108 – 109.
(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص271. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص110-112. قزويني: تأريخ كزيدة، ص594. الصياد: الشرق الاسلامي، ص143. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص320.
(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص112.
(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص112 – 113.

وكان أرغون حزيناً كئيباً في يد الحراس الموكلين به وكانت زوجته بولغان خاتون تطيب خاطره وتشجعه على التحمل وتقول له الليالي مليئة بالمفاجئات.وكان بوقا واعترافاً بما كان لأباقا خان والد ارغون من فضل عليه يخطط للايقاع بالسلطان أحمد وايصال ارغون للايلخانية، فاستغل غياب السلطان أحمد وانشغال عليناق بالسكر ليلا ونهاراً بأن اتفق مع أخيه اروق وعدد من الحراس على تنظيم لقاء له مع ارغون على ان يقوم اروق بإقامة حفلة كبيرة للهو والمجون ويستدعي لها عليناق الذي لم يتردد عن الحضور، موكلاً جوشكاب مهمة قيادة أمر حراسة ارغون فكان جوشكاب من ضمن المتأمرين وهذا ما سهل لبوقا مهمة الوصول الى ارغون الذي فوجئ بالأمر حتى انه ظن في الأمر مكيدة ولكن بعد حين استشعر بصدق نوايا بوقا في انقاذه، فأخذه بوقا الى داره وهناك استجمع انصاره من المتأمرين فتزود بالسلاح ثم أسرعا الى مكان الحفل حيث كان عليناق قد أسرف في الشرب الى حد الثمالة لا بل انه نام في الحفل، فهجم عليه احد اتباع بوقا فقتله وفصل رأسه عن جسده والقى به في الخارج، وفي الليلة ذاتها اجهزوا على كل الأمراء وقادة الجيش ممّن كان في الحفل[1] وقد عدد رشيد الدين الهمذاني اسماءهم وكان منهم الأمير تبوت الذي كان قد ألحق الهزيمة بأرغون من قبل، حدث كل ذلك في ليلة الثلاثاء 18 ربيع الثاني سنة (683هـ/ 1285م)[2].

وصل خبر ما حدث الى السلطان أحمد وهو في طريقه الى مقر اقامة زوجته توداي خاتون حيث لقيه جندي من حرس عليناق ليقول له ((إنهم قتلوا جميع اتباعك واتفقوا على قتلك، ولقد أفلت الزمام بحيث لا يمكن تدارك الأمر، فإذا كان لك القدرة وأمامك

---

(1) ماركوبولو: رحلات ماركو بولو، ص357- 358، ويسمى بوقا باسم بغا وجوشكاب باسم كيداي. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص114 – 116 وأشار إلى هذه الحادثة باقتضاب ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص272. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص238.

(2) جامع التواريخ، م2، ج2، ص115 – 116، وينظر كذلك العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص320، حيث ذكر الحادثة باختصار.

فرصة فلذ بالفرار وانجُ بجلدك))[1]. فاستشار السلطان أحمد من معه من الأمراء وعاد عاقدا العزم على القتال ولكن الأمر كان قد خرج عن قدراته في المواجهة لقلة اتباعه الذين ما ان رأوا ان كفة القتال في غير صالحهم حتى ولوا هاربين تاركين السلطان أحمد يواجه مصيره المحتوم حيث التجأ الى معسكر والدته قوتوي خاتون وذلك في يوم الاثنين ثاني جمادي الأولى سنة (683هـ/ 1285م) لتنقض عليه فرقة من جيش ارغون يطلق عليها جند القراونة المعروفين بشراستهم ووحشيتهم، فنهبوا المعسكر حتى لم تسلم من تخريبهم مواقد القدور وجردوا قوتوي خاتون المعروفة بمواقفها الطيبة من ارغون من حليها كما جردوها من ملابسها مع عدد آخر من الخواتين تاركيهن عرايا نكاية بالسلطان أحمد وكان ذلك أمراً مشيناً الى اقصى حد ومخالفاً لقوانين المغول التي تحفظ للمرأة كرامتها، ثم قام ألفان من رجالهم بحراسة السلطان أحمد حيث سلماه لأرغون حال وصوله المعسكر فما كان من ارغون الا ان سلمه لأبناء عمه قونقرتاي للأخذ منه بثأر أبيهم فقام الأبناء باستجواب عمهم السلطان أحمد قائلين له ((بأي ذنب قتلت قونقرتاي الذي كان قد أدى خدمات جليلة لأباقا خان وساعدك على تولية الملك ؟ ولماذا أرسلت عليناق لينهب ديار أرغون وممتلكاته ويسير بأتباعه أسرى رغم انه كان من حقه ان يتبع مقام ابيه، ومع هذا اعترف بك ملكاً وقنع بخراسان وحدها)) فأجاب أحمد ((لقد أسأت التصرف وأخطأت ولن أخطئ بعد هذا))[2].

وهنا يشير رشيد الدين الهمذاني بأن ارغون أراد ان يعفي عن السلطان أحمد لو ان حدث تطور خطير بظهور اطماع من اتباع ارغون بمنصب الايلخانية اذ عقد الأميران هولاجو وجوشكاب قوريلتاي حضره عدد كبير من الأمراء في نواحي همذان لاختيار خليفة للسلطان أحمد وفي هذا المؤتمر احتدم الخلاف حول من هو الأحق بالمنصب فما كان من أرغون الا ان أمر بقتل السلطان أحمد خوفاً من أن يتقوى اتباعه ويعيدوه الى

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص116، وينظر كذلك ماركو بولو: رحلات ماركوبولو، ص358-359.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص272 – 273. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص116، 119 – 120.

منصبه فنفذ أمر القتل وذلك في ليلة الخميس 26 من جمادي الأولى سنة (683هـ/ 1284م)[1] وهكذا أطيح برأس السلطان أحمد كما أطيح فيما بعد برؤوس معاونيه ولاسيما عائلة آل جويني[2].

اما بخصوص ما حدث في القوريلتاي فيشير رشيد الدين الهمذاني ان الأمراء قد انقسموا فكان بوقا يميل الى ارغون وأخوه اروق كان يريد ترشيح جوشكاب في حين هناك من الاخرين من كان يرشح هولاجو بن هولاكو وكل واحد منهم كانت له مبرراته في الترشيح فمؤيدو هولاجو كانوا يقولون بأنه بمقتضى العرف المغولي في حالة وجود الابن لا يصل الملك الى الاحفاد، اما مؤيدوا جوشكاب فكانوا يبررون ترشيحه بحجة انه يملك مناطق كبيرة وانه الاكبر سناً فهو عميد الأسرة المغولية وهو بذلك الاحق لانه الاجدر بالملك اما مؤيدو أرغون فكانت تبريراتهم ان الملك ينتقل بالوراثة الى الابن أي من أباقا الى ابنه الاعقل والاكمل أرغون وكان من أشد المؤيدين لأرغون بوقا الذي احتد وثار وسل سيفه وقال ((ما دام هذا السيف في يدي فلن يرتقي احد العرش سوى أرغون))[3].

وبعد جدال وخلاف طويل كاد ان يعصف بالجميع وتفادياً لمزيد من الدماء عاد الجميع لرشدهم بانتخاب أرغون إيلخاناً للدولة الايلخانية حيث جرت مراسيم التولية في موضع يقال له ((أب ثور)) من نواحي يوز أغاج وكما جرت العادة في هكذا مناسبة أخذ كبير أبناء الأسرة وهو هولاجو بيد أرغون اليمنى وأخذ الأمير المقرب اليه أنبارجي بيده اليسرى وأجلساه العرش وطوق الجميع اعناقهم بالأحزمة حسب العادات المتبعة ثم

---

(1) جامع التواريخ، م2، ج2، ص120 – 121 وينظر كذلك ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص254-256. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص320 -321.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص238. الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص452- 453. الصدفي: تأريخ دول الاسلام، ج2، ص285.

(3) جامع التواريخ، م2، ج2، ص117 – 118.

ركعوا له وتناولوا الكؤوس وعمدوا الى الـلهو والشراب[1] وكان تنصيبه ايلخانـاً في الليلـة نفـسها التـي قتـل فيها السلطان أحمد[2].

خامساً:أرغون وسقوط الأمراء الثلاثة الكبار بوقا وأروق وجوشكاب

أرغون هو رابع ايلخانات الدولة الايلخانية حكم للفترة من (683- 690 هـ/ 1285-1292م)، وكان قد وصل الى سدة الايلخانية كما اسلفنا بجهود الأمير بوقا، ومكافئةً لبوقا فوضه أرغون الامارة والوزارة وأصـدر له أمراً يقضي بأنه لا يحق لأي شخص ان يقاضي بوقا مهـما ارتكـب مـن جـرائم الا بموافقـة الايلخـان، كـما منحه الخان الاكبر قوبلاي لقب جنكسانك (الأمير الكبير) تقديراً له عـلى جهـوده في خلـع الـسلطان أحمـد ومحاربته عقيدة الاسلام التي اعتنقها هذا الـسلطان والتـي اصـبحت تهـدد الكيـان المغـولي كحكـم وثنـي بالزوال[3].

غير ان بوقا بدلاً مـن ان يقـدر مـا مـنح مـن مكانـة، اصـابه الغـرور وصـار ينظـر بعـين الازدراء والاحتقار الى خواص الأمير ارغون والمقربين اليه ووصل به الأمر أن أخذ يتصرف في شؤون الدولة كيفما شاء الى حد انه انفرد في الحكم بحيث لم يبقَ للايلخان من سلطة سوى الاسم. ويؤكد ذلك رشيد الدين الهمذاني بالقول ((ان بوقا يمهد الملك لنفسه، اذ انه يفعل كل مـا يـشاء دون اذن مـن الملـك ومـشورة مـن الأمـراء، وينفق الاموال وفق هواه، ولا يعدّ الناس ان أرغون هو الملك، بل يعترف الجميع ببوقا وحـدَهُ، وقـد وصـل الأمر إلى حد ان أمير علي والي تبريز العاصمة - كان لا يلتفت الى أي فرمـان او بـايزة[4] مـا لم يكـن يحمـل بصمة خاتم بوقا الاحمر والا عاد حامل الفرمان بخفي حنين))[5].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص120، 126.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص273.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج1، ص135. اقبال: تأريخ المغول، ص247. الـصياد: الـشرق الاسـلامي، ص160 – 161. الأمـين: المغول، ص258.

(4) بايزة: لوحة من الذهب او الفضة او الخشب عليها علامة خاصة تهدى الى من يثق بهم مـن المغـول مـن رجـال الدولـة، ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من في دولة المغـول. الهمـذاني: جـامع التـواريخ ((تـأريخ خلفـاء جنكيزخان))، ص8. رضا، محمد سعيد: ابن شداد في كتابه الاعـلاق الخطـيرة، مجلـة المـؤرخ العـربي، العـدد 14، 1980م، ص164.

(5) جامع التواريخ، م2، ج2، ص142.

وفي هذا السياق أيضا أشار آبن العبري الى ان بوقا ((قد ارتفعت منزلته جدا حتى ان أبنـاء الملـوك والملكات والعرائس والقادة كانوا يقفون على باب داره يطلبون ارزاقهم ومعاشاتهم، وأصبح الملوك والأمراء في كل بلاد التتر يأتمرون بأمره ويحملون رايته الحمراء... وكان يهابه جميع العسكر المغـولي وسـائر الأمـراء والسلاطين والكتاب))[1].

كان يترصد افعال بوقا عدد كبير من أبناء الأسرة الحاكمة ومن المقربين لارغون وقد اورد لنـا رشـيد الدين الهمذاني اسماء ثمانية من كبار هؤلاء الأمراء[2] ممن كانوا مستائين من بوقا واصبحوا يحقـدون عليـه ويبلغون ارغون عن غروره وكبريائه وما حصل عليه من مال وفير بوقت قصير وعن استبداده ولكن ارغـون لم يكن يأبه بذلك كثيراً مراعاةً لحق بوقا عليه[3].

وكان آروق اخو بوقا الذي عهد اليه ارغـون بولايـة العـراق مكافـأةً أيـضاً عـلى جهـوده في ايـصاله للايلخانية[4] يعيش في بغداد لا على طريقة الأمراء بـل عـلى نحـو مـا يعـيش الملـوك ولم يكـن يحـترم رسـل أرغون، ولم يرسل اموال بغداد الى الخزانة وكانت بحدود خمسمائة تومان ((خمـسة ملايـن دينـار)) وكـان يحتفظ بها لنفسه فضلا عن تعديه على الرعية كما كانت تصل تباعا انواع من الشكاوى ضده من ديار بكر مفادها انه يتدخل في شؤونها ويفرض سلطته عليها دون موافقة الايلخان[5].

---

(1) تأريخ الدول السرياني، ص389.

(2) الأمـراء هـم: طغاجـار، وقوبجقبـال، ودولاداي، وايـداجي، وسـلطان ايـداجي وطغـان، وجـوشي، وأوردوقيـا ينظـر جـامع التواريخ، م2، ج2، ص141.

(3) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص389. الهمذاني: جامع التواريخ م2، ج2، ص141.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص437.

(5) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص389. الهمذاني: جامع التواريخ م2، ج2، ص143. غنيمـة، يوسـف رزق اللـه: نزهـة المشتاق في تأريخ يهود العراق، بغداد، 1924م، ص142.

واصل الأمراء العمل على الايقاع ببوقا مـن خـلال ايـصال الـشكاوى للايلخـان ضـده وانـضم الـيهم طبيب ارغون المدعو سعد الدولة اليهودي[1] الذي كان قد حضي بثقة ارغون بعد ان شفاه مـن مـرض كـاد يؤدي بحياته وكان يعد سعد الدولة رجلا طموحا يفهـم في الـسياسة والمـال وسـبق لـه ان عمـل في بغـداد وأطلع على نواحي الضعف والاهمال والانحراف الذي كان يجري فيها على يد آروق بتدبير من أخيـه بوقـا، ونظرا الى معرفة سعد الدولة بشغف ارغون وميله الشديد الى جمـع الامـوال والنفـائس فحـدث ان طالبـه أرغون ذات يوم ان يبدي رأيه في احوال البلاد، فاغتنم الفرصة سعد الدولة واخذ بأسـلوب مـؤثر يـسرد لـه حقيقة أسراف النواب والكتاب في كل انحاء البلاد ولاسيما الموجـودين في بغـداد وان الأمـير بوقـا وأقربـاءَه يستولون على أموال الدولة ولا يتركون متعمدين شيئا منها يصل الى الخزانة العامة[2].

وهكذا تأكد أرغون مما كان يصل الى مسامعه عن أفعال بوقا ولاسيما بعـد ان أوفـد سـعد الدولـة الى بغداد لاسترجاع ما كان قد حصل عليه أروق وأخوه بوقا من المـال العـام ونجـح سـعد الدولـة في ذلـك وجمع أموالاً طائلة خلال مدة قصيرة فقدر ارغون جهود سعد الدولة وخلع عليـه وأمـر بعـزل أروق وبـأن يكون سعد الدولة هو المشرف المالي لبغداد[3] كما اصدر أمراً بأن تكون الولايات الخاصة التي كانت بعهدة بوقا الى الأمير طغاجار وإمارة الجند الى قونجقبـال وهـذان الأمـيران كانـا مـن ضـمن الأمـراء الـذين كـانوا يكيدون لبوقا وأخيه أروق عند أرغون، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل صـدرت الاوأمـر بنقـل سـجلات الديوان المالي من داره، وعزل نوابه واتباعه من الاعمال الديوانية وفي مقدمتهم الأمير عـلي تمـاغجي حـاكم تبريز، كما طولب بمائة وخمسين توماناً من المال الذي كان قد استحصله من اقليم فارس لنفسه[4].

---

(1) عن نشأة سعد الدولة بن الصفي اليهودي، وعن تدرجه الوظيفي حتـى وصـل منـصب الـوزارة ينظـر التفاصـيل: اقبـال: تاريخ المغول، ص247-252. الأمين: المغول، ص257-261.

(2) اقبال: تأريخ المغول، ص348. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص176.

(3) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص389 – 390. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص141.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص141-143.

وهكذا شعر بوقا في انهيار وضعه ومكانته ليس عند ارغون فحسب بل أخذ الكثير من الأمراء يتجنبون مصاحبته خوفا من أن يتهموا بمؤازرته وفي محاولة من بوقا لمنع خروج الأمر من يده عمد على إنفاق أموال طائلة استطاع ان يستميل طائفة من الأمراء وضمهم الى جانبه ضد أرغون وكان من جملة هؤلاء قادة لعشرة آلاف جندي ومقدمي آلاف وأمراء ذخيرة وكلهم لاينتمون بصلة قربى أسري لأرغون[1]. لذا وجد ان المصلحة تتطلب منه كسب أحد من أمراء الأسرة االحاكمة ليتخذه وسيلة للأطاحة بأرغون، ولما كان جوشكاب وهو من سليل هذه الأسرة فهو ابن جومقور بن هولاكو - وسبق له ان طالب بالايلخانية خلال فترة الصراع بين ارغون وعمه تكودار - لذلك ارسل رسولاً اليه يقول له ((ان ارغون خان قد انقلب علي بتأثير وشايات طغاجار وسلطان ايداجي وطغان وغيرهم من الحاسدين لي ونسي حقوقي عليه وقد ثبت لديك ولدى جميع الأمراء وجملة الرعايا انه قد ارتقى بجهودي عرش أبيه والان رفع جماعة آخرين من خصومي وجعلهم موضعاً لأسراره وانت والحمد لله من ارومة هولاكو خان، ولك إقبال الملك، ولا يمكن تنفيذ هذا الأمر الا بمعونتك، فإذا تقبلت كلامي وقمت بهذه المهمة فسوف أضحي بحياتي في خدمتك واستخلص لك العرش والتاج ذلك لان جمعاً كبيراً من الأمراء والجنود متفقون معي في هذا الأمر)) وعندما وصلت تلك الرسالة الى جوشكاب تعجب وقال ((سبحان الله ان هذا الرجل قد زال عقله وصار مجنوناً فمن الذي يختار ملكاً آخر غير أرغون وماذا يريد اكثر مما بلغ ؟ لاشك انه يطمع هو الاخر في العرش، ويريد ان يخدعني بغرور الملك والسلطان، وقد لعب هذه المكيدة مع أحمد، ولابد انه يريد نكث العهد معي)) ثم قال للرسول عد وابلغ سلامي الى بوقا وقل له ((ان ما فكرت فيه بشأني حسن جداً - لكن قلبي لا يستطيع الاعتماد على وعدك فلو صح ما تقول فدون آسمك واسماء الجماعة المتفقين معك في هذه القضية وارسل هذه الوثيقة حتى اطمئن كل الاطمئنان))[2].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص142- 143.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص143 - 144.

وهكذا استطاع جوشكاب الايقاع ببوقا عندما ارسل اليه الأخير قائمة بتوقيع جميع الأمراء الذين اتفقوا معه للتآمر على أرغون فأسرع بها الى أرغون واطلعه على كل ما كان يحاك من تآمر ضده، فلما رأى ارغون تلك الوثيقة تأججت نار غضبه وقال : ((لقد قدمت بوقا على سائر الأمراء ووضعت أمرته وعهد اليه بالاشراف على شؤون الرعية والجيش الى ان مكر بي وكاد لي))[1]. وفي الحال أمر قواته بالتحرك للقبض على بوقا الذي فر هارباً الى دار الأمير زنكي بن نبه الذي وشي بأمره فقبض عليه في الحال وأحضروه عند أرغون فأنكر بوقا التهم الموجهة اليه فأبرز جوشكاب الوثيقة المكتوبة وبالتواقيع اسمه واسماء الأمراء المتعاونين معه و بخطه وخطوطهم، عند ذاك ارتعدت فرائصه واغمي عليه وعلى الفور أمر أرغون بالقضاء عليه، وقد التمس جوشكاب ان يقضي عليه بنفسه فأجابه أرغون فأطاح جوشكاب برأسه بضربة واحدة وسلخ جلده ثم علق رأسه ليكون عبرة لمن يتأمر على الايلخان، ثم شرع أرغون بعد ذلك التحقيق مع بقية الأمراء، وبعد ان ثبتت ادانتهم قتل بعضاً منهم ونجا بعضهم بشفاعة بعض الأمراء المقربين من أرغون[2].

اما مصير اروق فقد ارسل ارغون خمسمائة فارس لاعتقاله وكان أروق انذاك يحكم ولاية دياربكر فضلاً عن ولاية العراق فوجدوه في قلعة في دياربكر يطلق عليها اسم كشاف، فأحضروه هو وابن بوقا المسمى بغازان، فأمر على الفور ارغون بقتلهما وذلك في التاسع والعشرين من محرم سنة (688هـ/ 1290م) ثم بعد ذلك أمر ارغون باستئصال شأفة جميع ذرية بوقا واخوته ونفذ على الفور أمره وكان عددهم خمسة أمراء[3].

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص143-144 وأشار الى هذه الحادثة باقتضاب ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص390.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص146- 147.

(3) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص390. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص147 – 148. الصياد: الشرق الاسلامي، ص165. الأمين: المغول، ص261. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص175.

اما جوشكاب فقد شـملـه أرغـون بعطفـه وكافـأه بـأن عينـه حـاكماً عـلى ولايـة ديـار بكـر ولكـن جوشكاب لم يطل حكمه لدياربكر حتى اتهم بالتآمر مع المماليك على ارغـون وعنـدما اكتشـف أمـره هـم بالرحيل الى بلاد الشام فأدركه الأمير ارقسون نويان الذي كان قد ارسله أرغون عـلى رأس قـوة مـن عسـكر المغول عند نهر قرمان بين مدينتي ارزن وميافارقين فقاتلهم وفر هارباً ولكنهم اسـتمروا في مطاردتـه حتـى قبضوا عليه بعد ثلاثة ايام وأحضروه عند أرغون فأمر بقتله وذلك في الخامس عشر من جمادي الأولى سنة (688هـ/ 1290م)[1].

وهكذا دفع الأمراء الثلاث حياتهم ثمنا لتأمرهم على أرغون.

سادساً: بايدو يطيح بالايلخان كيخاتو

توفي أرغون في اليوم السابع من ربيع الأول سنة (690 هـ/1292م) بعد مـرض أصـابَهُ، وخـلال فـترة مرضه الذي دام عدة اشهر اضطربت احوال البلاد وأخذ العديد من الأمراء يكيـدون بعضـهم ضـد الـبعض الاخر[2].

وتشكلت تحالفات للاطاحة بالبعض منهم مستغلين عدم قـدرة أرغـون لمرضـه حتـى عـلى الكـلام، فشكل كل من الأمير طغاجار وقونجقبال وتوكال وطغان تحالفـاً عـلى العمـل متضـامنين للاطاحـة بـالوزير سعد الدولة حيث كانوا ناقمين متألمين من غروره واستغلاله للايلخان ارغون[3] وتجيير مصلحة البلاد لنفسه واخوته[4].

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص148 – 149.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص160 – 162. المنصوري الدوادار: زبدة الفكـرة، ص284. ابـن كثـير: البدايـة والنهايـة، ج13، ص324.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص160.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص399. وقد بلغ حد استغلال سعد الدولة السلطة بـأن نصـب عـلى الولايات المهمة اخوته واقرباءه فأعطى حكم بغداد لاخويه فخر الدولة ومهذب الدولة وحكـم ولايـة فارس لأخيه الاخر شمس الدولة وعهد بولاية دياربكر الى أخٍ اخر له هـو أمـين الدولـة وأوكـل مهمـة الاشراف عـلى العاصـمة تبريـز الى ابـن عـم لـه، عـن ذلـك ينظـر الهمـذاني: جـامع التـواريخ، م2،

كما كان علماء المسلمين ناقمين عليه أيضاً لأنه كان سبباً في غطرسة اليهود وتعاليهم على المسلمين، فقد اظهر سعد الدولة عداوةً سافرةً للمسلمين وركب في ذلك متن الشطط لدرجة انه اقترح على الايلخان أرغون الذي لمس فيه كرهه للمسلمين ان يحول الكعبة الى معبد للاصنام بل انه كان يبغي القضاء على الاسلام والمسلمين نهائياً بفكرة جهنمية اوحى بها الى ارغون، اذ ادخل في روعه ان النبوة قد وصلت اليه بالوراثة عن جنكيزخان، وان قوام كل دين يتوقف على جهاد المخالفين واستئصال شأفتهم، وإذن فيجب عليه ان يأمر بنقل كل شخص يتخلف عن قبول ديانته ولا يقبل ان يحشر في زمرة الملة الجديدة، وهكذا اتفق مع ارغون على تحويل الكعبة الى معبد للأصنام، وجرف المسلمين وسائر الخلق عن عبادة الرحمن، وتحويلهم الى عبادة الأوثان[1].

وقد انبرى سائر أهل بغداد والمسلمين في الطعن بسعد الدولة وفي أن اليهود طائفة أذلهم اللـه تعالى ومن حاول اعزازهم أذله اللـه عز وجل[2]، وهكذا استغل التحالف بقيادة الأمير طغاجار كره رعايا الدولة الذين كان معظمهم من المسلمين وكره من تضرر من سعد الدولة من الأسرة الحاكمة وهم كثر، اذ قتل ارغون ثلاثة عشر أميراً من أبناء عمومته بعد ان غرس فيه سعد الدولة الشك في انهم غير موالين له[3]، فاجتمع الأمراء المتحالفون ببيت طغاجار فشرعوا في التخلص أولا من اتباع سعد الدولة والمتعاونين

ج2، ص152. رؤوف، عماد عبد السلام: الأسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1992م، ص23. رشاد: الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، موسوعة الموصل الحضارية، ط1، جامعة الموصل، 1992م، م2، ص226.

(1) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص399. الصياد: الشرق الاسلامي، ص173. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص176-177.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص461- 462. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص347.

(3) عن مقتل الأمراء الثلاثة عشر ينظر الصياد: الشرق الاسلامي، ص171.

معه[1] ثم اتفقوا على ضرورة القبض على سعد الدولة والتخلص منه سريعا، ومع محاولة سعد الدولة النجاة بنفسه من خلال كتابة مراسيم يحث فيها عمال الدولة على دفع الظلم وإصلاح أحوال الرعية، واطلاق سراح المسجونين وإجراء الصدقات والخيرات، فيقال انه كتب في يوم واحد سبعين فرماناً تتضمن الأسراع ببذل الصدقات وتوزيعها على المستحقين، فتصدق على أهل بغداد بمبلغ 30.000 دينار وعلى الفقراء والزهاد في شيراز بمبلغ 10.000 دينار كما منح كل المماليك صدقات أخرى من هذا القبيل[2]، ولكن ذلك لم يسعفه، اذ في اليوم التالي تمَّ القبض عليه وسيق الى منزل الأمير طغاجار فتم القضاء عليه[3].

وقد أحدث خبر مقتله الذي تم قبل أيام من وفاة ارغون رنة فرح في كل البلاد الاسلامية كما كانت ايذاناً بالانتقام من اليهود قتلاً ونهباً وسلباً ولاسيما في بغداد التي كانت قد عانت اكثر من باقي المدن الاسلامية منه لوجود أكثرية اتباعه فيها[4].

أحدثت وفاة ارغون إرباكاً لدى الأمراء وسبّبَ انقساماً فيمن يتولى منصب الايلخانية فالبعض مال الى كيخاتو بن أباقا خان اخي ارغون في حين شدد الأمراء الذين أطاحوا بسعد الدولة على ان يكون بايدو بن طرغان بن هولاكو الايلخان وقد سبب ذلك إثارة الفتن والاضطراب وأسرع كل طرف في استدعاء مرشحهم إذ كان كيخاتو آنذاك نائبا على ولاية بلاد الروم وبايدو على بغداد في حين أجمع الجميع على ابعاد

---

(1) عن الايقاع باتباع سعد الدولة والتخلص منهم ينظر: ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص399. الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص161.

(2) الصياد: الشرق الاسلامي، ص174.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص161، وينظر ايضا عن مقتله ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص399.

(4) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص399 – 400. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص324. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص29. خصباك: الادارة الايلخانية في العراق، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد 1-3، 1959 – 1961م، ص41

غازان ابن ارغون الذي كان يحكم ولاية خراسان عن الترشيح لانهم كانوا يخشون بأسه وجبروته[1].

أرسل كل فريق الى مرشحهم يستدعونه الى الأتاغ لانتخابه ايلخاناً وبمجرد ان وصل المبعوث الى كيخاتو وبلغه الرسالة وعلم ان اتباعه في انتظاره، أسرع في العودة الى ايران، أما الأمير بايدو الذي وصفه رشيد الدين الهمذاني بأنه كان ((ذا حياء ووقار ولم تكن له سلطة قاطعة على الأمراء والجنود)) لذلك رفض طلب مستدعيه من الأمراء في أن يتقدم على كيخاتو وانه متمسك بأحكام الياسا الجنكيزخانية التي تمنح اكبر الأمراء الاحياء سناً من الأسرة الحاكمة حق الترشيح لمنصب الايلخانية، وهكذا علت كفة كيخاتو في الترشيح[2]، وفي يوم الاحد 12 من شهر رجب سنة (691هـ/ 1292م) وقّعَ الأمراء الكبار الوثيقة الخاصة بتولية كيخاتو عرش الايلخانية حيث أجلسوه على سرير الملك حسب العادة المتبعة في مصيف الاتاغ وأقاموا مراسيم الابتهاج والطرب والتهاني، لينصرف بعده في إدارة الدولة، وكان اول أمر أصدره محاكمة من وقف ضد ترشيحه حيث أمر بقتل طغان في حين عفا عن طغاجار وقونجقبال وآخرين وأبقى لهم مكانتهم[3].

عرف عن الايلخان كيخاتو انه كان كثير الأسراف والبذخ وان خزانة الدولة على عهده غدت خاوية من الأموال، وفشلت مساعي وزيره صدر الدين جهان الزنجاني في معالجة الأزمة بأصدار عملة ورقية تسمى الجاو حيث رفض الناس التعامل بها على الرغم من محاولات كيخاتو فرض استخدامها بالقوة، وقد أربكت هذه العملة أوضاع البلاد، ولنا في ذلك مثال اشار اليه رشيد الدين الهمذاني عن مدينة تبريز العاصمة وما اصابها من بلاء بسبب الجاو فيشير ضمن احداث شهر شوال سنة (693هـ/ 1294م)

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص163-164، 172. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص29. اقبال: تأريخ المغول، ص254-255. البير ابونا: تأريخ الكنيسة السريانية الشرقية من العهد المغولي الى مطلع القرن التاسع عشر، دار المشرق، بيروت، ج3، ص15.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص163-164، 172. وينظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص324. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص182.

(3) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص172-177.

فيقول ((كانت الأوامر تقضي بقتل كل من لا يتعامل بالجاو... فصار الناس يتعاملون به اسبوعاً واحداً خشية السيف لكنهم لم يكونوا يعطون احداً شيئاً في مقابل هذا الجاو، وقد اضطر معظم سكان تبريز الى الرحيل عن بلدهم، وأخفوا الاقمشة والأغذية في الأسواق، بحيث لم يعد يوجد شيء قط، وأخذ الناس يلجأون الى الحدائق لتناول الفاكهة وهكذا خلت من الناس تماماً تلك المدينة التي كانت تعج بالسكان وأخذ الأوباش يسلبون كل من صادفوه في الشوارع والأزقة وقصارى القول فإن الناس قد تعرضوا لهذه المحنة... وقُتِلَ جمعٌ من الناس لهذا السبب، وتوقفت المعاملات والوثائق توقفاً نهائياً))[1].

فسبب ذلك كره الناس الشديد لكيخاتو وما زاد الطين بلة شطط كيخاتو الاخلاقي ولاسيما في اخر عهده فَغَرِقَ في بحر الخمر والفسق الى الحد الذي طالت نزواته ليس حرمات الأمراء فحسب بل امتدت ملذاته بالفسق بأبنائهم فسبب ذلك نفور الأمراء منه وأخذوا يخططون للاطاحة به[2]. وصادف ذات ليلة وفي احدى الولائم التي كان يحضرها الأمير بايدو وفيها اشتكى الأمراء أفعال إبن عمه الشنيعة، وتحقق منها عندما طالته الاهانة اذ في تلك الجلسة افرط كيخاتو في الشرب ولعبت الخمر برأسه، فشرع يهين بايدو اهانات بالغة، ويوجه اليه ألفاظاً نابية، وأكثر من ذلك أمر احد أمرائه بأن يصفعه أمام انظار الجميع وفي الصباح وبعد ان افاق من سكره ندم على ما تصرف به وحاول

(1) جامع التواريخ ، م2، ج2، ص181 – 183. وينظر كذلك الأعظمي، علي ظريف: مختصر تأريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، 1926 م، ص138- 139، وعن الجاو ينظر التفاصيل اقبال: تأريخ المغول، ص256- 260.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص285- 306. قزويني: تأريخ كزيدة، ص60. ابن الوردي: تأريخ آبن الوردي، ج2، ص342. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص363. اقبال: تأريخ المغول، ص260. الصياد: الشرق الاسلامي، ص223. الأمين: المغول، ص276. البير ابونا: تأريخ الكنيسة السريانية، ج3، ص16.

استرضاء بايدو وتطييب خاطره بأن وضع قلنسوته على رأس بايدو، فتظاهر بايدو بقبول اعتذاره وانه غير ساخط عليه[1].

لم يكن بايدو بذلك الأمير السهل على الرغم من وقاره، فهو ابن البيت الحاكم لا يقل مكانة عن كيخاتو فكلاهما حفيد هولاكو وكلاهما له من الأمراء الاتباع لذلك عدَّ الكثير منهم بأن ما لحق ببايدو من الاهانة قد مستهم جميعاً لذلك وللأسباب الأخرى التي ذكرناها آنفاً صمموا على إزاحته عن الايلخانية على ان تكون تحركاتهم بعيدة عن الشبهة كي لا تطالهم يد كيخاتو، ولكن احد اتباع كيخاتو والمدعو غربتاي كوركان وقف على اسماء عدد من الأمراء المتفقين مع بايدو الذي كان موجوداً في بغداد فبعث من ينبه كيخاتو بأن يحفظ نفسه من مكر الأمراء دولاداي ايداجي وقونجقبال وتوكال وايجيداي وبوغداي الذين هم من حاشيته، وإنهم متفقون مع بايدو عليه، فما كان من كيخاتو الا أن ألقى القبض على هؤلاء وكاد ان يطيح برؤوسهم لولا تدخل الأميرين اق بوقا وطغاجار اللذين أشارا على كيخاتو بعدم التعجل في قتلهما ورأى الطلب بأحضار بايدو أولاً، فإذا لم يمتثل عند ذاك يحق للايلخان قتلهم فاستحسن كيخاتو رأيهما، وفي الواقع كان اق بوقا وطغاجار متفقين مع بايدو على كيخاتو، لذلك اعلماه بالأمر وطلبا منه التحرك من بغداد بقواته نحو تبريز للايقاع بكيخاتو، وعندما اقترب بايدو من همذان التحم بقوة صغيرة من اتباع كيخاتو واوقع بها، فما كان من كيخاتو الا ان جهز جيشاً قوامه خمسة وعشرون ألفاً من الجند خمسة الاف يقودهم الأمير تيتاق وعشرون الفا تحت أمرة طغاجار للتصدي لبايدو ثم تبعهم كيخاتو بجيش فيه عدد من خواصه وعند المواجهة ازاح طغاجار الستار عن حقيقة أمره بأن انضم وجنده الى صف بايدو، فاعترى كيخاتو الهلع والفزع وانفض عنه جنده لافعاله المشينة[2].

(1) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص206. اقبال: تأريخ المغول، ص360. الصياد: الشرق الاسلامي، ص222. الأمين: المغول، ص276.

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص184-187، واشار الى هذه الحادثة باختصار ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص406. وفيه يسمى طغاجار بآسم طاشر. وقزويني: تأريخ كزيدة، ص601.

ويشير رشيد الدين الهمذاني ان كيخاتو كان ينوي الهرب الى بلاد الروم حيث كان له فيها اتباع كثيرون نتيجة للعطايا الكثيرة التي كان قد أغدقها عليهم ولكّن بعضَ الأفراد من خواصه قالوا له ((ليس من المصلحة ترك التاج والعرش للعدو ثم الفرار منه، على حين ان جنودنا مرابطون في جميع هذه البلاد فنجتمع، ولنسير لحرب الاعداء)) فعاد كيخاتو من هناك الى أران وخلال ذلك كان الأمراء المسجونين قد أطلق سراحهم ليشكلوا كتيبة من الفرسان تولت مهمة تعقب كيخاتو حتى التقوه على ضفاف نهر الكر، وتمكنوا بسهولة ويسر من القبض عليه لقلة اتباعه، فما كان منهم الا ان قضوا عليه فوراً وذلك في يوم الخميس السادس من جمادي الأولى سنة (694هـ/ 1295م)[1] وهكذا ذهب كيخاتو ضحية فجوره على يد اصحاب ابن عمه بايدو.

سابعاً: بايدو يلقى نفس مصير سلفه كيخاتو

بعد مقتل كيخاتو، ارسل الأمراء يستدعون بايدو لكي يحضر بأقصى سرعة ويجلس على العرش كي يفوتوا الفرصة على اية محاولة تعرقل انتخابه[2]، واختصاراً للوقت اقترح طغاجار ان يتم تنصيب بايدو وهم في ضواحي همذان، ولذلك طلب عقد قوريلتاي فيها وتم بإجماع الأمراء الموجودين تنصيب بايدو ايلخاناً للدولة الايلخانية[3] وكان ذلك في 16 جمادي الأولى سنة (694هـ/ 1295م) أي بعد عشرة أيام من مقتل كيخاتو[4] وادراكاً منهم لأهمية غازان بن ارغون الذي كان والياً على اقليم خراسان

(1) جامع التواريخ، م2، ج2، ص186-187، وعن مقتله ينظر ايضا ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص407.
(2) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص188.
(3) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص364. اقبال: تأريخ المغول، ص261. الصياد: الشرق الاسلامي، ص229.
(4) فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص186- 187.

وتفادياً لمخاطر منافسته لبايدو على العرش اقترح الأمراء انصار بايدو ارسال وفد برئاسة الأمير رمضان الى غازان لتبرير اسباب قتلهم الايلخان كيخاتو[1].

استشار غازان وزيره الأمير نوروز الذي عرف عنه الدهاء في كيفية التصرف تجاه هذا المتغير الخطير فكان رأي الوزير ان هذه فرصة لاستخلاص التاج والعرش له وشجعه على مقاومة بايدو وتعهد له بالقضاء عليه وعلى أعوانه، وافهم غازان ان أمراء بايدو يعرفون أنهم مذنبون، ارتكبوا جريمة قتل كيخاتو وانهم لا يميلون الى غازان لاتصافه بالذكاء والفطنة وبعد النظر وحسن السياسة، وانهم اختاروا بايدو لأنه أمير ضعيف لا سطوة له ولا هيبة، ولهذا فهو يؤتمر بأمرهم ويحرص دائما على تحقيق مصالحهم ومراعاة ميولهم، ونصح غازان بإرسال رسالة على الفور الى بايدو يأخذ عليه انه سمح لحفنة من الأمراء بقتل عمه كيخاتو، وهم ليسوا من طبقته ويعد هذا مخالفة صريحة لأحكام الياسا التي وضعها جنكيزخان ويطلب اليه ان يسلم هؤلاء الأمراء للقصاص منهم[2].

وإدراكاً من الأمير نوروز ان بايدو لن يستجيب لطلب غازان فلابد من الاستعداد للقتال وهذا ما حدث فعلاً إذ إن بايدو رفع من مكانة من تأمر على كيخاتو بأن منحهم مناصب عليا ولاسيما الأمير طغاجار الذي عينه أميراً للأمراء وقائداً لكل جيوشه وسلمه حكم البلاد[3] لتصبح مكانته كمكانة بوقا على عهد ارغون قبل نكبته كما ان بايدو ابعد كلَّ أمراء كيخاتو عن السلطة لا بل عاقب البعض منهم بالقتل[4] وبهذه التعيينات سد بايدو طريق الصلح مع غازان.

---

(1) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص188.

(2) المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص307. الصياد: الشرق الاسلامي، ص233. الأمين: المغول، ص279-280.

(3) اقبال: تأريخ المغول، ص261.

(4) الهمذاني: جامع التواريخ، م2، ج2، ص188. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص187.

ولهذا توجه غازان ومعه الأمير نوروز بجيش كبير من خراسان الى اذربيجان لقتال بايدو[1] وما كان من الأخير إلا أن استعد للحرب[2] والتقى الجيشان في اليوم الخامس من رجب سنة (694هـ/1295م) في مكان يعرف بآسم ((قرجان شير)) بقرب مراغة، فهزم بايدو وحاول ابرام صلح ولكن غازان لن يستجب له[3].

وهنا كرر طغاجار لعبته الخيانية التي سبق ان لعبها مع كيخاتو لتكون هذه المرة مع بايدو حيث أشار عليه ان يتوجه وهو معه وبما لهم من قوات للايقاع بغازان وما ان التحم الجيشان في معركة حتى انحاز طغاجار بالقوات التي معه الى جانب غازان بناءاً على اتفاق سبق ان عقده طغاجار مع الأمير نوروز سرا بعد ان ادرك ان دولة بايدو ايلة للسقوط [4]، وهكذا ترك بايدو وحدَهُ في ميدان القتال مع ثلة من حرسه الخاص الذين بشجاعتهم مكنت سيدهم من الانسحاب والالتجاء الى مدينة مرندو ومنها الى بلاد الكرج، وبعد مطاردة دامت عشرة ايام تمكن الأمير نوروز من القاء القبض عليه قرب مدينة نخجوان[5] ليقتاده الى غازان الذي لم يتوانى عن إصدار أمر قتله وتمَّ ذلك في 23 ذي الحجة سنة (694 هـ/ 1294م)[6].

وهكذا شرب بايدو الذي لم يدم حكمه أكثر من سبعة أشهر من الكأس نفسها التي سبق ان شرب منها سلفه كيخاتو.

---

(1) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص366.

(2) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص410.

(3) فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص188.

(4) اقبال: تأريخ المغول، ص265. الأمين: المغول، ص282.

(5) نخجوان: بلدة كبيرة باقصى اذربيجان، تقع على نهر يجري شمالاً فيصب في نهر الرس، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص201.

(6) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص412. المنصوري الدوادار: زبدة الفكرة، ص308. اقبال: تأريخ المغول، ص266. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص162.

ثامناً: غازان والايقاع بأمير الأمراء نوروز

بمقتل بايدو سنة (694هـ/ 1295م)، تولى غازان عرش الدولة الايلخانية مباشرة وكان عمره انذاك اربعة وعشرين عاماً[1] وعرف عن غازان خلال فترة حكمه التي امتدت حوالي تسع سنوات (694- 703 هـ/1294- 1303م) ((بأنها كانت مفعمة بالنشاط المتواصل والمتعدد النواحي)) وقد قدر لغازان خلال هذه الفترة ان يعمل تحت أمرته في ادارة الدولة عدد من الوزراء والمستشارين الذين كان لهم دور مهم في انجاح ما كان يرغب القيام به من اصلاحات ومن هؤلاء الأمير نوروز الذي كان له الفضل في تثبيت حكمه وتصفية من كان لا يدين بالولاء لغازان، كما كان له الفضل الكبير في اعتناقه الاسلام[2]، وخدم هذا الاعتناق الدولة الايلخانية مثلما خدمت رعاياها وفي هذا يقول المؤرخ المصري الصياد بأن اسلام غازان ((قضى على الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين بسبب اختلاف الدين، فأزيلت بإسلامه الحواجز القومية والطبقية التي كانت تفصل بين هؤلاء ممّا ساعد على اندماج المغول في المجتمع الاسلامي واشتد تأثرهم بالبيئة الحضارية الاسلامية... وصاروا اكثر استعداداً للمساهمة بنصيبهم في انهاضها))[3].

كما كان لنوروز الذي قلده غازان منصب أمير الأمراء وفوض اليه الرقابة العامة على شؤون الامبراطورية الفضل في تنظيم الادارة ومراسيمها فبناءاً على طلبه أصدر غازان أمره بأن يغير شكل الختم الكبير ((الاحمر))((التمغا)) الذي به تختم كتبه الصادرة ومراسلاته فأصبح مستديرا بدلاً من مربع وذلك قصد التيمن والتبرك والتفاؤل وان

---

(1) اقبال: تأريخ المغول، ص266 – 267.

(2) اليافعي، أبو محمد عبد اللـه بن اسعد بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، 1970 م، ج4، ص228. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص292 – 293. الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن: تأريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت، ج2، ص381. الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص428. بدر: مغول إيران، ص14-32.

(3) الشرق الاسلامي، ص261.

تكتب عبارة ((بسم الـلـه الرحمن الرحيم)) في بدء كتبه ورسائله كدلالة عـلى انتمائـه الاسـلامي وللغـرض نفسه ضربت السكة بأسمه وكتب عليها اسماء الخلفاء الاربعة الراشدين على نحو مـا كـان متبعـاً في عهـد الخلفاء العباسيين[1].

وادراكاً من غازان بأن اقامة دولة مهابة الجانب لا يتم الا بحركة اصـلاحات كبـيرة لـذلك اسـتدعى عدداً ممن كانت لهم الخبرة والكفاءة في الادارة والاقتصاد ومن هؤلاء الخواجة صدر الدين الزنجـاني وعـلي شاه، وقد اشترك الآثنان مع سيدهم غازان في سن قوانين تنظـيم جميـع قطاعـات الحيـاة الهامـة في الـبلاد، فأعيد تنظيم النظام الاقتصادي، ووضعت تنظيمات جديدة لجباية الضرائب والنفقـات العامـة، وقـد أُعيـد تخمين الضرائب المستحقة على كل ولاية من الولايات التي كانت تدفع ما عليهـا مـن أمـوال، أمـا المنـاطق التي أصابها احتباس الامطار اوالدمار بسبب الحروب التي سبقت عهده فقد أجلت الضرائب فيها الى آجال بعيدة، واعيد ايضاً تخطيط الحدود بين الولايات، ووضعت قوانين جديدة للادارات، وفي مجال القضاء فقد اتبعت الشريعة الاسلامية في نصوصها التشريعية والقانونية بدلا من تعاليم الياسا المغولية، كما تـم تنظـيم البريد، وعمل على الأسراع في تنقل المبعوثين الرسميين الذين منعت اسائتهم بمصادرة المؤن والاطعمة منعـاً باتاً وقد امتدت الاصلاحات على عهده إيضا الى الاعمال الخيرية كإعالة الشيوخ والمسنين واصحاب العاهات وإغاثة المحرومين[2].

وهـكذا قدر لغازان بمساعدة وزرائه ومستشاريه مـن النهـوض بالدولـة الايلخانيـة التي كانت قد اثقلتها الحروب والمـؤامرات، وأصـبح غـازان مرهـوبَ الجانـب حتـى مـن أقرب المقربين إليه بما فيهم الأمير نوروز فعندما وجد غازان فيه تهديداً لـه اطـاح بـه[3].

---

(1) عن دور الأمير نوروز السياسي على عهد غازان ينظـر التفاصـيل، اقبـال: تـأريخ المغـول 264- 272. فهمـي: تـأريخ الدولـة المغولية، ص191، 194 – 196. الصياد: الشرق الاسلامي، ص280.

(2) شبولر: العالم الاسلامي، ص75 – 76.

(3) عن الاطاحة بالأمير نوروز ينظر التفاصيل: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص293. الصياد: مؤرخ المغـول الكبـير رشيد الدين فضل الـلـه الهمـذاني، دار الكتـاب العـربي للطباعـة والنـشر، ط1، القـاهرة، 1967م، ص121. اقبـال: تـأريخ المغول، ص271-272.

على الرغم من خدمات نوروز الجلة له والتي كانت سبباً في ارتقائه العرش وفي هذا يقول المؤرخ بروكلمان ((اصطنع غازان في فرض سلطانه على ذوي قرباه، وعلى أمراء المغول، ابلغ القسوة واثقل العنف، وحتى الأمير نوروز الذي كان له الفضل في ارتقاء غازان العرش لم يلبث ان ذهب ضحية هذه السياسة))[1].

وهكذا لم يكن غازان يتوانى عن ضرب أقرب المقربين اليه ممن ساعدوه في اصلاحاته، اذا ما شم رائحة ضعف الولاء منهم له فأطيح للسبب نفسه بصدر الدين الزنجاني نتيجة دسائس احيكت ضد الوزير بتهمة التلاعب بأموال الدولة والايقاع بالأمراء الكبار بهدف التفرد بالسلطة كي لا ينافسه احد غيره عند غازان، ومن ذلك ما اتهم بأنه كان يكيد لقتلغ شاه قائد الجيش وللطبيب رشيد الدين الهمذاني وعندما فشل في الدفاع عن نفسه ضد هذه التهم صدر الأمر بقتله وذلك في رجب سنة (697هـ/ 1297م)[2].

ومع ان مقتل الوزير صدر الدين ومن قبل الأمير نوروز يعد خسارة للدولة الايلخانية غير ان غازان عوض عنهما بطاقم لا يقل كفاءة عنهما تمثل برشيد الدين الهمذاني الذي حاز على ثقة غازان وبسعد الدين الساوجي حيث عينهما في وقت واحد كوزيرين له على ان يكون رشيد الدين الهمذاني هو المتقدم على سعدالدين، فحينما يذكر الوزيران كان يتقدم اسم رشيد الدين دائما[3] ويقر المؤرخ حمد الله مستوفي قزويني في سياق حديثه عن تنصيب الوزيرين ان كل الاعمال كانت تبرم بناءاً على أمر رشيد الدين الهمذاني[4] وان امور البلاد انتظمت بفضل هذين الوزيرين المدبرين ورضي عنهما اقارب السلطان وكثير من أهل الفضل والعلم والدراية على حد قول البدليسي[5].

---

(1) تأريخ الشعوب الاسلامية، ص391 – 392.

(2) الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص82 – 83. الشرق الاسلامي، ص286.

(3) الصياد: الشرق الاسلامي، ص288، مؤرخ المغول الكبير، ص121.

(4) تأريخ كزيدة، ص593.

(5) البدليسي، شرف خان: شرفنامة، ترجمة محمد علي عوني، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1962م، ج2، ص17-18.

توفي غازان سنة (703 هـ/ 1303م)[1] وهو لا يزال في ريعان الشباب اذ كان عمره عند وفاته ثلاثة وثلاثين عاما[2].

تاسعاً: أولجايتو وتدهور أحوال الايلخانية

خلف غازان على منصب الايلخانية أخوه أولجايتو الذي اتخذ لنفسه اسماً اسلامياً هو خدابندا[3]، اذ كان مسيحيا في صباه[4]، وفي عهده تدهورت أحوال البلاد بسبب إهماله شؤون الرعية حتى لم يبقَ الا القليل من اصلاحات غازان الداخلية الممتازة فأخذت الاعمال السيئة والفساد يطل برأسه ثانية في الاعمال الادارية والحكم[5] كما ازدادت حركة التمردات من قبل أبناء الأسرة الحاكمة ضده، هذا ما أكده رشيد الدين الهمذاني قائلاً ((في كل يوم كانت تحدث حادثة موجبة للتشويش والتفرقة، ولم تكن توجد حالة استقرار وهدوء...)) ويضيف الهمذاني وهو شاهد عيان، إذ كان يشغل منصب وزير لأولجايتو فيقول ((فقد ثبت بالمشاهدة للجميع مدى ما كان يحدث في كل انقلاب من اضطرابات وثورات ومبلغ ما أطاح به من رؤوس التي كانت تطير في الهواء وقد استمر الحال على هذا المنوال))[6].

وكان من أشهر ضحاياه من أبناء الأسرة الحاكمة الأمير الأفرنك بن كيخاتو الذي قتله وقتل هرقداق قائد جيش خراسان الموالي للأفرنك مع أخويه وثلاثة من أبنائه حتى

---

(1) العيني: عقد الجمان، ج3، ص317 – 319. ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ص146. الدياربكري: تأريخ الخميس، ج2، ص381. عاشور، فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف بمصر، 1974م، ص173.

He. F: IL Khans In Iran, Encyclopaedia Britannica, 1966, Vol. 15, p720.

(2) اقبال: تأريخ المغول، ص285.

(3) الصياد مؤرخ المغول الكبير، ص84، الحاشية رقم (3)، فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص215.

(4) البير أبونا: تأريخ الكنيسة السريانية ، ج3، ص17.

He. F: IL Khans In Iran, Encyclopaedia Britaannica, Vol. 15, p725.

(5) شبولر: العالم الاسلامي، ص76.

(6) جامع التواريخ، م2، ج1، ص190 من المقدمة.

لا ينازعاه على السلطة بعد ان اشيع بأن هؤلاء، كان لهما اطماع في السلطنة[1] ولم يتوقف اضطهاده عند حدود من عارضه على السلطنة بل وصل الأمر بإعدامه العديد ممن خالفه حتى في المذهب[2] وقلما خلت ولاية ايلخانية منها حتى وفاته سنة (716 هـ/ 1316 م).

عاشرا: أبو سعيد يتحرر من سطوة جوبان وأبنائه

توفي الجايتو في شوال سنة (716هـ/1316م)[3]، وكان قد عهد خلال سلطنته بولاية العهد الى ابنه حاكم بلاد خراسان أبي سعيد الذي لم يكن يتجاوز عمره آنذاك سبع سنوات، لذلك أوكل الوصاية عليه الى الأمير المقرب إليه سونج[4].

كافح الأمير سونج في تثبيت أركان حُكم أبي سعيد أمام مؤامرة أمراء والده اولجايتو، ولم تستقم الحالة الا بعد ان تقاسم الأطراف السلطة ليكون الأمير سونج مسؤولاً عن شؤون البلاط وتربية السلطان والأمير جوبان المدعوم من أمراء اولجايتو وحاشيته السابقين ليكون مسؤولاً عن إدارة الدولة وقيادة الجيش، فأكسب جوبان هذا المنصب نفوذاً كبيراً لجمعه بين الإدارة وشؤون الجيش[5].

---

(1) اقبال: تأريخ المغول، ص308.

(2) عرف عن اولجايتو انه لم يستقر على مذهب واحد اذ كان يتنقل في اعتناقه من مذهب الى اخر ومتعصب لهذا دون الاخر وباجبار الناس على اعتناق المذهب الذي يروق له واضطهاده مخالفيه وللتفاصيل ينظر: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص204 – 206. اقبال: تأريخ المغول، ص314 – 318. الأمين: المغول، ص350 -358. الصياد: الشرق الاسلامي، ص373، 399. البير ابونا: تأريخ الكنيسة السريانية، ج3، ص17. الحلي، يوسف كركوش: تأريخ الحلة، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1965 م، ص87-88. عبد الحليم: انتشار الاسلام، ص78. بدر: مغول إيران، ص33- 34.

(3) أبرو، حافظ شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي: ذيل جامع التواريخ رشيدي، شركة تضامني علمي، تهران، 1317هـ ص17 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص442.

(4) أبرو: ذيل جامع التواريخ، ص55 . اقبال: تأريخ المغول، ص323 . فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص220.

(5) النجار: العراق في العهد الجلائري، ص21.

تُوج أبو سعيد سلطاناً على الدولة الايلخانية في شهر صفر سنة (716هـ/1317م) بعد ان بلغ سن الرشد، وأشتركت العائلة الحاكمة في احتفالية التتويج دون معارضة من أحد[1].

توفي الأمير سونج بعد سنة من تتويج ابي سعيد[2]، فأتاحت هذه الوفاة الفرصة للأمير جوبان لكي ينفرد في شؤون الحكم وبهدف تقوية مركزه عمد جوبان على تعيين أبنائِهِ حكاماً على الولايات الرئيسة في البلاد حتى صارت شؤونها بأيديهم يديرونها حسب مصالحهم[3] وأخذ في الوقت نفسه يحجر على ابي سعيد ويشغله برحلات الصيد ومجالس الطرب والنساء[4]، كما أخذ يحدث الوقيعة بين الوزيرين الهمذاني وعلي شاه، من خلال رفع شأن الهمذاني على حساب علي شاه، عند أبي سعيد[5]، كما تعمد جوبان على ابعاد أبناء الأسرة الايلخانية ممّن حاولوا إيجاد مكانة لهم في الحكم[6].

لم يغفر أبناء الأسرة الحاكمة لجوبان حرمانهم من السلطة لذلك كاتبوا الأمير ييسو خان من أحفاد جغتاي بن جنكيزخان الذي كان حاكماً على بلاد ما وراء النهر واتفقوا معه ضمن خطة تقتضي الاتصال بأوزبك خان مغول القفجاق على ان يهاجم الأمير ييسو خان أملاك الايلخانيين من جبهة خراسان وأوزبك خان يهاجم أذربيجان لينقض الاثنان على الدولة الايلخانية بمساعدة أمراء الداخل ونفذت الخطة بأن دخل اوزبك أذربيجان عن طريق دربند وشروان سنة (718هـ/1318م) وييسو خان دخل خراسان

---

(1) أبرو: ذيل جامع التواريخ، ص122 – 123 . الصياد: الشرق الاسلامي، ص411 . الأمين: المغول، ص367-368 . القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص473 – 477.

(2) اقبال: تأريخ المغول، ص325.

(3) الغياثي: التأريخ الغياثي، ص56، وعن المناصب والادارات التي كانت بيد عائلة جوبان، ينظر: فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص225.

(4) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص477 . النجار: العراق في العهد الجلائري، ص21 – 22.

(5) الأمين: المغول، ص369-370.

(6) النجار: العراق في العهد الجلائري، ص22.

ووصل الى مازندران فاضطر الايلخانيون على تقسيم جيشهم الى قسمين قاد الأول جوبان ليواجه ييسو ونجح في الايقاع به بعد معارك عدة ولكن اوزبك الذي كان قد توغل داخل أذربيجان وأوقع بجيش أبي سعيد الذي كان يقود الجيش الثاني وأصبح قاب قوسين أو أدنى من العاصمة الايلخانية السلطانية الواقعة جنوب تبريز، قرر الانسحاب بشكل مفاجئ عندما بلغه نبأ قرب وصول جيش جوبان الذي كان قد جد في السير على رأس 20000 فارس وكلُّه عزمٌ وتصميم على مقاتلة اوزبك فأعترى اوزبك الخوف والفزع فتراجع إلى الدربند، اما جوبان فقد نفد عزمه في شجاعة وبسالة وتعقب المنهزمين وقتل الكثير منهم وعاد بالأسرى الى العاصمة السلطانية[1]، وفيها اقتص من الأمراء المتأمرين ممّن القى القبض عليهم وكانوا (230) أميراً وسبعة أميرات من الأسرة الحاكمة تم اعدامهم جميعاً وذلك في ربيع الآخر سنة (719هـ/1319م)[2].

لم ينه قتل هؤلاء الأمراء والأميرات رغبةَ الاخرين ممّن نجوا من المقصلة من مواصلة التـأمر[3]، ومنهم الأمير ايرنجي والد قتلشاه زوجة الايلخان أبي سعيد الذي كان قد أحكم سيطرته على ولاية ديار بكر في اقليم الجزيرة الفراتية ومنها قاد تمرده الذي كاد أن يقوض نظام الحكم الايلخاني عندما خرج بجيش من المؤيدين له للسيطرة على العاصمة السلطانية، فما كان من جوبان الا ان خرج ومعه السلطان أبي سعيد بجيش كبير ليلتقي عند زنجان بجيش ايرنجي وذلك في جمادي الأولى سنة (719هـ/1319م) وفي المواجهة بينهما كاد جيش جوبان ان يهزم لولا صمود أبي سعيد الذي أبدى شجاعة فائقة أجهضت هجوم ايرنجي وقتلَ عدداً كبيراً من قواده وأسر ايرنجي ليقتله في الحال وبسبب هذا الدور البطولي لقب أبو سعيد بلقب بهادرخان[4]. استثمر أبو سعيد المكانة

(1) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص104-105 . الصياد: الشرق الاسلامي، ص437-438 . القصاب: مغول القفجاق، ص226.

(2) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص95-98 . القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص169، الهامش رقم (3).

(3) الغياثي: التأريخ الغياثي، ص56.

(4) قزويني: تأريخ كزيدة، ص614-615، الغياثي: التأريخ الغياثي، ص56 ، الهامش رقم (4).

التي حازها بهذا الانتصار لدى عسكره فأراد ان يعيد الاعتبار لمركزه الذي كان جوبان وابناؤه قد سلبوه منه، فأستغل حادثة انتهاك شرفه من قبل وزيره دمشق خواجة بن جوبان الذي مارس الزنى بأحدى نسائه وقبض على دمشق خواجة وأمر بقتله ثأراً لشرفه وكرامته، فأعدم في 5 شوال سنة (727 هـ/ 1326م)[1].

ورداً على ذلك أعلن تيمورتاش ابن جوبان استقلاله بولاية بلاد الروم التي كان والياً عليها[2] في حين أراد حسن كوجك أن يثأر لمقتل أخيه دمشق خواجة بأن قاد جيشه من خراسان التي كان واليا عليها للاطاحة بأبي سعيد وقتله، ولكن والده الأمير جوبان لم يوافقه على ذلك وأراد تسوية المشكلة سلمياً، الا أن اعداء الأسرة الجوبانية ممن تضرروا من حكم الجوبانيين لم يرق لهم ذلك، فأوغروا صدر ابي سعيد ضد جوبان واقنعوه بأن جوبان وأبناءَهُ يريدون التخلص منه[3]، فما كان من أبي سعيد الا ان اصدر أمراً بقتل جوبان وتمكن من القبض على معظم افراد الأسرة الجوبانية المنتشرين في انحاء مملكته فقتل معظمهم، ومع ذلك لم يهدأ له بال الا بعد ان استجاب له حاكم هراة بقتل الأمير جوبان الذي كان قد هرب اليها، وكان قتله قد حدث في محرم سنة (728هـ/ 1327م)[4]. وبمقتل جوبان تحرر أبو سعيد من سطوة أبناء هذه العائلة ولكن ليشغف بحب ابنتهم بغداد خاتون التي سيكون لها شأن كبير في إحداث الدولة المغولية الايلخانية وهذا ما سنلاحظه في المبحث الآتي ان شاء الله تعالى.

---

(1) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص222 . الغياثي: التأريخ الغياثي، ص58 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص491 . فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص225.

(2) قزويني: تأريخ كزيدة، ص615.

(3) قزويني: تأريخ كزيدة، ص618 – 619 . ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص222 – 223 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص492 . فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص225 – 226.

(4) قزويني: تأريخ كزيدة، ص619 . الغياثي: التأريخ الغياثي، ص59 – 60 . الصدفي: تأريخ دول الاسلام، ج2، ص37، وللتفاصيل عن نكبة عائلة جوبان ينظر . ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2، ص78. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص292 – 294 . اقبال: تأريخ المغول، ص332 – 337.

أحد عشر- انهيار الدولة الايلخانية

شاءت الأقدار ان يكون أبو سعيد الذي استأصل شأفة عائلة آل جوبان بالقتل، هو نفسه يذهب ضحية لهذا الانتقام على يد ابنة هذه العائلة بغداد خاتون التي انتهت بقتل أبي سعيد ولتمهد هذه الحادثة بانهيار الدولة المغولية الايلخانية.

وبغداد خاتون هي ابنة الأمير جوبان وكان السلطان أبو سعيد قد شغف بحبه لها وأجبر زوجها الشيخ حسن الجلائري على تطليقها بعد مقتل والدها، وتزوجها بعد انقضاء العدة الشهرية ومنحها لقب خواندكار ((أي سيدة العالم))[1]. فاستغلت بغداد هذه المكانة لدى ابي سعيد بأن أخذت تتدخل في شؤون الحكم دون ان يقدر أحد على التصدي لها يساعدها في تحقيق رغباتها السياسية الوزير غياث الدين محمد بن رشيد الدين الهمذاني الذي كانت مصلحته تقتضي ان لا يتعارض معها لكي لا يخسر نفوذه[2] ولكي يستغلها للانتقام هو الاخر ممن كان وراء مقتل والده رشيد الدين الهمذاني، وكان رشيد الدين الهمذاني قد ذهب ضحية حركة التآمر التي كان جوبان قد أوغر فيها صدر ابي سعيد ضد الهمذاني وأوهمه بأنه كان وراء وفاة والده أولجايتو بدس السم له، ونجحت مؤامرة جوبان حيث قتل الهمذاني وهو من أبناء الثمانين كما قتل ابنه ابراهيم وتشتت أبناؤه[3]. وهكذا انفرد جوبان بالحكم الى حين ان حلت النكبة به وبعائلته ليستعيد أثرها بعض أبناء الهمذاني مكانة أبيهم من جديد ومنهم غياث الدين الذي اعتمد عليه أبو

---

(1) العمري: مسالك الابصار، ج3، ص175-176 . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص176 . ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص223 . ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص142 . مرتضى أفندي: كلشن خلفا، ص260 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص494 . اقبال: تأريخ المغول، ص335 . بياني: تأريخ ال جلاير، ص13-14، 16.

(2) اقبال: تأريخ المغول، ص335، 339.

(3) البرزالي: علم الدين ابي محمد القاسم بن محمد بن يوسف: المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتأريخ البرزالي، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج2، ق2، ص317 - 318.

سعيد في إدارة الدولة[1] وليقع تحت طائلة زوجته بغداد خاتون التي كانت شهوتها في الانتقام من أبيها قد طالت الملك غياث الدين حاكم هراة بعزله عن منصبه وبقتلها لحاكم خراسان مع عدد كثير من أمراء البلاط[2].

ولم تستثنِ من ذلك حتى زوجها الذي هو الاخر ذهب ضحية حقدها عليه، حدث ذلك عندما أغار أوزبك خان حاكم مغول القفجاق الذي كان قد استغل ما في بلاد الايلخانية من فوضى فجهز حملة عسكرية لغزو اقليم اذربيجان الايلخانية عن طريق دربند، ووصلت الى ابي سعيد أنباء الاعمال الفضيعة التي ارتكبها اوزبك في اذربيجان فما كان منه الا ان أسرع اليه وبمعيته وزيره غياث الدين لصد اوزبك خان، لكن سرعان ما أعتلت صحة ابي سعيد وتدهورت بشكل سريع واثناء احتضاره استشعر أطباؤه بوجود آثار للسم في بدنه ليتوفى عند مدينة شروان في 13 ربيع الاخر سنة (736 هـ/1335م) وحمل جثمانه الى العاصمة السلطانية[3].

وما ان وري الثرى حتى القي القبض على بغداد خاتون التي اتهمت بأنها كانت وراء دس السم لأبي سعيد لما كانت تكنه من حقد عليه لقتله أبيها وإخوتها وفي التحقيق معها أقرت بذنبها فصدر الحكم بإعدامها الذي نفذ فيها أواخر ربيع الاخر سنة (736 هـ/ 1335م)[4]. وكان وراء من ألصق بها تهمة قتل زوجها الوزير غياث الدين وعدد

---

(1) الغياثي: التأريخ الغياثي، ص61.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص176 . اقبال: تأريخ المغول، ص335، 338 – 339 . فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص227.

(3) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص143-144 . فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص228 . القصاب: مغول القفجاق، ص228 – 229.

(4) العمري: مسالك الابصار، ج3، ص175 . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص176 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص519 . اقبال: تأريخ المغول، ص341-345 . بياني: تأريخ ال جلاير، ص16. أوج اوق، بحرية: النساء الحاكمات في التأريخ، ترجمة ابراهيم الداقوقي، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، 1973م، ص122 والهامش (2) من نفس الصفحة.

Howorth: History Of The Mongol. p,634.

من الأمراء ممّن كانوا قد تضرروا من سطوتها[1]، وبمقتلها يكون غياث الدين قد انتقم من عائلة ال جوبان ثأراً لوالده رشيد الدين الهمذاني اولاً وثانيا أنه بإزاحة بغداد خاتون يكون قد مهد السبيل لنفسه في ان يتحكم بزعامة الدولة الايلخانية، وساعده في تحقيق هذه الرغبة هو خلو بيت الأسرة الايلخانية الحاكمة من منافس على السلطنة ذلك لأن ابا سعيد لم يخلف له ولداً يرث ملكه[2]، كما ان البيت الحاكم خلا من الأمراء ممّن يدعي النسب إليه ذلك لأن من بقي حياً ولم تطاله سيوف ابي سعيد او من سبقه من السلاطين تعمد إضاعة نسبه واندمج مع السكان المحليين حفاظاً على حياته كي لا يتهم بالتآمر على السلطان[3]، وفي ذلك يقول آبن فضل الله العمري المتوفى سنة (749هـ/1348م) وهو مؤرخ معاصر للحدث ينقل لنا عن لسان أحد أمراء المغول بالقول ((لم يبق أحد محقق النسب فأهل هذا البيت تفانوا بعضهم على يد البعض لخوف القائم منهم على ملكه حتى إن الكثير من أبناء ملوكهم كانوا يتخوفون من الملك القائم حتى ان بعضهم كان يخلد الى الحرف والمهن لتسقط همته، فيترك ويجعل هذا سبيلا للخلاص وطلباً للسلامة حتى ان بعضهم كان قد عمل نساجاً وبعضهم عمل في الأدم وبعضهم باع الشعير علفاً ومن هذا قال ويقال في انساب كل منتسب منهم لكثرة التخليط من الامهات ومخالطة آبائهم للعوام حتى خفت أنسابهم فجهلت أحوالهم))[4].

وهكذا قدر للوزير غياث الدين أن يقبض على زمام الحكم دون منافس ولكن حكمه للدولة كانت تنقصه الشرعية كون لا ينحدر نسبه من أسرة احد الايلخانات ولسد هذه الثغرة اختار شخصاً يدعى اربخان كان جندياً مغموراً عاش شبابه مع العامة من

---

(1) النجار: العراق في العهد الجلائري، ص29- 30 .

Howorth: History Of The Mongol. p, 634.

(2) الغياثي: التأريخ الغياثي، ص62 – 63 . الصدفي: تأريخ دول الاسلام، ج2، ص37 . الأعظمي: مختصر تأريخ بغداد، ص147.

(3) القرماني: أخبار الدول، ص288.

(4) مسالك الابصار ج3، ص120، وينظر كذلك المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص406 . القرماني: أخبار الدول، ص288. أوج اوق: النساء الحاكمات في التأريخ، ص122.

الناس فرفع غياث الدين من شأنه وعدّه من عظماء القوم وارجع بنسبه الى أريق بوقا بن تولوي بن جنكيزخان اريق هو الاخ الاصغر لهولاكو، وبهذا النسب عد اربخان من أبناء الأسرة الحاكمة[1]، ولأعطاء صفة الشرعية لجلوس أربخان على العرش دعا كافة الأمراء الى اجتماع عام ((قوريلتاي))، ولما لم يكن قد بقي احد من أبناء الأسرة الحاكمة يدعي بالانتماء الى نسب هولاكو، فقد تم تعويضهم باستدعاء الخواتين وبنات الأسرة والاصهار ليتولوا مهمة التمثيل في هذا القوريلتاي حيث نادى الجميع به سلطاناً وأجلسوه على العرش[2].

وقد استفتح الوزير غياث الدين حكمه بآسم أربخان عملية تصفية كل من شك في أمر الولاء له من الأمراء وذهب ضحية ذلك عدد من كبار أمراء المغول ممن كانت لهم مكانة كبيرة في البلاد[3].

في حين تخوف اخرون عاقبة الأمر فالتجأوا الى الأمير علي بادشاه خال ابي سعيد الذي كان حاكماً على ولاية ديار بكر[4].

وكان علي بادشاه قد ناصب العداء لغياث الدين عندما رفض الأخير منحه منصب أمير الأمراء وأعلن من دياربكر عدم شرعية حكم اربخان وغياث الدين وانه أحق بالحكم كونه خالاً لأبي سعيد ولكي يعطي شرعية لأدعائه هذا ولحكمه نصب شخصاً اسمه موسى إدعى انه من نسب هولاكو وليكون صنيعة له على العرش وسك النقود بأسمه، وأمر ان يخطب له على المنابر[5].

---

(1) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص406 . آبن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص370 -371 . البدليسي: شرفنامه، ج2، ص35 . اقبال: تأريخ المغول، ص344.

(2) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص490.

(3) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص147.

(4) اقبال: تأريخ المغول، ص345.

(5) أبرو: ذيل جامع التواريخ، ص148 – 149 . الغياثي: التأريخ الغياثي، ص68 – 69 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص522 – 523، 525 . اقبال: تأريخ المغول، ص347 . فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص236. الأعظمي: مختصر تأريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م، ص120-121.

وبهذا الاجراء أصبح أمر المواجهة بين الطرفين حتمياً فتجهز لها الاثنان، وقرب شاطئ نهر جغاتو عند مراغة في شهر رمضان سنة (736هـ/ 1335م) حدثت المعركة وكان اربخان قد جعل نفسه على قلب الجيش والوزير غياث الدين على الميسرة فلما رأى علي بادشاه ان جيش اربخان يفوق جيشه عدداً وعدة لجأ الى الحيلة للايقاع بعدوه فأرسل شخصين من رجاله الى الوزير غياث الدين ليخبره بهزيمة أربخان وفي الوقت نفسه ارسل رسولين الى اربخان وابلغاه هزيمة غياث الدين، كما ان انضمام عدد من أمراء غياث الدين الى علي بادشاه كل ذلك سبب في انهيار معنويات غياث الدين وأربخان ليقع الأول في الأسر وليقتل الثاني[1] وعلى الرغم من عداء علي بادشاه لغياث الدين فإنه حاول الابقاء على حياته تقديرا لكفاءته الادارية وعلمه وخلقه ولكن تحت ضغط وإصرار الأمراء المعادين للوزير دفعوا علي بادشاه على قتله فقتل في 21 رمضان سنة (736 هـ/1335م)[2].

لم تستقم السلطة لعلي بادشاه لأن عدد من الأمراء طالبوه بمناصب أرقى وصلاحيات أعلى[3]، وعندما لم تتحقق لهم هذه الرغبة تخلوا عنه وتوجهوا بأنظارهم نحو الشيخ حسن بن حسين الجلائري حاكم ولاية بلاد الروم وأخذوا يدعونه الى مناهضة علي بادشاه والحلول محله في السلطة[4] ويمنونه بانضمامهم إليه في حال موافقته، فلقيت هذه الدعوة قبولاً حسناً عند الشيخ حسن الذي كانت تتوافق مع طموحاته السياسية ولكي يعطي الشيخ حسن الشرعية لحكمه اتخذ من محمد عنبرجي الذي ادعى بأنه من

---

(1) اليافعي: مرآة الجنان، ج4، ص292 . ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص149 . الغياثي: التأريخ الغياثي، ص69 – 71 . توفيق: كردستان في القرن الثامن الهجري، ص77-78 . اقبال: تأريخ المغول، ص345-346. أوج اوق: النساء الحاكمات في التأريخ، ص122.

(2) االبدليسي: شرفنامه، ج2، ص35 . الأمين: المغول، ص397.

(3) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص152-153 . الجاف: الوجيز في تأريخ ايران، ج2، ص315.

(4) ابرو: ذيل جامع التواريخ، 153-154 . البدليسي: شرفنامة، ج2، ص36 . اقبال: تأريخ المغول، ص347-348. الأعظمي: مختصر تأريخ البصرة، ص121.

نسل هولاكو سلطاناً وذلك أرضاءً للأمراء الذين انضموا إليه لكي يبرروا سبب تخليهم عن علي بادشاه، فضلا عن استخدامه واجهة يتحرك بها من ورائه للوصول الى منصب السلطنة[1].

ولمواجهة خصمه تحرك الشيخ حسن في شهر ذي الحجة سنة (736هـ/ 1335م) نحو العاصمة السلطانية ليقابل علي بادشاه لتقع المعركة عند بلدة الاتاغ التابعة لنخجوان والتي اسفرت عن مقتل علي بادشاه وجند كثير[2].

وبهذا الانتصار استقر محمد عنبرجي على رأس الايلخانية[3] متخذاً لنفسه ألقاباً عديدة جمع فيها بين العادل والأعظم وكان يمثل صنيعة للشيخ حسن الجلائري الذي استقر له المقام وتزوج من دلشاد خاتون أرملة أبي سعيد بهدف إضفاء شرعية أكثر على حكومته الناشئة[4]، ولكن عهده لم يشهد الاستقرار إذ ظهر له منافس اتصف بالمكر والخديعة ذلك هو حسن بن تيمور تاش بن جوبان الذي عرف بحسن الصغير[5] تمييزاً له عن الشيخ حسن الجلائري والذي سيعرف هو الاخر بعد الان بحسن الكبير الجلائري.

وحسن الصغير شهرته استمدها من عهد أبيه تيمورتاش بن جوبان الذي كان حاكماً على بلاد الروم وقاد حركة تمرد فاشلة ضد السلطان أبي سعيد، وهرب الى

---

(1) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص345 – 355 . العاني، نوري عبد الحميد: العراق في العهد الجلائري ((دراسة في اوضاعه الادارية والاقتصادية)) دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص22- 23 . اقبال: تأريخ المغول، ص348 . الجاف: الوجيز في تأريخ إيران، ج2، ص315 . توفيق: كردستان في القرن الثامن الهجري، ص79.

(2) الذهبي: دول الاسلام، ج2، ص243 . المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص421 . الكرملي، انستاس: الفوز بالمراد في تأريخ بغداد، مطبعة شابندر، بغداد، 1329 هـ ص22 . بياني: تأريخ ال جلاير، ص19. أوج اوق: النساء الحاكمات في التأريخ، ص122.

(3) طلس، محمد اسعد: عصر الانحدار، دار الاندلس، ط1، بيروت، 1963م، ص29 . عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص195 . الجاف: الوجيز في تأريخ إيران، ج2، ص315.

(4) اقبال: تأريخ المغول، ص348 . الجاف، الوجيز في تأريخ إيران، ج2، ص315 . توفيق: كردستان في القرن الثامن الهجري، ص79.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص107 . العاني: العراق في العهد الجلائري، ص23.

مصر[1]، فقد انضم الى حسن أبناء جلدته من الجوبانيين كما أيدته ساتي بيك ارملة جوبان ذات النفوذ الكبير كما تسرب عدد من الأمراء والأعوان من الشيخ حسن الكبير الجلائري بعد ان وجدوا في سياسية الحزم التي استخدمها في السلطة خطراً على مصالحهم ومكانتهم فالتحقوا بحسن الصغير[2].

أحدث هذا الانقسام شَرْخاً كبيراً في جسم الدولة الايلخانية ذلك لان أي من الطرفين لم يستطع حسم الصراع لمصلحته فدخلت البلاد في سلسلة من الحروب أكلت الاخضر واليابس واستغرقت أكثر من ثلاث سنوات[3] انتهت بتمكن كل طرف من الاستحواذ على جزء من بلاد الدولة الايلخانية فاستحوذ الشيخ حسن الكبير الجلائري على العراق وديار بكر معلناً استقلاله في هذه البلاد ومتخذا من بغداد عاصمة لدولته الفتية وذلك سنة (740هـ/ 1339م)[4].

وهذا التأريخ يمثل البداية الحقيقية لقيام الدولة الجلائرية ككيان سياسي مستقل، وفي المقابل استقل حسن الصغير في إقليم اذربيجان ليؤسس فيها الامارة الجوبانية وعاصمتها تبريز وبذلك يكون هذان الكيانان قد ورثا أملاك الدولة الايلخانية ويكون تأريخ قيامها هو سنة (740هـ/1339م) وهو التأريخ الرسمي لنهاية الدولة الايلخانية [5].

---

(1) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص156-157 . سرور: دولة بني قلاوون، ص215.

(2) ابرو: ذيل جامع التواريخ، 354-355 . توفيق: كردستان في القرن الثامن الهجري، ص84.

(3) وللتفاصيل عن هذه الصراعات السياسية والحروب ينظر: العاني: العراق في العهد الجلائري، ص23-24 . بياني: تأريخ ال جلاير، ص19 – 27.

(4) ابرو: ذيل جامع التواريخ، ص162 . البدليسي: شرفنامه، ج2، ص29 . العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص34 . الجواهري، عماد: صراع القوى السياسية في المشرق العربي حتى الحكم العثماني، منشورات جامعة القادسية، 1990 م، ص22.

(5) توفيق: كرستان في القرن الثامن الهجري، ص86.

الخاتمة

- أظهرت الدراسة ان أرض منغوليا موطن المغول قد تعاقبت عليها موجات بشرية عديدة من شعوب هندو أوربية فاستوطنها الهون قبل الميلاد ثم أقوام روسية وعناصر تركية هم التو- كيو و الايغور والقرغيز.

- وكان المغول من جملة رعايا الدولة الايغورية وكان يطلق عليهم اسم اتراك الشيواي اضطروا بعد اجتياح أتراك القرغيز لمراعيهم سنة (233هـ/ 847م) على ترك منغوليا ليستقروا في بعض مناطق الصين الشمالية الغربية وهناك أبيد معظمهم على يد إخوانهم الكيدانيين ومن نجا عاد إلى منغوليا ليستوطن الأماكن المنعزلة من منطقة أرغون كون، وبسبب ضعفهم أطلقت عليهم القبائل المحيطة بهم تسمية المغول بدلاً من أتراك الشيواي، وتسمية المغول باللغة الايغورية تعني الضعيف او المغفل او الواهن او الغبي.

- والمغول يرجعون نسبهم إلى قيان ويزعمون ان سلسلة نسبهم تنتهي بأوغوز خان البطل الأسطوري للأتراك.

- وفي منتصف القرن (السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) كان يشارك المغول على أرض منغوليا عدد من القبائل البدوية كالتتار والكرايت والنايمان والمركيت. وكان يتزعم المغول في هذه الفترة يوسكاي والد تيموجين.

- كافح تيموجين بعد وفاة والده من أجل استعادة الزعامة على قبيلته وبدهاء وشجاعة دحر منافسيه ليتسيد قبيلته، ولكون طموحاته لم تتوقف عند حدود الزعامة على قبيلته لذلك أخذت غاراته وحروبه تطال جميع القبائل في منغوليا بما في ذلك حلفاء الأمس له، كقبيلة الكرايت وزعيمها طغريل ((أونك خان)) فانتصر عليهم جميعاً وغدا سيداً على منغوليا دون منازع.

- وبهدف تكريس زعامته بشكل شرعي وتنظيم حكمه للبلاد دعا زعماء القبائل والأمراء في منغوليا إلى مؤتمر عام ((قوريلتاي)) سنة (603 هـ / 1206م) وفيه تم إقرار زعامة تيموجين ولقب بجنكيز خان كما أقر في المؤتمر جملة قرارات لتنظيم

شؤون البلاد الادارية والعسكرية وفيه أيضاً تم تعميم تسمية المغول على كل القبائل المنتشرة في منغوليا، وفي هذا القرار أراد تيموجين أن يرفع من شأن قبيلته أمام القبائل الأخرى التي كانت تنظر إلى هذه القبائل نظرة احتقار، وبتعميم هذه التسمية أزال تيموجين هذه النظرة الدونية لقبيلته وساواها بباقي القبائل لا بل أخذت القبائل المغولية تتشرف بهذه التسمية بحكم انتماء تيموجين لها وبذلك سمي الجميع بالمغول وأرضهم بمنغوليا نسبة للمغول.

- وإذا كان جنكيزخان قد أظهر موهبته في الجانب الاداري والعسكري في بناء الدولة فإن موهبته كمشرع قانوني ومنظم لمجتمعه لا يقل أهمية عن باقي منجزاته فقد جمع ورتب القوانين والأعراف التي كانت سائدة بين شعبه وأضاف اليها فسماها الياسا او القانون الأساسي للدولة، ونظم هذا القانون الحياة العامة المغولية ولمدة طويلة.
- وبعد هذه السلسلة من الاجراءات شرع جنكيزخان بتوسيع ملكه فاحتل معظم أجزاء إمبراطورية الصين الشمالية بما فيها العاصمة بكين سنة (612هـ / 1215م) كما احتل غالبية مناطق نفوذ الدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر وخراسان وأقليم خوارزم وقبيل وفاته وزع أملاكه بين أولاده الأربعة فجعل الوطن الأصلي منغوليا ملكاً للآبن الأصغر تولوي وباقي أجزاء إمبراطوريته توزعت على اولاده الثلاثة الآخرين فاختص الابن الثاني جغتاي ببلاد ما وراء النهر، والمناطق التابعة لها والابن الثالث اوكتاي بأقاليم تارباجاي وأرتيش وأورنوجو وحوض نهر ايميد الواقع شرقي بحيرة بلكاش والابن الرابع جوجي بلاد القفجاق.
- توفي جنكيزخان سنة (624هـ / 1226م) وكان قبل وفاته بأشهر قد اختار أوكتاي ليجلس من بعده على سرير الخانية فوافقه الجميع.
- لم يمارس أوكتاي سلطة الخانية الا بعد انعقاد مؤتمر عام ((قوريلتاي)) سنة (627هـ / 1229م) وفيه تم تنصيبه خاناً أعظم وكان تولوي يدير شؤون الامبراطورية في الفترة ما بين موت جنكيزخان واعتلاء اوكتاي العرش وسبب تأخر تنصيب اوكتاي لسنتين ترجع إلى محاولات تولوي إقصاء أخيه اوكتاي عن الخانية

والحلول محله وبسبب ضغط الأمراء اضطر إقرار أوكتاي خاناً أعظم للامبراطورية المغولية.

- وفي عهد أوكتاي خان الذي امتد من سنة (626هـ / 1229م) حتى وفاته سنة (639هـ / 1241م) لم يظهر ما يشير إلى حدوث صراع للأسرة الحاكمة على الخانية وتعليل ذلك هو ذكاء أوكتاي الذي شغل جميع الأمراء بحركة التوسعات الخارجية شرقاً وغرباً.
- إنبثق الصراع في أوضح صورة بين العائلة الجنكيزخانية الحاكمة على خلافة اوكتاي، وكان اوكتاي قبيل وفاته سنة (639هـ/ 1241م) قد جعل ولاية العهد لحفيده شيرامون، ولكن زوجة أوكتاي توراكنة خاتون التي تولت تصريف شؤون الحكم خلال الفترة الانتقالية عمدت على تأخير عقد القوريلتاي لاختيار خليفة اوكتاي،وبعد مضي خمس سنوات على حكمها قضتها في تدبير المؤامرات للايقاع بالمعارضين وفي الترغيب بالمال لكسب الاتباع لقبول ترشيح آبنها كيوك بدلا من شيرامون للخانية دعت إلى عقد القوريلتاي وذلك سنة (644هـ / 1246م) وفيه انتخب الحاضرون كيوك ليكون خاناً أعظم للمغول.
- بطش كيوك خان بمعظم من عارض تنصيبه للخانية من الأمراء إما بالقتل أو العزل كما انه أراد الايقاع بمن كان عضداً له في الوصول للخانية ممثلاً بآبن عمه باتو الذي رأى ان له أطماعاً بالخانية خلال عهده ولهذا عاداه وتجهز لحربه ولكن الأقدار حالت دون وقوع الحرب لوفاة كيوك المفاجئة وذلك سنة (647هـ / 1249م).
- أدت سيورقتيتي زوجة تولوي بن جنكيزخان دوراً مشابهاً لدور توراكنة خاتون في ايصال ابنها منكو الى منصب الخانية، وتمكنت بدهائها السياسي في الايقاع بأوغل غاميش التي تولت شؤون الحكم خلال الفترة الانتقالية ومؤيديها الذين كانوا يريدون ان يكون شيرامون حفيد أوكتاي مرشحاً للخانية، وكان باتو أكثر الداعمين لسيورقتيتي لمواقفها الطيبة لباتو خلال صراعه مع كيوك وباسلوب الترغيب والوعيد ولتهور اوغل غاميش وسوء ادارتها للبلاد، استجاب الأمراء لدعوة باتو في انتخاب منكو خاناً أعظم في قوريلتاي سنة (649هـ / 1251م).

- لم تكن نية الأمراء المعارضين صادقة مع منكو اذ كان قد دبر مؤامرة لقتله عشية الاحتفال بتنصيبه خاناً أعظم للمغول وشاءت الأقدار ان تكشف المؤامرة صدفة ليلقى القبض على مدبريها وكان عددهم سبعةً وسبعين أميراً من العائلة الجنكيزخانية على رأسهم شيرامون وايلجكتاي فضلاً عن اوغل غايميش.
- اشتعلت حرب أهلية مغولية على خلافة منكو خان في أعقاب وفاته سنة (655هـ / 1257م) تزعمها ولداه اريق بوقا وقوبلاي وانقسم ولاء عائلة جنكيزخان بينهما وذهب ضحية الصراع الذي انتهى باستسلام اريق بوقا سنة (662هـ / 1264م). وكان قوبلاي قبل هذا التاريخ انتخبه أمراؤه خاناً أعظم للمغول واتخذ من بكين عاصمة لامبراطوريته بدلا من قراقورم.
- وفي أواخر فترة حكم قوبلاي الطويلة واجه قوبلاي اخطر حركة تمرد قادها ابن عم له يدعى نايان الذي كان حاكما على أربعة ولايات صينية محاولاً انتزاع الخانية لنفسه، فتصدى له قوبلاي لتقع بينهما معركة حاسمة سنة (688هـ / 1288م) ولهول المعركة وضخامة ضحاياها سميت بمعركة الدم وفيها انتصر قوبلاي وقتل نايان.
- توفي قوبلاي خان سنة (693 هـ / 1294م) وخلال الفترة الانتقالية تولت الخاتون كوكوجين إدارة البلاد حتى سنة (694 هـ / 1295م) وفيه انعقد القوريلتاي في مدينة كمين فو الصينية حيث انتخب تيمور الذي مالت كفة الأمراء إلى جانبه بدلاً من أخيه كملا.
- واجه تيمور خلال فترة حكمه تمرداً قاده ابن عمه قايدو حاكم إقليم التركستان وانتهى بإنزال تيمور الهزيمة بقايدو ومقتله وذلك سنة (701هـ / 1301 م).
- أعقب تيمور على إمبراطورية المغول خلفه هوي زونغ (708 – 711 هـ/ 1308 – 1311م) الذي نشطت على عهده حركة الثقافة والتجارة.
- تعاقب بعد هوي ستة من الخانات العظام كان آخرهم غوز كسينغ (729- 766 هـ / 1328 – 1365م) وجميعهم مارسوا أساليب الاضطهاد والعبودية تجاه رعاياهم من الشعب الصيني، فسبب ذلك انتفاضة وثورة عارمة ضدهم انتهت بإسقاط إمبراطوريتهم وذلك سنة (766 هـ / 1365م).

وبخصوص خانية مغول القفجاق التي كانت تحكمها أسرة جوجي ابن جنكيزخان فهي الأخرى واجهت مشكلة الصراع بين أبناء العائلة الحاكمة على من يكون المرشح ليشغل مقعد الخان المتوفى وكثيرا ما كان الاختلاف يقود إلى مؤامرات ودسائس وعمليات قتل وأحياناً إلى حروب أهلية ففي أعقاب وفاة باتو سنة (653هـ / 1255م) قتل ابنه سرتاق بسبب الصراع بينه وبين عمه بركة على منصب الخانية كما دخل بركة في حرب مع هولاكو لدعم الأخير براق جين خاتون زوجة باتو التي كان منكو خان قد كلفها بحكم البلاد والتي كانت تسعى لأن يكونَ آبنُها هو الخان، بدلا من بركة وانتهت الحرب بهزيمة هولاكو ومقتل براق جين واعتلاء بركة منصب الخانية.

- اتسم عهد بركة بالاستقرار لكنه شهد تحولا خطيرا بالنسبة للمغول تمثل بإعلان بركة إسلامه وبنشر الاسلام بين قومه، وبقطع علاقته وإعلان استقلاله عن عاصمة الامبراطورية المغولية بكين.
- وكان من تداعيات هذا الموقف على الإمبراطورية المغولية انه وللمرة الاولى في تاريخ العلاقات المتبادلة بين الشعب المغولي ان يخطو أحد زعمائها وهو بركة خان خطوة لا تقل خطورة عن قطع العلاقة مع سلطة المركز بكين، بأن تقرب إلى دولة المماليك في مصر وبلاد الشام وشكل معها تحالفاً ضد أبناء عمومته ايلخانات بلاد إيران والعراق. ولا شك ان مثل هذا التحالف يعد خرقاً للتقاليد المغولية فحتى ذلك الوقت لم تتعاون أية جهة مغولية مع قوة خارجية ضد طرف مغولي أخر فكان يعد ذلك من المحرمات وهذا ما دق أسفين خطير في العلاقات المغولية الايلخانية وسبّبَ حروباً بين مغول القفجاق والايلخانيين.
- توفي بركة خان سنة (665هـ / 1267م) فاختارت الأسرة الحاكمة ابنه منكو تمر لخانية دون خلاف واستقرت على عهده أحوال البلاد، ولكن على عهد خلفه تدان منكو انفجر الصراع لتعسف تدان ضد ابناء أخيه منكو تمر ولينتهي بتمكن أبناء منكو تمر من عزل عمهم تدان وتنصيب تلابغا على كرسي الخانية وذلك سنة (686 هـ / 1287م).

- شهد عهد تلابغا وخلفه توقتا اضطرابات سياسية خطيرة قادت إلى حرب أهلية بسبب الصراع الذي نشب بين طغريل بن منكو تمر وتلابغا وأخيه كنجك وقائد الجيش نوغاي وتوقتا على منصب الخانية فانقسمت العائلة الملكية الحاكمة بين أطراف الصراع واشترك فيها الايلخانيون على عهد أرغون وتدهورت أحوال البلاد وذهب ضحية الصراع عشرات الآلاف من المقاتلين كما أنزل الخراب بالعديد من المدن التجارية كمدينة كافا وسوداق.

- تمكن توقتا من إنهاء الحرب الأهلية على الخانية التي استغرقت زهاء الأربعة عشر عاماً لتصفية جميع خصومه وإعادة توحيد البلاد.

- توفي توقتا سنة (712هـ / 1312م) وبعد مؤامرات سياسية أوصل المتنفذون اوزبك بن طغرلجا أخا توقتا إلى منصب الخانية لتستقر على عهده الطويل اوضاع البلاد ولكن الصراع انفجر بعد وفاته سنة (742 هـ / 1341م) بين ابنائه الثلاث تني بك، وجاني بك، وخضر بك وفيه قتل جاني بك أخويه تني بك وخضر بك ليستقر على منصب الخانية فاستمر حكمه حتى وفاته سنة (759هـ / 1358م).

- وكرر بردي بك جرم والده جاني بك وبشكل اكثر بشاعة فما ان وصل منصب الخانية حتى أقدم على قتل جميع أخوتهِ وعدد كبير من اقربائه كي لا ينافسه أحد من أبناء الأسرة الحاكمة على منصب الخانية فسببت هذه العملية حالة من الفوضى في البلاد لتزداد بعد وفاته سنة (662هـ / 1261م) ولتكون وفاته نهاية لحكم دولة خانية مغول القفجاق اذ اشتغل كل أمير في محاربة الآخر لأجل إقامة إمارة خاصة به ولتنتهي بهذه الأحداث حكم أسرة جوجي لبلاد القفجاق.

- أما ما يخص ايلخانية إيران فقد أسسها هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان عندما عهد أخوه منكو خان بقيادة الحملة المغولية لاحتلال الأجزاء الغربية من بلاد إيران والعراق وإسقاط الخلافة العباسية في بغداد ووعده بأن يئول حكم ما يفتتحه له ولأسرته من بعده، وبعد ان أحكم هولاكو احتلاله لهذه البلاد سنة (656 هـ / 1258م) واتخذ من مراغة في إقليم أذربيجان مقراً لحكمه يكون قد أسس له ولعائلته

من بعده دولة مغولية أطلق عليها دولة المغول الايلخانية في إيران والعراق وكلمة ايلخان تعني التابع للخان الاكبر.

- واذا كان في عهد هولاكو وابنه أباقا خان نوع من التبعية الاسمية لقوبلاي خان فأن في عهد خلفاء اباقا حدث الاستقلال بشكل كامل ابتداءاً من عهد أحمد تكودار (680- 683هـ/ 1282 – 1284م) الذي كان قد أعلن إسلامه وسمى نفسه أحمد ولقب بالسلطان بدلاً من ايلخان وتوقفت العلاقات على عهده وعهد خلفائه مع بكين، فلم تشر المصادر إلى أية اتصالات بينهم.

- واذا كانت مخاطر الصراع الأسري بين عائلة هولاكو على السلطة لم تظهر على عهد هولاكو وعهد ابنه اباقا الذي حكم بين (663 – 680 هـ / 1265- 1282م) فإن الأطماع جاءت مهددة سلطتهم من أبناء عمومتهم الجغتائيين الذين كانوا حكاماً على بلاد ما رواء النهر من قبل قوبلاي خان وبسبب تمرد براق الجغتائي على سلطة قوبلاي ومحاولاته التوسعية على حساب الايلخانيين وقف هولاكو ضده فاستحكم العداء بينهما لينتقل بعد وفاة هولاكو إلى ابنه اباقا ولتنشب بينهما حروب انتهت بهزيمة محققة لبراق سنة (668 هـ / 1270م)، ولينتهي بعدها نفوذه على بلاد ما وراء النهر وذلك بوفاته سنة (671هـ / 1273م) ولكن مخاطر الجغتائيين سرعان ما استفحلت ثانية وعلى يد جماعة من الجغتائيين اطلق عليهم تسمية النوكداريان نسبة إلى نكودار بن موجي بن جغتاي وذلك عندما هاجم هؤلاء سنة (677 هـ / 1279م) اقليم فارس ولكن اباقا خان تصدى لهم وقضى على نفوذهم.

- عاشت الدولة الايلخانية قوية على عهد هولاكو وآبنه اباقا ولكن عوامل الضعف بدأت فيها ابتداءاً من عهد تكودار ذلك لأن على عهده ولأول مرة ينشب صراع على منصب الايلخان بين ابناء عائلة هولاكو ليتطور إلى حرب اهلية مغولية، حصدت الالاف ولتنتهي بمقتل تكودار على يد آبن أخيه ارغون وذلك سنة (683هـ / 1284م) ولينتقم ارغون من اتباع تكودار ولينقلب بسبب حبه للسلطة على الأمراء ممّن ساعدوه في الانتصار على تكودار وفي الوصول إلى منصب الايلخانية فأطاح بالأمراء الكبار بوقا واروق وجوشكاب واخرين.

- واذا كان انتقال السلطة إلى كيخاتو وبعد وفاة أخيه ارغون سنة (690 هـ / 1291م) قد حدثت دون مشاكل كبيرة، فإن المعارضة من البيت الحاكم اشتدت ضد حكم كيخاتو لسوء معاملته لهم، وتمكن بايدو بن طرغان بن هولاكو من الاطاحة به وقتله وذلك سنة (694هـ / 1294م) والحلول محله على رأس الايلخانية، ولكن السلطة لم تستقم لبايدو لخيانة بعض اتباعه ومنهم طغاجار الذي انضم إلى غازان بن ارغون الطالب بمنصب الايلخانية وتمكن بمساعدة طغاجار من الايقاع ببايدو وقتله قبل ان يمضي سنة على حكمه.

- قبض غازان على زمام السلطة بيد من حديد وأزاح رؤوس الكبار ممّن كان يعتقد ان لهم اطماعاً بالايلخانية كالأمير نوروز وآخرين، وسار على نهجه خلفه اولجايتو (703 – 716هـ / 1303 – 1316م) بأن طالت يداه بالقتل أشهر أبناء الأسرة الحاكمة الأمير هرقداق وثلاثة من ابنائه بعد ان اشيع بأن لهؤلاء أطماعاً في السلطنة.

- اعقب اولجايتو على منصب الايلخانية بعد وفاته سنة (716هـ / 1316م) ابنه أبو سعيد الذي على عهده قتل العشرات من أمراء وأميرات العائلة الحاكمة بسبب عدم ولائهم له كما نفذ القتل بمن صان له الدولة فقتل الأمير جوبان وعدد من ابنائه سنة (728هـ / 1327م) كي ينفرد بالسلطنة، ولكن حبه لآبنة جوبان بغداد خاتون والزواج منها اتاح الفرصة لبغداد في ان تنتقم لمقتل والدها واخوتها بأن دست السم لأبي سعيد ليموت وذلك سنة (736هـ / 1335م).

- أعقب وفاة أبي سعيد سنة (736هـ / 1335م) الذي لم يترك وريثاً ليخلفه على العرش صراعات سياسية وحروب طاحنة بين المتنفذين في السلطة من الوزراء والأمراء وحكام الأقاليم الذين اتخذ كل واحد منهم أحد أبناء العائلة الحاكمة ستاراً له ليستبد بالسلطة ولتنتهي هذه الصراعات سنة (740هـ / 1339م) بانهيار الدولة الايلخانية وانقسام املاكها فاستحوذ الشيخ حسن الجلائري على العراق وأسس فيها الدولة الجلائرية متخذاً من بغداد عاصمةً له، وأسس حسن الصغير في إقليم أذربيجان الامارة الجوبانية متخذا من تبريز عاصمة لدولته، وبذلك يكون الجلائريون والجوبانيون قد ورثا أملاك الدولة الايلخانية.

الملاحق

فهرس أسماء الخانات العظام في إمبراطورية المغول

اسم الخان	التأريخ الهجري	التأريخ الميلادي	
جنكيز خان	624-603	1227-1206	
تولوي	626-624	1229-1227	تـولى تـصريف شـؤون الحكـم خـلال الفـترة الانتقالية بين وفاة والده جنكيز خان وانتخـاب اوكتاي خاناً أعظم.
اوكتاي خان	639-626	1241-1229	
توراكنة خاتون	644-639	1246-1241	تولـت تـصريف شـؤون الحكـم خـلال الفـترة الانتقاليـة بـين وفـاة زوجهـا اوكتـاي وانتخـاب كيوك خاناً أعظم.
كيوك خان	647-644	1249-1246	
أوغل غاميش	649-647	1251-1249	تولـت تـصريف شـؤون الحكـم خـلال الفـترة الانتقالية بين وفاة زوجها كيوك وانتخاب منكو خاناً أعظم.
منكو خان	655-649	1257-1251	
أريق بوقا - قوبلاي	658-655	1260-1257	فترة الحرب بين الاخوين عـلى منـصب الخانيـة وانقسام حكم الامبراطورية بينهما.
قوبلاي خان	693-658	1294-1260	انتخب خاناً أعظم بموجب قوريلتاي بكين سنة 658هـ / 1260م واستمر في محاربة اريق بوقا حتى ان استسلم له

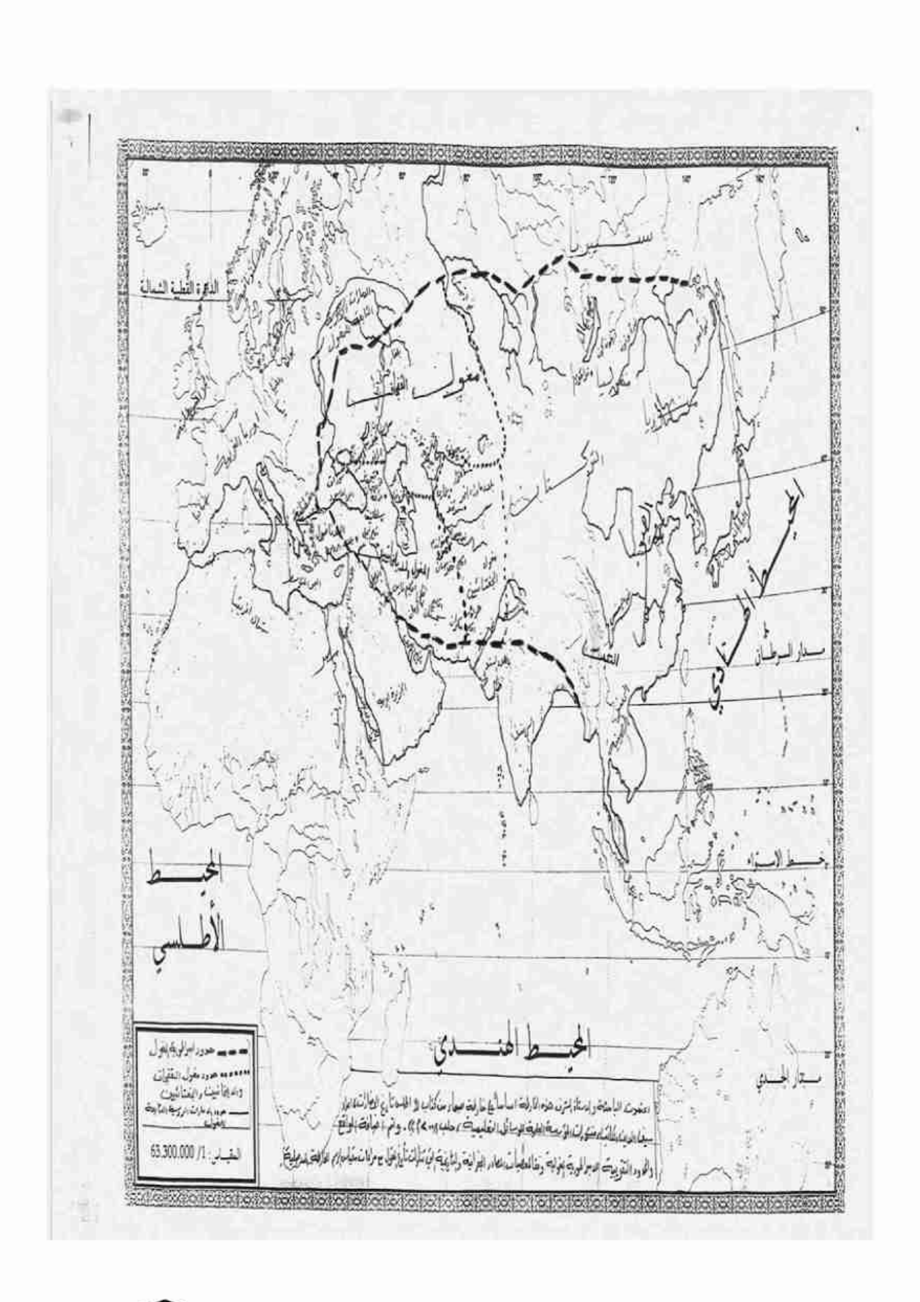
اسم الخان	التأريخ الهجري	التأريخ الميلادي	
			سنة (662هـ/1264م).
كوكوجين خاتون	694-693	1295-1294	تولت تصريف شؤون الحكم خلال الفترة الانتقالية بين وفاة قوبلاي خان وانتخاب ابنها تيمور خاناً أعظم.
تيمور خان	708-694	1308-1295	
هوي زونغ (قايشين)	711-708	1311-1308	
بويانتو	719-711	1318-1311	
ككن	722-719	1321-1318	
ييسون تيمور	727-722	1326-1321	
طوطوق تيمور قوتوقتو رينجن بال	729-727	1328-1326	
غوز كسينغ	766-729	1365-1328	

فهرس اسماء خانات مغول القفجاق

اسم الخان	التأريخ الهجري	التأريخ الميلادي
جوجي	624-618	1226-1220
باتو	653-624	1255-1226
سرتاق	653	1255
اولاغجي	654-653	1256-1255
بركة خان	665-654	1267-1256
منكوتمر	681-665	1283-1267
تدان منكو	686-681	1287-1283
تلابغا (تولابوقا)	690-686	1290-1287
توقتا (طقطاي)	712-690	1312-1290
اوزبك	742-712	1341-1312
تني بك	742	1341
جاني بك	759-742	1358-1341
بردي بك	762-759	1361-1358

فهرس اسماء ايلخانات الدولة الايلخانية في إيران والعراق

اسم الخان	التأريخ الهجري	التأريخ الميلادي	
هولاكو خان	663-654	1264-1256	
اباقا خان	680-663	1281-1264	
احمد تكودار	683-681	1284-1282	
ارغون	690-683	1291-1284	
كيخاتو	694-690	1294-1291	
بايدو	694	1294	
غازان	703-694	1303-1294	
محمد خدابندا (اولجايتو)	716-703	1316-1303	
ابو سعيد بهادر خان	736-716	1335-1316	
اربخان	736	1335	
موسى	736	1335	
محمد عنبرجي	738-736	1337-1335	
________	740-738	1339-1337	فترة صراع الامراء على السلطة وانهيار الدولة الايلخانية باستيلاء الشيخ حسن الجلائري على العراق والجوبانيين على إيران.



الدائرة القطبية الشمالية
سيبيريا
تركستان
المحيط الهادي
مدار السرطان
خط الاستواء
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
مدار الجدي
حدود امبراطورية المغول
المقياس: 1/ 63.300.000

المصادر

أولاً: المصادر العربية

- ابـن الاثـير، عـز الـدين أبـو الحسـن عـلي بـن أبي الكـرم محمـد بـن عبـد الكـريم الشـيباني (ت 630 هـ/1232م).

1- الكامل في التأريخ، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966 م.

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت 717هـ/1317م)

2- خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سير الملوك، مكتبة المثنى، بغداد.

الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت 346هـ/958م)

3- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1961 م.

ابن اياس، محمد بن أحمد (ت 930هـ/1523م)

4- تأريخ مصر المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة بولاق، ط1، مصر ، 1311هـ

ابن ايبك، أبو بكر بن عبد اللـه الدواداري (ت 725هـ/1324م)

5- كنز الدرر وجامع الغرر الجزء الثامن المسمى الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق اولرخ هارمان، منشورات المعهد الالماني، القاهرة 1971م، الجزء التاسع المسمى الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر تحقيق هالنس روبرت رويمر، القاهرة، 1960م.

البدليسي، شرف خان (ت 1012هـ/1603م).

6- شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، دار احياء الكتب العربية، عيسى البأبي الحلبي، القاهرة، 1962 م.

البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف. (ت 739هـ/1338م)

7- المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتأريخ البرزالي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

البرنباوي، محمد بيك النقشبندي (ت 1110هـ/ 1697م)

8- ملحق خلاصة السير، تحقيق ظهور أحمد، لاهور، 1920م.

ابن بطوطة، أبو عبد اللـه محمد بن ابراهيم اللواتي (ت 779هـ /1377م).

9- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، 1968م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/1469م)

10- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م.

11- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1956م.

الجويني، عطا ملك (ت 681هـ/1282م)

12- تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط1، 1985 م.

ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت 779هـ/1377م)

13- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1986م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت 852هـ/ 1448م)

14- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، منشورات دار الكتب الحديثة، 1966م.

آبن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد (ت 656هـ/ 1258م)

15- شرح نهج البلاغة، دار الاندلس، بيروت.

الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي (ت 631هـ/1233م)

16- التأريخ المنصوري ((تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان))، دار النشر للآداب الشرقية، موسكو، 1963م.

الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد اللـه (ت 626هـ/ 1228م)

17- معجم البلدان، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 1494/900م)

18- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، دار القلم، بيروت، 1975م.

الحنبلي، آبن العماد أبو فلاح عبد الحي (ت 672هـ/ 1273م)

19- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت367هـ/979م)

20- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

الخزرجي، علي بن الحسن (ت في ق 9 هـ/15م)

21- العقود الؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال بالفجالة، بمصر، 1911م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م)

22- تأريخ آبن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.

23- التعريف بآبن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تعليق محمد بن تاويت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت 982هـ/ 1574م)

24- تأريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت.

الذهبي، الحافظ شمس الدين (ت 748هـ/ 1347م)

25- تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ((من سنة 631- 640 هـ)) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 2002 م.

26- دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

27- ذيول العبر، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت.

28- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1966م.

الرمزي، م.م (ت 1130هـ/1717م)

29- تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي التركي (ت 654هـ/1256م)

30- مرآة الزمان في تأريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1951.

السبكي، تاج الدين تقي الدين (ت 771هـ/ 1369م)

31- طبقات الشافعية الكبرى، مجلة دار المعرفة، بيروت.

السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م)

32- تأريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، نهضة مصر، القاهرة، 1975م.

الشافعي، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم

33- نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية، تحقيق سهيل زكار، منشورات التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2008 م.

أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت 665هـ/ 1266م)

34- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002 م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي (ت 684هـ/1285م).

35- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحي عبارة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1978م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764هـ/ 1362م)

36- الوافي بالوفيات، منشورات تشايز بفسبآدن، ط2، 1981م.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ/1309م)

37- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1966م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله (ت 692هـ/ 1293م)

38- تشريف الايام والعصور في سير الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1961 م.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت 685هـ/ 1286م)

39- تأريخ الدول السرياني، منشورات مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، 1954م.

40- تأريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، 1983م.

ابن عربشاه، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 854هـ/ 1450م)

41- عجائب المقدور في أخبار تيمور، ط1، القاهرة، 1285هـ.

العصامي، المكي، عبد الملك بن حسين (ت 1111هـ/ 1698م)

42- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية.

العمري، ابن فضل الله (ت 749هـ/ 1348م)

43- التعريف بالمصطلح الشريف، طبعة مصر، 1312هـ.

44- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق، أحمد عبد القادر، منشورات المجمع الثقافي في أبو ظبي، 2003م.

العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب (ت 1233هـ/ 1816م)

45- منهل الاولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق، سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، ط1، الموصل 1967 م.

ابن العميد، المكين جرجيس (ت 672هـ/ 1273م)

46- أخبار الأيوبيين، تحقيق كلود كاهن، دمشق، 1958م.

العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت 855هـ/1451م)

47- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

48- عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1987.

الغساني، الملك الاشرف (ت 803هـ/1401م)

49- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث، بيروت، 1975.

الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (كان حيا حتى سنة 891هـ/1486م)

50- التأريخ الغياثي، تحقيق طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975م.

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت 732هـ/ 1331م)

51- تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد.

52- المختصر في أخبار البشر، منشورات دار البحار، بيروت، 1959 م.

آبن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 807هـ/ 1404م)

53- تأريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1942م.

ابن أبي الفضائل، المفضل (ت 759هـ/ 1358م)

54- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تأريخ ابن العميد، باريس، 1928م.

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت 723هـ/ 1323م)

55- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، 1932م.

القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت 1019 هـ/ 1610م)

56- أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ، عالم الكتب، بيروت.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)

57- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)

58- صبح الأعشى في صناعة الانشا،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1987م.

59- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابياري، الناشر، دار الكتب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1982م.

60- مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الستار أحمد فرج، عالم الكتب،ط1، بيروت، 1964م.

الكاشغري، محمود بن حسين بن محمد (ألف الكتاب سنة 466هـ/1073م)

61- ديوان لغات الترك، دار الخلافة العلمية، المطبعة العامرة، ط5، 1333هـ

الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1362م)

62- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م.

63- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد، بغداد، 1980م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل (ت 774هـ/ 1372م).

64- البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م.

ماركو بولو (ت 725هـ/ 1324م)

65- رحلات ماركوبولو،ترجمها عن الانكليزية، توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

مرتضى افندي، نظمي زاده (ت 1136هـ/1723)

66- كلشن خلفا، نقله الى العربية موسى كاظم نورس، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الآداب، النجف، 1971م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/ 958م)

67- التنبيه والاشراف، تصحيح ومراجعة عبد الله اسماعيل الصاوي، 1938م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)

68- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق2 - ج1، ق3- ج2، ق2 - قام بنشره محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، 1970م، 1942م.

69- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة.
المنصوري الدوادار، ركن الدين بيبرس (ت 725هـ/ 1324م)
70- التحفة المملوكية في الدولة التركية، منشورات الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1987م.
71- زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة، تحقيق دونالد ريتشارد، الشركة المتحدة، بيروت، 1998م.
النسوي، محمد بن أحمد (ت 639هـ/1241م)
72- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م.
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م)
73- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد عبد الهادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
الهمذاني، رشيد الدين فضل الـلـه (ت 718هـ/ 1318م)
74- جامع التواريخ ((الايلخانيون- تأريخ هولاكو)) ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين، دار احياء الكتب العربية، 1960م.
75- جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) من اوكتاي قاآن الى تيمور قاآن، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.
ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، (ت 749هـ/ 1348م)
76- تأريخ آبن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية، ط2، النجف، 1969م.
اليافعي، أبو محمد عبد الـلـه بن اسعد بن علي (ت 768هـ/1366م)
77- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1970 م.
اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى (ت 726هـ/1325م)
78- ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، ط1، حيدر آباد الدكن، الهند، 1954م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

أبو مغلي، محمد وصفي

1- إيران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985م.

آرنولد، سير توماس

2- الدعوة الى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

الأعظمي، علي ظريف

3- مختصر تأريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م.

4- مختصر تأريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، 1926م.

اقبال، عباس

5- تأريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000 م.

ألبير، أبونا

6- تأريخ الكنيسة السريانية الشرقية من العهد المغولي الى مطلع القرن التاسع عشر، دار المشرق، بيروت.

الأمين، حسن

7- الغزو المغولي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1976م.

8- المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، دار التعارف للمطبوعات، القاهرة، 1993م.

أوج، آوق بحرية

9- النساء الحاكمات في التأريخ، ترجمة إبراهيم الداقوقي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1973م.

بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتتش

10- تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980 م.

11- تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1958م.

باشا، حسن

12- الألقاب الإسلامية، القاهرة، 1377هـ

بدر، مصطفى طه

13- مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربي.

براون، ادوارد جرانفيل

14- تأريخ الأدب في إيران، ترجمة ابراهيم امين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر، 1954م.

بروكلمان، كارل

15- تأريخ الشعوب الإسلامية، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، 1977 م.

بروي، ادوارد

16- تأريخ الحضارات العام ((القرون الوسطى))، نقله الى العربية يوسف أسعد داغر وفريدم داغر، منشورات عويدات، ط1، بيروت، لبنان، 1965م.

بيان، ف

17- جنكيزخان سفاح الشعوب، ترجمة صوفي عبدالله، دار الهلال بمصر، 1951م.

التكريتي، محمود ياسين

18- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.

توفيق، زرار صديق

19- كردستان في القرن الثامن الهجري ((دراسة في تأريخها السياسي والاقتصادي))، منشورات مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل، 2001 م.

الجاف، حسن

20- الوجيز في تأريخ إيران، بيت الحكمة، بغداد، 2003 م.

الجندي، أنور

21- تأريخ الإسلام، دار الأنصار، القاهرة، 1979م.

الجواهري، عماد

22- صراع القوى السياسية في المشرق العربي حتى الحكم العثماني، منشورات جامعة القادسية، 1990 م.

الحداد، محمد حمزة اسماعيل

23- السلطان المنصور قلاوون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م.

حسن، حسن ابراهيم

24- تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1967م.

حطيط، أحمد

25- حروب المغول، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994 م.

الحلي، يوسف كركوش

26- تأريخ الحلة، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1965 م.

الحمد، محمد عبد الحميد

27- حضارات طريق الحرير، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007م.

حمدي، حافظ أحمد

28- الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، 1949م.

29- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1950.

خصباك، جعفر حسين

30- العراق في عهد المغول الايلخانيين، ط1، بغداد، 1968م.

خليل، عماد الدين

31- الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام (465- 812هـ/1072 – 1409م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

الخويطر، عبد العزيز بن عبد اللـه

32- الملك الظاهر بيبرس، ط1، 1976 م.

دحلان، أحمد بن زيني

33- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، منشورات مؤسسة الحلبي وشركائه، القاهرة، 1968م.

رانسيمان، ستيفن

34- تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني،دار الثقافة، بيروت، 1969 م.

رؤوف، عماد عبد السلام

35- الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة،دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1992م.

الرويشدي، سوادي عبد محمد

36- إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، مطبعة الإرشاد، ط1، بغداد، 1971م.

زامباور، ادوارد فون

37- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وحسن محمد، ترجمة سيد اسماعيل وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951م.

زيدان، جرجي

38- تأريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة.

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون

39- الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1988 م.

السرجاني، راغب

40- التأريخ الإسلامي، منشورات مؤسسة إقرأ، القاهرة، 2007 م.

سرهنك، أمير الاي اسماعيل

41- حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الميرية ببولاق، ط1، مصر 1314هـ

سرور، محمد جمال الدين

42- دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947 م.

سلطان، طارق فتحي

43- التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، مطبعة محمد، الموصل، 2006م.

شاكر، محمود

44- التأريخ الإسلامي، المكتبة الإسلامية، ط5، 2000م.

شبولر، برتولد

45- العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد اسعد، دار إحسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1982م.

الصدفي، رزق الـلـه منقريوس

46- تأريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال بمصر، 1907م.

الصياد، فؤاد عبد المعطي

47- الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، منشورات مركز الوثائق والدراسات الانسانية، الدوحة، 1989م.

48- المغول في التأريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

49- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الـلـه الهمذاني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،ط1، القاهرة، 1967م.

طلس، محمد اسعد

50- عصر الانحدار، دار الاندلس، ط1، بيروت، 1963م.

الطويل، محمد أمين غالب

51- تأريخ العلويين، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1966 م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح

52- اوربا في العصور الوسطى، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، ط3، 1964م.

53- الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، 1971م.

54- العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965 م.

عاشور، فايد حماد

55- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، مصر، 1974م.

العاني، نوري عبد الحميد
56- العراق في العهد الجلائري ((دراسة في أوضاعه الإدارية والاقتصادية)) دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.
عبد الحكيم، منصور
57- جنكيز خان امبراطور الشر وقاهر العالم، دار الكتاب العربي، دمشق 2008 م.
عبد الحليم، رجب محمد
58- انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1986م.
عبد العزيز، جنكيزخان
59- تركستان قلب آسيا، منشورات الجمعية الخيرية التركستانية، 1945م.
العبود، نافع توفيق
60- الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م.
عبيد، اسحق
61- الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس، مطبعة دار الكتب، بيروت.
العدوي، إبراهيم أحمد
62- العرب والتتار، دار القلم، القاهرة، 1963م.
العريني، السيد الباز
63- المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م.
64- المماليك، دار النهضة العربية، 1967م.
العزاوي، عباس
65- تأريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، 1935م.
عزت باشا، يوسف
66- تأريخ القوقاز، ترجمة خوسنونة عبد الحميد غالب بك، مطبعة عيسى البأبي الحلبي وشركائه، اسطنبول، 1933م.
عمران، محمود سعيد
67- المغول و اوربا، دار المعرفة الجامعية، 1997م.

غنيمة، يوسف رزق الـلـه

68- نزهة المشتاق في تأريخ يهود العراق، بغداد، 1924م.

فامبري، أرمنيوس

69- تأريخ بخارى، ترجمة أحمد محمود الساداتي، شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، 1965م.

فشر، هـ. م. ل

70- تأريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرين، دار المعارف بمصر، 1966 م.

فهد، بدري محمد

71- تأريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الارشاد، بغداد، 1973م.

فهمي، عبد السلام عبد العزيز

72- تأريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، 1981م.

فوزي، فاروق عمر

73- تأريخ إيران، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1989م.

74- الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة، 1983م.

القزاز، محمد صالح داؤود

75- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة القضاء، النجف، 1971م.

76- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970م.

كتابجي، زكريا

77- الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، 1972م.

كتانة، محمد سعيد

78- الترك والعرب، أنقره، 2001 م.

الكرملي، انستاس

79- الفوز بالمراد في تأريخ بغداد، مطبعة شابندر، بغداد، 1329هـ.

كوك، ريجا

80- بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، ط1، بغداد، 1962 م.

كون، كارلتون

81- القافلة، قصة الشرق الاوسط، ترجمة برهان دجاني، منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1959م.

كيتشانوف

82- حياة تيموتشجين ((جنكيزخان)) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة طلحة الطيب، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2005م.

لامب، هارولد

83- جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ترجمة بهاء الدين نوري، مطبعة سكك الحديد العراقية، بغداد.

84- جنكيزخان وجحافل المغول، ترجمة متري امين، مكتبة الانجلو المصرية، 1962م.

لسترنج، كي

85- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م.

لوثورب، ستودارد

86- حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، 1971م.

لين بول، ستانلي

87- طبقات سلاطين الإسلام، ترجمه عن الفارسية، مكي ظاهر الكعبي، منشورات البصري، 1968م.

هنتز، فالتر

88- المكاييل والاوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان، 1970م.

هوخام، هيلدا

89- تأريخ الصين منذ ما قبل التأريخ حتى القرن العشرين، ترجمة اشرف محمد كيلاني، منشورات المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2002 م.

واكيم، سليم

90- امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي.

ولبر، دونالد

91- إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مراجعة ابراهيم امين الشواربي، مكتبة مصر، القاهرة، 1958م.

اليسيف، دانييل

92- تأريخ الصين، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2007م.

يوسف، جوزيف نسيم

93- لويس التاسع في الشرق الاوسط، مؤسسة المطبوعات الحديثة 1959م.

اليوسف، عبد القادر أحمد

94- العصور الوسطى الاوربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967م.

95- علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، المكتبة العصرية، بيروت، 1969 م.

ثالثاً: المصادر والمراجع الفارسية

أبرو، حافظ شهاب الدين عبد اللـه بن لطف اللـه الخوافي (ت 838هـ/ 1434م)

1- ذيل جامع التواريخ، رشيدي، شركة تضامني علمي، تهران، 1317هـ

ابه زاو، محمد جمال صادق

2- موسوعة تأريخ القفقاس والجركس، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1996م.

اقبال، عباس

3- تأريخ مفصل إيران، طبعة سنة 1347هـ ش.

بارتولد و.و

4- تركستان نامة، ترجمة كريم كشاورز، انتشارات بنياد فرينكك إيران، 1352هـ

بياني، شيرين

5- تأريخ آل جلاير، دانشكاه تهران، 1345هـ

خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني (ت 942هـ/ 1535م)

6- حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتبخانة خام، تهران، 1333 ش.

الرازي، عبد الـلـه

7- تأريخ مفصل إيران، طهران، 1335هـ

صفا، ذبيح الـلـه

8- تأريخ أدبيات در إيران، تهران، 1338ش.

غفاري قزويني، القاضي، أحمد (ت 975هـ/1567م)

9- تأريخ جيهان أرا، كتبخانة، تهران ايشنكاه، سرجشمة، يبايان رسبيد.

قزويني، حمد الـلـه بن أبي بكر بن محمد بن نصر مستوفي (ت 750هـ/1349م)

10- تأريخ كزيدة، باهتمام عبد الحسين نوائي، مؤسسة انتشارات أمير كبير، تهران، 1339 هـ ش.

كرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمد (ت 445هـ/ 1053م)

11- زين الأخبار المعروف بـ (تأريخ كرديزي) صححه عبد الحي حبيبي، طهران، 1984م.

ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين (ت 903هـ/ 1497م)

12- تأريخ روضة الصفا، تهران، 1339هـ

الهروي، سيف بن محمد بن يعقوب

13- تأريخ نامة هراة، أزا انتشارات، كتبخانة خيام 1352 هـ

الهمذاني، رشيد الدين فضل الـلـه (ت718هـ/1318م)

14- جامع التواريخ، لينغراد، 1953م.

رابعاً: المصادر والمراجع التركية

1- علي، شرف الدين

تيمور تزوكاتي، ترجمه من الفرنسية الى التركية مصطفى رحيمي، استنبول، 1330 هـ

2- Vladimir cov., B. Y: CenGizhan , ceriren Hasan Ali Ediz, Bilim Eser, Leri, Serisi.

خامساً:الرسائل والاطاريح

حسين، محمود جميل حرب

1- المنصور سيف الدين قلاوون ((سيرته، حروبه، علاقاته الخارجية)) -دراسة تأريخية- رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م، وبأشراف أ.د. جعفر حسين خصباك.

الحنون، مصطفى هاشم عبد العزيز

2- الصراع بين المماليك والقوى السياسية في المشرق الإسلامي بين (658 – 856هـ/ 1258 – 1452م) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب جامعة الموصل، 2007 م وبأشراف د. علاء محمود قداوي.

قداوي، علاء محمود

3- تأريخ العراق في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 1993 م، وبأشراف أ. د. عبد المنعم رشاد.

4- المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب جامعة الموصل، 1985 م، وبأشراف أ.د. محمود ياسين التكريتي.

القصاب، محمد يونس

5- مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 2004 م، وبأشراف أ. د. دريد عبد القادر.

اللهيبي، عماد كامل مرعي

6- الامارات الإسلامية في بلاد القفقاس((من 247- 468هـ /861- 1075م)) - دراسة سياسية- اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 2008م وبأشراف د. علاء محمود قداوي.

النجار، رغد عبد الكريم

7- العراق في العهد الجلائري ((دراسة في الاوضاع السياسية)) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، 2005 م، وبأشراف د. علاء محمود قداوي.

(1) مقالات معربة عن دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)

بارتولد

1- مادة باتو، م3.

2- مادة ترك، م5.

3- مادة جنكيزخان، م7

هوتسما

4- مادة تتار، م4.

(2) موسوعة الموصل الحضارية (ط1، جامعة الموصل، 1992م)

رشاد، عبد المنعم

1- الموصل في عهد الادارة الاتابكية، م2.

2- الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، م2.

(3) موسوعة الجيش والسلاح (بغداد 1988م)

العبيدي، صلاح حسين

1- أنواع الاسلحة العربية الإسلامية وأوصافها.

(4) المعاجم

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت711هـ/1311م)

1- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990 م.

خامساً:المقالات والبحوث المنشورة في المجلات

اسماعيل، محمد حامد

1- من يتحمل مسؤولية سقوط بغداد على يد المغول، مجلة آداب الرافدين، عدد 40، سنة 2005 م.

جبران، نعمان محمود أحمد و آخرون

2- دراسة في المصادر الرسمية لتأريخ أسرة يوان المغولية، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، الدوحة، جامعة قطر، العدد التاسع، 1997م.

الحجي، حياة ناصر

3- العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، الرسالة الثامنة في التأريخ، 1981م.

حسن، نزار

4- مدى تطبيق القوانين المغولية في السلطة المملوكية، بحث منشور في مجلة دراسات تأريخية، العدد 93 لسنة 2006م.

الحسيسي، أحمد السيد

5- العالم الإسلامي في العصر المغولي لشبولر، بحث منشور في مجلة عالم الكتب، م5، العدد الاول، سنة 1984 م.

خصباك، جعفر حسين

6- الإدارة الايلخانية في العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 1-3 لسنة 1959 – 1961م.

الداقوقي، حسين علي

7- دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، مجلة المؤرخ العربي، العدد 21، لسنة 1982م.

رضا، محمد سعيد

8- ابن شداد في كتابه الاعلاق الخطيرة، مجلة المؤرخ العربي، العدد 14، لسنة 1980م.

رؤوف، عماد عبد السلام

9- حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر، بغداد، 1979 م.

قداوي، علاء محمود

10- تحالف مملكة أرمينيا الصغرى وأنطاكيا الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام وتصدي المماليك لهـم، مجلة التأريخ العربي، العدد العاشر، 1999م.

11- تيمور لنك ومحنة دمشق، مجلة آداب الرافدين، العدد 36، لسنة 2003 م.

12- حكومة ولاية بغداد الايلخانية بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين.

13- النساء الحاكمات في إمبراطورية المغول، بحث منـشور في مجلـة المجمـع العلمـي العراقـي، م46، جــ4، 1999م.

يكو بوفسكي، أ. يو

14- تيمورلنك وصف موجز لسيرة حياته، ترجمه عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشـم، مجلـة دراسـات تصدرها الجامعة الأردنية، م15، العدد السابع، 1988 م.

سادساً: المطبوعات الغربية

Bosworth, Ctifford Ed.

1- The Eslamic Dynasties, Edinburghat, 1967.

Boyle, John Andrew.

2- The Mongol World Empire, London, 1977.

Dmytryshyn, Basil

3- History of the Russia, New jersey, 1977.

Favre

4- Larussia, Et la Turaaie Paris.

Golubeva, T and L Gellerstin

5- Early Russia the Ussr Historical Shetchers, Moscow, 1976.

Howorth, Henry H.

6- History of the Mongol from the 9th to 19th Century, Bartfranklin Newyork, Vol.3.

Lan Pool, Stanley

7- History of Egypt in the Middle Ages, Hollanda, 1968.

Saunders

8- A History of Medieval Islam, London & Boston, 1972.

9- The History of the Mongol Conquests, London, 1977.

Spuler, Bertold

10- Die Golden Horde Die Mongol in Rubland, Wiespaden, 1965.

11- History of the Mongols Basedon Eastern and Western Accounts of the 13 and 14 Centuries, Translated by Helge, London, 1972.

Zenkovsky, Serge, A.

12- Pan Turkism and Islam in Russia, Cambridge, 1967.

Bulletin of the School of Oriental and African ((B.S.O.A.S)) university of London.

Minorsky V.

1- The Qara Qoyunlu and The Qutb Shahs, 1955, Vol. XVII, Part1.

Poliak

2- The Influence of Chingiz-Khan Yasa Upon the General of the Mamluk State, 1942, Vol. 10. Part 4.

Encyclopaedia of Islam

A.K.S. Lambton

1- Iran, London, 1965, Vol. I, part I.

Encyclopaedia Britannica (U.S.A)

K. Sar

1- Mongol in the 12 and 13 Centuries A.D. , 1966, Vol. 15.

He. F.

2- IL Khans In Iran, 1966, Vol. 15.